

بَيِّنَاتُ الْهَدَايَةِ

لِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ الْإِمَامِ
أَبِي حَامِدٍ الْغَسَّالِيِّ
(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

مَقَّقَ نَصُوصَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
عَبْدُ الْحَمِيدِ مُحَمَّدُ الدَّرَوَيْشُ

دار كتاب
بيروت

بَدَايَةُ الْهَلَايَةِ

بَدَائَةُ الْهَدَايَةِ

لِحُجَّةِ الْإِسْلَامِ الْإِمَامِ
أَبِي حَامِدٍ الْغَزَالِيِّ
(٢٥٠ - ٥٠٥ هـ)

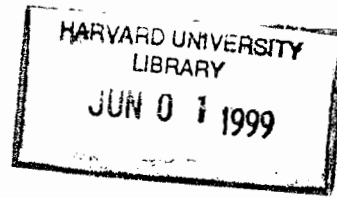
حَقَّقَ نَصُوصَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
عَبْدُ الْحَمِيدِ مُحَمَّدُ الدَّرَوَيْشُ

دار طاهر
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1998



جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

تأسست سنة ١٨٦٣



دار صادر

COPYRIGHT © DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

دار صادر للطباعة والنشر

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

هاتف وفاكس 01.448827 / 04.922714 / 04.920978 (+961) Tel & Fax

مقدمة المحقق

الحمد لله ذي الطول والآلاء، وصلى الله على سيد المرسلين والأنبياء، وعلى آله وصحبه الأتقياء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

إن معالجة النفوس أمرٌ لا بُدَّ منه للإنسان، الذي يشبه المملكة، التي تحتاج إلى إصلاح وإعمارٍ، لكي ترتقي بها إلى أعلى المستويات، فكيف يكون ذلك: أياكون إعمارها باتباعنا الأساليب الملتوية التي تلهينا عن أوامر الخالق؟ أم بانحرافنا عن الجادة التي خطها لنا ربنا في كتابه المجيد، ونبه المصطفى الحبيب صلوات ربي وسلامه عليه.

فإذا أردنا إعمار مملكتنا بالفطرة الإنسانية التي فطرنا الله عليها، فيجب علينا أن نهذب مملكتنا - أي: نفسنا - الأمانة بالسوء، وذلك بوضعها على الطريق السليم، والمنهج القويم، باتباع أوامر مَلِكِ المملكة وسيدها الرب العظيم، ورئيس مملكته النبي الأمين، والإنتهاء عما نهى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عنهما.

ونعمل جاهدين بأن لا يكون لشيطان المملكة المتمثل بالنفس التأثير البالغ علينا، بأن ننحرف عن الجادة، فإذا أطمعناه ندمنا وكان بوارنا، وإذا انفككتنا عنه كان فوزنا وفلاحنا، فهو جادٌ بإغوائنا، قال تعالى على لسانه: ﴿فبِعِزَّتِكَ لأغوينهم أجمعين﴾. نحن جميع أفراد الإنسانية، لكن هل إغواؤه يكون للناس أجمعين؟ لا، لأنه قال: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾.

فإذاً هو جادٌ لإغوائنا وإغواء المملكة التي جهد الإنسان في إعمارها وارتقي بها ورفع مستواها، ليكون نتيجةً لذلك في الآخرة من الذين قال عنهم رب العالمين: ﴿نار وقودها الناس والحجارة﴾.

فإني إن أردت إعمار مملكتي، فإني أعمرها بكباح جهاح نفسي، وإرضاخها لأوامر المولى تبارك وتعالى، ويجعل شيطان مملكتي مبعداً عنها، لكي لا يوسوس لها بالهروب من منفاها والعودة إلى المملكة للفتك بها وبإفسادها، وباغرافها عن الطريق القويم.

فتهذيب نفسي هو أساس مملكتي، وهو عمودها وذروة سنامها.

فبلازونا طاعات ربنا، وبُعدنا عن وسواس شيطاننا، نعيم النفوس، وترتقي.

فإني إذا أردت اليوم متابعة مملكة الآخرين لوجدت أن المسلم اليوم في جميع أنحاء المعمورة قد أصبح مقهوراً مستذلاً من قبل شيطان الكفر والإباحية، فبعد أن كنا متبوعين أصبحنا تابعين.

لماذا أصبح واقعنا هكذا؟ وقد كنا سادات العالم قرونًا، نهدمهم بحضارتنا، وبقيمنتنا، وبأحلافنا، فكانوا يحتنون حنونًا في معاملاتهم.

أهو من مغريات الدنيا التي انكبينا عليها، أم من أنانية الذات، أم من تركنا الكتاب والسنة اللذين هما عصمة أمرنا، فإن استقمنا عليهما سعدنا وأفلحنا.

لقد تهاونا في ديننا فضعنا، لقد تهاونا بالذي إن تمسكنا بهما فلا نضل أبدًا.

لقد اتبعنا دول الغرب الذين هدموا الأخلاق وأشاعوا المنكرات، وأنكروا الفضيلة، ها هم اليوم يخططون من وراء الكواليس إلى إزالة عقدة نفسية في صدورهم اسمها: القرآن الكريم وسنة النبي العظيم.

فهم يعلمون أن الحق والصدق هو بهذا الكتاب المنير، الذي ينير البصائر، ويدفع الوسوس، لكن شيطان مملكتهم أغواهم وأضلهم عن الحادة الصحيحة، إلا ما رحم الله، فمنهم من أبعد شيطانه ونفاه عن مملكته ليصبح نقياً طاهراً سليم الفطرة، يعودته إلى الصراط المستقيم، لكنهم قوبلوا بالعداوة من قبل أعداء الإسلام، لأن شيطانهم اللعين قد أغوى نفوسهم فاتبعوه منقادين لوساوسه وأهوائه.

وإننا اليوم لنشاهد بأعيننا فساد شبابنا وفتياتنا، واغرافهم عن الطريقة السليمة باتباعهم الغرب بأفواهم وأعمالهم وتصرفاتهم، فقد جعلوهم القدوة والمثل، ونسوا أن قدوتنا ومثلنا

الأعلى هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، النبي الكريم الذي زرع في قلوب أصحابه والأجيال المتلاحقة حب الكتاب والسنة والسير عن نهجهما لكي يفلحوا في الدنيا والآخرة، لقد هذب أنفسهم بأن راضهم في بستان القرآن وأهله، في مزرعة الطاعات واجتناب المعاصي، بتركهم حظيرة الكفر، فكانوا قدوة بعد المصطفى صلى الله عليه وسلم اهتدت بهم الأمم والشعوب بأخلاقهم وتصرفاتهم وأحوال معاشهم.

حذارِ حذارِ أخي الشاب المسلم من أساليب الإغواء التي تقدم بأثوابٍ براقَةٍ وفيها يكمن الخطر. فإذا أردت أخي المسلم أن تعود إلى الصفاء والنقاء فعليك بالكتاب والسنة وبتهذيب نفسك، وإني أقدم لك كتاباً يكون سبيلاً لك في تهذيب نفسك هو: **بداية الهداية** لحجة الإسلام الإمام الغزالي الذي راض نفسه وجاهد بها، وطرد شيطان الرعونة، ولبس زيّ الأتقياء، فأنج لنا زبدة مصنفاته في هذه الرسالة التي هي بحق بداية للمبتدي بوضعه على بداية الطريق للرجوع السليم إلى الجادة، فبالعمل بمضمونه تصلح مملكك، وترتقي نفسك، وترتفع همتك إلى الاستزادة من هذا المحيط الذي لا ينفد.

فهذه رسالة **بداية الهداية** ترسخُ أعمدة بناء المملكة وتقومُ أساسها.

هي رسالة إذا طالعها القارئ وجدها صغيرة الحجم، كبيرة الفائدة، تصل الماضي بالحاضر بالمستقبل؛ مليئة بالفوائد والكنوز التي بين صفحاتها وأسطرها، مليئة بما يرجعك إلى الطريقة الحقة، والنور المبين، مليئة بلؤلؤٍ وضياء، يريذك فقط أن تهمل من معارفه وعلومه لتزدي شيطانك وبال أمره الذي أقسم بإغوائنا، لكنك بمجاهدته تقذف به إلى القاع فلا يستطيع أن يقربك ويوسوس لك.

فأصلح مملكك، وخف على رعيتك - التي هي أعضاء جسمك - من النار، فإنك مسؤول عنها يوم المعاد، فلا تبطش بيدك ظلماً ولا تأكل بها المال الحرام، ولا تمس برجلك إلى المساوىء والأقذار، ولا تنظر بعينك إلى المحرمات فتدخل النار، ولا تتكلم بسوءٍ فتفريه سبعين خريفاً في نار السموم، واحفظ فرجك عن الزنا كي لا يكون سبباً في دخولك نار الجحيم المقيم.

رحم الله مؤلف هذه الرسالة، وأدخله الجنة، وحشره وإيانا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

كما أنني أشكر فضيلة العلامة الشيخ، الناقد عبد الله محمد الدرويش الذي زرع فيَّ حبّ متابعة الطريق في سبيل العلم، وحثني عليه في مجال تحقيق التراث الإسلامي، فيسر لي ما أحتاج إليه من مصادر ومراجع تعيني على عملي هذا من خلال مكتبته العامرة المليئة بالمصنفات القديمة والحديثة، ونهني إلى الأخطاء كي أستدركها وأصححها. فجزاه الله عنا كل خير، وجعل هذا العمل في صحيفته يوم القيامة. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خادم العلم الشرف

دمشق:

عبد الحميد محمد الدرويش

١٩ صفر ١٤١٩هـ.

١٤ حزيران ١٩٩٨م

التعريف بكتاب بداية الهداية

هو كتاب قلما يستغني عنه عالم أو متعلم، فهو أول ما يعطى لطالب العلم الشرعي كي يروض نفسه لتحمل مشاق الطريق، ويزكي نفسه بمتابعة رئيس المملكة والأصحاب والتابعين وتابعي التابعين، فيكفي نفسه مؤونه تحفظه إلى أن يلج قبره الذي هو صندوق عمله في الدنيا، معبرة إلى الآخرة ليحاسب بما علم وعمل.

فقد اعتنى به العلماء قديماً وحديثاً ودرس في المعاهد الشرعية والإسلامية للطلبة والمريدين أمثال جامع الأزهر الشريف، وجوامع أخرى في جميع مدن العالم الإسلامي.

وقد قسمه مصنفه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: في الطاعات.

القسم الثاني: في اجتناب المعاصي.

القسم الثالث: القول في آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق سبحانه والخلق.

فهو جامع بحق لحفظ النفس ولغوائها، وصون الأعضاء وحفظها، وإتمام الأخلاق وصيانتها.

وهو من الكتب التي صرح العلماء نسبتها إليه، ومما يثبت صحة نسبة هذا الكتاب لمؤلفه:

١- الإحالات التي أشار فيها المصنف لمؤلفاته الأخرى.

٢- عزرو المصنفين لهذا الكتاب ومنهم ابن الصلاح حيث قال:

من تفردت الغزالي في بداية الهداية في سنة الجمعة بعدها: أن له أن يصلحها ركعتين، وأربعاً، وستاً، قال: فأبعد في ست وشذ^(١).

(١) - نقله ابن السبكي في طبقات الشافعية في ترجمة المؤلف: (٢٨٧/٦).

٣- العبارات التي نقلت من الكتاب ممن بعده من أمثال الحافظ الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء (٣٣٨/١٩) قال:

أخبرنا محمد بن عبد الكريم، أخبرنا أبو الحسن السخاوي، أخبرنا حطبنا بن قمرية الصوفي، أخبرنا سعد بن أحمد الإسفراييني بقراءتي، أخبرنا أبو حامد محمد ابن محمد بن محمد الطوسي قال:

اعلم أن الدين شطران: أحدهما: ترك المناهي، والآخر فعل الطاعات، وترك المناهي هو الأشد، والطاعات يقدرُ عليها كل أحد، وترك الشهوات لا يقدرُ عليها إلا الصديقون، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «المهاجر من هجر السوء، واجتاهد من جاهد هواه». انتهى.

وهذا النصُّ بحروفه في بداية القسم الثاني من هذا الكتاب.

ونستفيد مما نقله الحافظ الذهبي أنَّ هذا الكتاب مروى عن مؤلفه بالسند المتصل، وهذه أقوى الأدلة على صحة نسبه له.

ولأهمية الكتاب اعتنى به العلماء فشرحه:

- عبد القادر بن أحمد الفاكهي المتوفى ٩٨٢هـ.

- محمد بن عمر النووي الجاوي المتوفى سنة ١٣١٦هـ. وهو شرحٌ نفيسٌ على

هذه الرسالة.

وقد وقع بين يدينا منه نسخة قديمة محفوظة في مكتبة العلامة الشيخ النقاد عبد الله محمد الدرويش حفظه الله تعالى. وقد استفدنا منه بالملاحظات الهامة التي ستجدها في حواشي الكتاب إن شاء الله تعالى.

وترجم إلى اللغات العالمية كالإنكليزية والألمانية.

وقد طبع طبعات كثيرة بعضها جيد وكثيرٌ منها يعوزه الضبط والتحقيق.

فأحببت أن أرفده ببعض الفوائد والضبط للنص لكي يسهل على القارئ تناوله والاستفادة من معارفه ولأنال الشرف العناية بهذا السفر القيم.

عملي في هذه الرسالة:

١- ترجمة المصنف.

٢- ضبط النص بالشكل.

٣- إثبات الفوارق بين النسخ المطبوعة.

٤- عزو الآيات إلى أماكنها.

٥- تخريج الأحاديث من مصادرها.

٦- إضافة فصول وجدتها متممة للكتاب موضوعة في حواشيه، منتقاة من كتاب

أدب الدنيا والدين للإمام أبي الحسن البصري الماوردي الشافعي.

٧- وضع عنوانٍ للأبواب بين [٢] .

٨- التنبيه على أخطاء قد شذ بها الإمام الغزالي في المذهب الشافعي.

٩- تبيين الأحاديث التي انفرد بروايتها الغزالي دون غيره.

١٠- فهرس الآيات القرآنية.

١١- فهرس الأحاديث والآثار.

١٢- فهرس موضوعات الكتاب.

الإمام الغزالي في سطور

اسمه: زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي.

لماذا أطلق عليه الغزالي: قال الإمام الذهبي: قرأت بخط النواوي رحمه الله: قال الشيخ تقي الدين ابن الصلاح، وقد سئل: لم سمي الغزالي بذلك، فقال: حدثني من أثنى به، عن أبي الحرم الماكسي الأديب، حدثنا أبو الثناء محمود الفرضي قال: حدثنا تاج الإسلام ابن حميس، قال لي الغزالي: الناس يقولون لي الغزالي، ولست الغزالي، وإنما أنا الغزالي منسوب إلى قرية يقال لها: غزالة، أو كما قال.

وقال الذهبي أيضاً: قوهم: الغزالي، والعطارد، والخبازي، نسبة إلى الصنائع بلسان العجم، جمع ياء النسبة والصيغة

مولده: ولد في طوس سنة ٤٥٠هـ.

أخوته: للغزالي أخ وأعط مشهور، وهو أبو الفتح أحمد، له قبول عظيم في الوعظ.

أولاده: قال الإمام الذهبي: ولم يُعقب إلا البنات.

مذهبه: المذهب الذي سار على نهجه هو مذهب الإمام الشافعي.

علمه: قال الذهبي: صاحب التصانيف والذكاء المفرط.

العلوم التي برع فيها:

١- الفقه.

٢- أصول الفقه.

٣- الكلام والجدل. قال أبو بكر بن العربي: شيوخنا أبو حامد بلع الفلاسفة،

وأراد أن يتقيأهم فما استطاع.

٤- المنطق.

رحلاته: لقد جال حجة الإسلام في أسواق الأرض رحلة في طلب العلم فقد رحل

إلى: نيسابور، وبيت المقدس، وبغداد، وجرجان، والإسكندرية (مصر)، ومكة المكرمة.

شيوخه: من شيوخه الذين حصل العلم على أيديهم وصحبهم في أسفاره:

١- إمام الحرمين: أبو المعالي الجويني.

٢- نصر بن إبراهيم، وهو من الذين صحبهم إلى دمشق.

٣- أبو علي الفارملي.

٤- القاضي أبو الفتح الحاكمي الطوسي.

٥- محمد بن أحمد الخواري.

٦- أبو سهل الحفصي.

٧- أبو نصر الإسماعيلي وأخذ عنه التعليقة بجرجان.

تلامذته وتشجيعه لهم:

١- أبو العباس أحمد الخطيبي.

٢- أسعد نيهني.

٣- أبو بكر بن العربي.

٤- أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح السلمي الدمشقي

الشافعي الفرضي. قال الإمام الذهبي^(١): جمال الإسلام، الشيخ الإمام العالم، مفتي الشام،

أبو الحسن علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح، السلمي الدمشقي الشافعي

الفرضي. قال الغزالي فيما حكاه ابن عساكر أنه قال: خلقت بالشام شاباً إن عاش كان له

شأن، فكان كما تفرس به، ودرس بحلقة الغزالي مدة، ثم ولي تدريس الأمانة في سنة أربع

عشرة... لازم الغزالي مدة في مقامه بدمشق، وهو الذي أمره بالتصديق بعد شيخه نصر

وكان يثني على علمه وفهمه.

زهده ومنهجه: أدى نظره في العلوم وممارسته لأفانين الزهديات إلى رفض الرئاسة،

والإنابة إلى دار الخلود، والتأله، والإخلاص، وإصلاح النفس.

وغلب عليه الخلوة وترك التدريس، ولبس الثياب الخشنة، وتقلل في مطعمومه.

المناصب التي وليها: ولاه نظام الملك تدريس نظامية بغداد.

(١) - سير أعلام النبلاء (١٩/٣١ - ٣٢).

بَدَائَةُ الْهُدَايَةِ

لِحِجَّةِ الْإِسْلَامِ الْإِمَامِ
أَبِي حَامِدِ الْغَزَالِيِّ
(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

ودرس في نظامية نيسابور، وكانت تعقد له حلقات في الزاوية الغربية من الجامع الأموي والتي سميت بعد ذلك بالزاوية الغزالية.

شهادة العلماء له: قال ابن النجار: بلغني أن إمام الحرمين قال: الغزالي بحرٌ مغرق، وإلكيا أسدٌ مطرق، والخوافي نارٌ تحرق.

قال السلفي: سمعت الفقهاء يقولون: كان الجريفي يقول في تلامذته إذا ناظروا: التحقيق للخوافي، والجريان للغزالي، والبيان للكنيا.

وقال: قرأ أبو المعالي (المنحول للغزالي) فقال: دفتني وأنا حي، فهلا صيرت الآن، كتابك غطى على كتابي.

الاعتراضات التي عورض بها: أهم ما اعترض به عليه عدم عنايته بالحديث النبوي الشريف في بداية طلبه للعلم. ولذلك اعتنى في آخر حياته بقراءة كتب السنة فقرأ سنن أبي داود والمولد لابن أبي عاصم ومات وصحيح البخاري على صدره رحمه الله تعالى. مصنفاته: له الكثير من المصنفات وأهمها:

إحياء علوم الدين وأيهما الولد وبداية الهداية والمنقذ من الضلال والوجيز والبسيط والوسيط في الفقه الشافعي. وتهافت الفلاسفة والمنحول والمستصفى في علم أصول الفقه.

ونسب إليه كتب ليست من تأليفه، وإنما وضعت باسمه لترويج. من أمثال: (المضنون به على غير أهله) كما قال ابن الصلاح.

وفاته: قال عبد الغافر الفارسي: توفي يوم الإثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسة مئة، وله خمسون سنة، ودفن بمقبرة الطابران، قسبة بلاد طوس.

مصادر ترجمته:

لقد أفرده القدماء والمحدثون بترجمات مطولة، ومن الذي أخذنا الترجمة عنهم:

- تبين كذب المفزي لابن عساكر: ص ٢٩١ - ٣٠٦.

- المنتخب من السياق لعبد الغافر الفارسي ص ٧٣ - ٧٥ (١٦١).

- سير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٩ - ٣٤٦.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة المؤلف]

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْعَلَامَةُ، حُجَّةُ الْإِسْلَامِ، وَبَرَكَةُ الْأَنْامِ، أَبُو حَامِدٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْغَزَالِيُّ الطُّوسِيُّ، قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ، وَنُورَ ضَرِيحَهُ آمِينَ:
الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ (رَسُولِهِ وَعَبْدِهِ) ^(١)،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

أَمَّا نَعْدُ:

فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْحَرِيصُ، الْمُقْبِلُ عَلَى (اِقْتِبَاسِ الْعِلْمِ) ^(٢)، الْمُظْهِرُ (مِنْ نَفْسِهِ) ^(٣) صِدْقَ
الرَّغْبَةِ، وَفَرَطَ التَّعَطُّشِ إِلَيْهِ، أَنَّكَ إِنْ كُنْتَ تَقْصُدُ بِطَلْبِ الْعِلْمِ الْمُنَافَسَةَ وَالْمُبَاهَاةَ، وَالتَّقَدُّمَ
عَلَى الْأَقْرَانِ، وَاسْتِمَالَةَ وَجْهِ النَّاسِ إِلَيْكَ، وَجَمْعَ حُطَامِ الدُّنْيَا، فَأَنْتَ سَاعٍ فِي هَذِهِ
دِينِكَ، وَهَلَاكٍ لِنَفْسِكَ، وَيَبِيعَ آخِرَتِكَ بِدُنْيَاكَ، فَصَفَقْتُكَ خَاسِرَةً، وَتَجَارَتَكَ بِاسْتِرَّةٍ،
وَمُعْلَمُكَ مُعَيَّنٌ لَكَ عَلَى عَصِيَانِكَ، وَشَرِيكَ لَكَ فِي خُسْرَانِكَ، وَهُوَ كَبَائِعٌ سَيُفْرِجُ مِنْ
قَاطِعِ طَرِيقِي، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَعَانَ عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ،
كَانَ شَرِيكًا لَهُ فِيهَا» ^(٤).

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - أي: الاستفادة من المعلم وفي نسخة: (اقتناص العلم) بالنون ثم الصاد، أي: اصطيداً فحينئذ
شبه العلم بالصيد في كون كل يحتاج إلى الحيلة والسياسة. (مراقي العبودية ص ٣).

(٣) - في نسخة: (من نفسك) بالخطاب. (مراقي العبودية ص ٣).

(٤) - لم أجد في مصادر التخريج بهذا اللفظ. وإنما بلفظ: «من أعان على قتل مؤمنٍ بشطر كلمة،
لقي الله عز وجل، مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله». أخرجه ابن ماجة (٢٦٢٠) عن أبي
هريرة. بإسناد ضعيف. وانظر الجامع الصغير: (٨٤٩٧) بتحقيق شيخنا. وأخرجه البيهقي في السنن

وَأِنْ كَانَتْ يَتُّكَ وَقَصْدُكَ يَتُّكَ وَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ الْهِدَايَةَ دُونَ مُحَرِّدِ
الرَّوَايَةِ فَأَبْشِيرْ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَبْسُطُ أَجْنِحَتَهَا إِذَا مَشَيْتَ، وَحَيَّتَانِ الْبَحْرِ تَسْتَغْفِرُ لَكَ إِذَا
سَعَيْتَ ^(١).

وَلَكِنْ يُبَغِّي لَكَ ^(٢) أَنْ تَعْلَمَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ أَنَّ الْهِدَايَةَ ^(٣) هِيَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ لَهَا بَدَايَةُ
وَنَهَايَةُ، وَظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، وَلَا وَصُولٌ إِلَى نَهَائِهَا إِلَّا بَعْدَ إِحْكَامٍ ^(٤) بِدَائِهَا، وَلَا غُثُورٌ ^(٥)
عَلَى بَاطِلِهَا إِلَّا بَعْدَ الْوُقُوفِ عَلَى ظَاهِرِهَا ^(٦).

الكبرى (٢٢/٨) وفيه: (مكتوب على جبهته) بدل: (مكتوب بين عينيه). وأبو نعيم في الحلية:
(٧٤/٥). والزيلعي في نصب الراية: (٣٢٦/٤).

(١) - اقبس المصنف عبارته من قوله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقاً يُبَغِّي فيه علماً
سلك الله له طريقاً إلى الجنة، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لَطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ
مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْخَيْتَانِ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى
سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهماً، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ
أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَقٍّ وَافِرٍ». أخرجه الترمذي (٢٦٨٢) عن أبي الدرداء.

(٢) - قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص ٤): (ولكن ينبغي) أي يطلب (لك)
العبادة مع العلم وإلا كان علمك هباءً منثوراً، فإن العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها
فيجب عليك أولاً أن تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه وصفاته ذاته وما يجب له
وما يستحيل في نفعه فربما تعتقد فيه وفي صفاته شيئاً مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباءً منثوراً وذلك
أن تعرف أن لك إلهاً عالماً قادراً مريداً حياً متكلماً سميعاً بصيراً منفرداً بالقدم عن كل محدث واحد لا
شريك له متصفاً بصفات الكمال منزهاً عن النقائص والزوال ودلالات الحدوث....

(٣) - أي: سلوك الطريقة إلى الله تعالى.

(٤) - أي: إثبات.

(٥) - أي: لأعلم. وفي نسخة: (لا عبور) بالياء الموحدة أي: لا مرور.

(٦) - قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص ٥): ومثل بعضهم بالسفينة
والطريقة بالبحر، والحقيقة باللؤلؤ فلا يتحصل اللؤلؤ إلا من البحر ولا يتوصل إلى لجة البحر إلا
بالسفينة.... قال أبو علي الدقاق: العبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودة لخاص
الخواص.

وَهَا أَنَا مُشِيرٌ عَلَيْكَ بِيَدَايَةِ الْهُدَايَةِ لِتَجَرَّبَ بِهَا نَفْسُكَ، وَتَمْتَحَنَ بِهَا قَلْبُكَ.
فَإِنْ صَادَقَتْ قَلْبُكَ إِلَيْهَا مَائِلًا، وَنَفْسُكَ بِهَا مُطَارِعَةً وَلَهَا قَابِلَةً، فَذُوقْكَ التَّطَلُّعَ^(١) إِلَى
الْغَايَاتِ، وَالتَّغَلُّلَ فِي بَحَارِ الْعُلُومِ.
وَإِنْ صَادَقَتْ قَلْبُكَ عِنْدَ مُوَاجَهَتِكَ إِيَّاهَا مُسَوِّفًا، وَبِالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا مَمَاطِلًا؛
فَاعْلَمْ (أَيُّهَا الطَّالِبُ)^(٢) : أَنَّ نَفْسَكَ الْمَائِلَةَ إِلَى طَلَبِ الْعِلْمِ هِيَ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ
بِالسُّوءِ^(٣) ، وَقَدْ انْتَهَضَتْ مُطِيعَةً لِلشَّيْطَانِ اللَّعِينِ، لِيُذِلَّكَ بِحَبْلِ غُرُورِهِ، فَيَسْتَدْرِجُكَ
بِمَكِيدَتِهِ إِلَى غَمْرَةِ الْهَلَاكِ^(٤) ، وَقَصْدُهُ أَنْ يُرَوِّجَ عَلَيْكَ الشَّرَّ فِي مَعْرِضِ الْخَيْرِ حَتَّى
يُلْجِقَكَ ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾^(٥) ، الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤]. وَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ عَلَيْكَ الشَّيْطَانُ فَضْلَ الْعِلْمِ
وَدَرَجَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمَا وَرَدَ فِيهِ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ^(٦) ، وَيُلْهِيكُ عَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم: «مَنْ أَزْدَادَ عِلْمًا وَلَمْ يَزِدْ هُدًى لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا»^(٧).

وَعَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ
بِعِلْمِهِ»^(٨).
وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا
يَخْشَعُ، وَعَمَلٍ لَا يُرْفَعُ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»^(٩).
وَعَنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي بِأَقْوَامٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ
بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: كُنَّا نَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلَا نَأْتِيهِ، وَنَنْهَى عَنِ الشَّرِّ
وَنَأْتِيهِ»^(١٠).
فَيَاكَ يَا مُسْكِنُ أَنْ تُدْعِنَ لِتَزُورِيهِ، (فَيُذِلَّكَ)^(١١) بِحَبْلِ غُرُورِهِ، فَوَيْلٌ لِلْجَاهِلِ حَيْثُ لَمْ
يَتَعَلَّمْ سِرَّةً وَاحِدَةً. وَوَيْلٌ لِلْعَالِمِ حَيْثُ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا عِنَّمَا أَلْفَ مَرَّةً.
وَأَعْلَمْ أَنَّهُ^(١٢) النَّاسَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ^(١٣) عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ:

- (١) - أخرجه الطبراني في الصغير (٥٠٨). والبيهقي في الشعب: (١٧٧٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
- (٢) - أخرجه أحمد (٢٥٥/٣) عن أنس رضي الله عنه. وفيه: (قول لا يسمع) بدل: (دعاء لا يسمع). وأخرجه الحاكم (١٠٤/١) عن ابن مسعود رضي الله عنه.
- (٣) - أخرج أحمد (١٨٠/٣) رقم (١٢٨٥٦) عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مررت ليلة أُسري بي على قوم تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءُ حُطْبَاءُ أَمْتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِسْلَامِ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟».

- (٤) - في نسخة: (وتدلي).
- (٥) - في نسخة من المطبوع: (رحمك الله أن).
- (٦) - ونذكر هنا في هذا المجال ما يكون سبباً في تقصير طالب العلم، وخير ما قيل في ذلك وجمع جميع تلك الأسباب الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٧١ - ٧٨): ولذلك أسباب فاسدة، ودواعٍ واهية: فمنها: أن يكون في النفس أغراضٌ تختصُّ بنوعٍ من العلم، فيدعوه الغرضُ إلى قصد ذلك النوع، ويعيدُ عن مقدماته، كرجل يؤثر القضاء، ويتصدى للحكم، فيقصد من علم الفقه إلى أدب القاضي، وما يتعلق به من الدعوى والبيئات. أو يحب الاتسام بالشهادة، فيتعلم كتاب الشهادات،

- (١) - في المطبوع: (والتطلع).
- (٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.
- (٣) - قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].
- (٤) - أي: شدته.
- (٥) - أي: الذين اتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلاً فنالوا هلاكاً.
- (٦) - وهي أقوال الصحابة والتابعين. قال الربيع: العلماء سرج الأزمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل زمانه. (مراقي العبودية ص ٥).
- (٧) - أخرجه الديلمي في الفردوس (٥٨٨٧) عن علي بن أبي طالب بلفظ: «من ازداد علماً ولم يزد في الدنيا زهداً لم يزد من الله عز وجل إلا بُعداً». وأورده السيوطي في الجامع الصغير (٨٤٢٣) بإسناد ضعيف جداً. بتحقيق شيخنا. وأورده العجلوني في كشف الخفاء: (٢٤٠٢) وقال: ... وقال السخاوي: وفي لفظ: «ثم ازداد للدنيا حباً ازداد من الله غضباً». وانظره أيضاً في إتحاف السادة المتقين: (١٢٣/٣ و ٤٤٧/٨). والدرر المنتثرة: (١٤٥). وكنز العمال: (٢٩٠١٦). وتختصر المقاصد الحسنة: (٩٩٣).

لئلا يصير موسوماً بجهل ما يعاني، فإذا أدرك ذلك ظن أنه قد حاز من العلم جمهوره، وأدرك منه مشهوره، ولم يرَ ما بقي منه إلا غامضاً، طئيئ غناءً، وعويصاً، استخراجاً فناءً؛ لقصور همته على ما أدرك، وانصرافها عما ترك، ولو نصح نفسه لعلم أن ما ترك أهمُّ مما أدرك؛ لأن بعض العلم مرتبط ببعض، ولكل باب منه تعلق بما قبله، ولا تقوم الأواخر إلا بأوائلها، وقد يصح قيام الأوائل بأنفسها، فيصير طلب الأواخر بترك الأوائل، تركاً للأواخر والأوائل؛ فإذا ليس يعرى من لوم، وإن كان تاركُ الكلِّ ألوم. ومنها: أن يحبُّ الاشتهار بالعلم، إما لتكسب أو لتجمل، فيقصّد من العلم ما يشتهر به؛ من مسائل الجدل، وطريق النظر، ويتعاطى علم ما اختلف فيه، دون ما اتفق عليه، لينظر على الخلاف، وهو لا يعرف الوفاق، ويجادل الخصوم، وهو لا يعرف مذهباً مخصوصاً.

وقد رأيت من هذه الطبقة عدداً قد تحقّقوا بالعلم تحقّق المتكلمين، واشتهروا به اشتهار المتبحرين؛ إذا أخذوا في مناظرة الخصوم ظهر كلامهم، وإذا سئلوا عن واضح مذهبهم ضلت أفهامهم؛ حتى إنهم ليخطئون في الجواب حبط عشاء، فلا يظهر لهم صواب، ولا يتقرر لهم جواب، ثم لا يرون ذلك نقصاً، إذا تمقّوا في المجالس كلاماً موصوفاً، ولفقوا على المخالف حجاجاً مألوفاً، وقد جهلوا من المذاهب ما يعلمه المبتدئ، ويتداوله الناشئ، فهم دائماً في لغطٍ مضلٍّ، أو غلطٍ مُذِلٍّ. ورأيت قوماً منهم يرون الاشتغال بالمذهب تكلفاً، والاستكثار منه تحلفاً، وحاجّتي بعضهم عليه، فقال: لأن علم حافظ المذهب مستور، وعلم المناظر عليه مشهور. فقلت: كيف يكون علم حافظ المذهب مستوراً وهو سريع الجواب، كثير الصواب؟ فقال: لأنه إن لم يُسأل سكت، فلم يعرف، والمناظر إن لم يُسأل سأل فعرف. فقلت: أليس إذا سئل الحافظ فأصاب بياناً فضله؟ قال: نعم. قلت: أفليس إذا سئل المناظر فأخطأ بانقصه، وقد قيل: عند الامتحان يُكرم المرءُ أو يهان؟ فأمسك عن جوابي، لأنه إن أنكر كابر المعقول، ولو اعترف لزمته الحجة، والإمساك إذعان، والسكوت رضا، ولأن ينقاد إلى الحق أولى من أن يستغربه الباطل. وهذه طريقة من يقول: اعرفوني، وهو غير عرُوفٍ ولا معروف، وبعيد ممن لا يعرف العلم أن يعرف به. وقد قال زهير:

ومهما تكن عند امرئٍ من حليقةٍ وإن حالها تخفى على الناس تعلم

ومن أسباب التقصير أيضاً: أن يغفل عن التعلم في الصغر، ثم يشتغل به في الكبر، فيستحي أن يتدبّر بما يتدبّر به الصغير، ويستتكمف عن أن يساويه الحدث الغرير، فيبدأ بأواخر العلوم وأطرافها، ويهتم بحواشئها وأكتافها، ليتقدم على الصغير المبتدئ، ويساوي الكبير المنتهي، وهذا ممن رضي بخداع نفسه، وقنع بمداينة حسه؛ لأن معقوله إن أحس، ومعقول كل ذي حس يشهد بفساد هذا التصور،

وينطق باختلال هذا التحيل؛ لأنه شيء لا يقوم في وهم، ولجهل ما يتبدى به المتعلم أقبح من جهل ما ينتهي إليه العالم، وقد قال الشاعر:

ترقى إلى صغير الأمر حتى يرقبك الصغير إلى الكبير

فتعرف بالتفكير في صغير كبيراً بعد معرفة الصغير

ولهذا المعنى وأشباهه كان التعلم في الصغر أحمد. روى مروان بن سالم، عن إسماعيل، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الحجر، والذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء». وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: قلبُ الحَدَثِ كالأراضي الخالية، ما ألقى فيها من شيء قبلته. وإنما كان كذلك؛ لأن الصغير أفرغ قلباً، وأقل شغلاً، وأيسر تبذلاً، وأكثر تواضعاً. وقد قيل في منثور الحكم: المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً. فاما أن يكون الصغير أضبط من الكبير إذا عرِيَ من هذه الموانع، وأوعى منه إذا خلا من هذه القواطع، فلا. حكى أن الأحنف بن قيس سمع رجلاً يقول: التعلّم في الصغر كالنقش على الحجر. فقال الأحنف: الكبير أكثر عقلاً، ولكنه أشغل قلباً. ولعمري لقد فحَصَ الأحنف عن المعنى وبيّنه، ونبه على العلة، لأن قواطع الكبير كثيرة؛ فمنها ما ذكرنا من الاستحياء. وقد قيل في منثور الحكم: من رَقَّ وجهه رَقَّ علمه. وقال الخليل بن أحمد: يرتع الجهل بين الحياء والكبر في العلم. ومنها: وفور شهواته، وتقسم أفكاره. وقد قال الشاعر:

صرفُ الهوى عن ذي الهوى عزيز إن الهوى ليس له تمييز

ومنها: الطوارق المزعجة، والهجوم المذهلة؛ وقد قيل في منثور الحكم: الهَمُّ قيد الخواص. وقال بعض البلغاء: من بلغ أشده، لاقى من العيش أشده. ومنها: كثرة اشتغاله وترادف أحواله، حتى إنها لتستوعب زمانه، وتستنفد أيامه، فإذا كان ذا رئاسة أهتسه، وإن كان ذا معيشة قطعت، ولذلك قيل: تفقهوا قبل أن تسودوا. وقال بزرجمهر: الشغل مجهدة، والفراغ مفسدة. فينبغي لطالب العلم ألا يسي في طلبه، ويتنزه الفرصة به، فرما شغ الزمان بما سمح، وضنّ بما منع ويتبدى من العلم بأوليه، ويأتيه من مدخله، ولا يتشاكل بطلب ما لا يضر جهله، فيمنعه ذلك من إدراك ما لا يسع جهله، فإن لكل علم فضولاً مذهلة، وشذوراً مشغلة، إن صرف إليها نفسه قطعت عما هو أهم منها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا من كل شيء أحسنه. وقال المؤمنون: ما لم يكن من العلم بارعاً، فبطون الصحف أولى به من قلوب الرجال. وقال بعض الحكماء: برك ما لا يعينك تدرك ما يعينك، ولا ينبغي أن يدعوه ذلك إلى ترك ما استصعب عليه، إشعاراً لنفسه أن ذلك من فضول علمه، وإعذاراً لها في ترك الاشتغال به؛ فإن ذلك مطية النوكى، وعذرُ المقصرين،

١- رَجُلٌ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيَتَّخِذَهُ زَادَهُ إِلَى الْمَعَادِ، وَلَمْ يَقْصُدْ بِهِ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ وَالْدَارَ الْآخِرَةَ، فَهَذَا مِنَ الْفَائِزِينَ^(١).

٢- وَرَجُلٌ طَلَبَهُ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى حَيَاتِهِ الْعَاجِلَةِ، وَيُنَالَ بِهِ الْعِزَّ وَالْحَيَاةَ وَالْمَالَ، وَهُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ، مُسْتَشْعِرٌ فِي قَلْبِهِ رَكَاكَةَ خَالِهِ، وَخِصَّةَ مَقْصِدِهِ^(٢)، فَهَذَا مِنَ الْمُخَاطِرِينَ فَإِنْ

ومن أخذ من العلم ما تسهل، وترك منه ما تعذر، كان كالقناص، إذا امتنع عليه الصيد تركه، فلا يرجع إلا حائياً، إذ ليس يرى الصيد إلا ممتنعاً، كذلك العلم: طلبه صعب على من جهله، سهل على من علمه؛ لأن معانيه التي يتوصل إليها مستودعة في كلام مترجم عنها، وكل كلام مستعمل فهو يجمع لفظاً مسموعاً، ومعنى مفهوماً؛ فاللفظ كلام يعقل بالسمع، والمعنى تحت اللفظ يفهم بالقلب. وقد قال بعض الحكماء: العلوم مطالعها من ثلاثة أوجه: قلب مفكر، ولسان معبر، وبيان مصور؛ فإذا عقل الكلام بسمعه فهم معانيه بقلبه، وإذا فهم المعاني، سقطت عنه كلفة استخراجها، وبقي عليه معاناة حفظها واستقرارها؛ لأن المعاني شوارد تفضل بالإغفال، والعلوم وحشية تنفر بالإرسال، فإذا حفظها بعد الفهم أنست، وإذا ذاكر بها بعد الأنس رست. وقد قال بعض الحكماء: من أكثر المذاكرة بالعلم لم ينس ما علم، واستفاد ما لم يعلم. وقال الشاعر:

إذا لم يُذاكر ذو العلوم بعلمه ولم يستفد علماً نسي ما تعلم

فكم جامع للكذب في كل مذهب يزيّد مع الأيام في جمعه عى

(١) - أي: الناجين من عذاب الله تعالى اللاحقين بالخير. وعلامة عالم الآخرة وهي: عدم طلب الدنيا بالعلم وكون قصده بالاستغفال بالعلوم نيل سعادة الآخرة فيكون معنياً بعلم الباطن سائساً لقلبه بمجاهدة النفس وكون اعتماده في العلوم على اتباع صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله. وعلامة عدم طلب الدنيا بالعلم، أن يكون أول عامل بالأمر ومجتنب للنهي وأن يكون مجتنباً ترفه مطعم ومسكن وملبس وأن يكون منعزلاً متقيضاً عن مخالطة السلطان إلا النصيح له أو لرد مظالم إلى أربابها أو للشفاعاة في مرضاة الله تعالى وأن لا يكون مسارعاً إلى الفتاوى كأن يبدل على من هو أعلم منه. (مراقي العبودية ص ٦).

(٢) - أي: مقصوده.

عَاجِلَهُ أَحْلَهُ قَبْلَ التَّوْبَةِ خِيفَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ، وَأَصَافَ إِلَى الْعِلْمِ الْعَمَلَ، وَتَذَارَكَ مَا فَرَطَ فِيهِ مِنَ الْخَلَلِ، التَّحَقَّ بِالْفَائِزِينَ، فَإِنْ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»^(١).

٣- وَرَجُلٌ تَأَلَّثَ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ، فَاتَّخَذَ عِلْمَهُ ذَرِيعةً إِلَى التَّكَاتُرِ بِالْمَالِ، وَالتَّفَاخُرِ بِالْحَيَاةِ، وَالتَّعَزُّزِ بِكَثْرَةِ الْأَتْبَاعِ، (و)^(٢) يَدْخُلُ بَعْلِمِهِ^(٣) كُلُّ مَذْخَلٍ، رَجَاءً أَنْ يَقْضِيَ مِنَ الدُّنْيَا وَطَرَةً^(٤)، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُضْمِرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ (بِمَكَانَةٍ)^(٥) لَا تَسَامِيهِ (بِسِيَمَةِ)^(٦) الْعُلَمَاءِ، وَتَرْسُمُو بِرُسُومِهِمْ^(٧) فِي الزَّيِّ وَالْمُنْطِقِ، مَعَ تَكَايُلِهِ عَلَى الدُّنْيَا ظَاهِراً وَبَاطِناً، فَهَذَا مِنَ الْهَالِكِينَ، وَمِنَ الْحَمَقَى الْمَعْرُورِينَ.

إِذِ الرَّجَاءُ مُنْقَطِعٌ عَنْ تَوْفِيهِ لِطَنِّهِ أَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]. وَهُوَ مِمَّنْ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا مِنْ غَيْرِ الدَّجَالِ أَخَوْفَ عَلَيْكُمْ مِنَ الدَّجَالِ»، فَقِيلَ: (و)^(٨) مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «عُلَمَاءُ السُّوءِ»^(٩)، وَهَذَا لِأَنَّ الدَّجَالَ غَايَتُهُ الْإِضْطِلَالُ.

(١) - أخرجه ابن ماجة (٤٢٥٠) والبيهقي في المسنن الكبير: (١٥٤/١٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - أي: بمكر بعلمه مكرراً كثيراً قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْذَرُوا إِيْمَانَكُمْ دَخَلُوا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل: ٩٤].

(٤) - أي: حاجته.

(٥) - في نسخة: (ممكان). قال الإمام محمد نووي الجاوي (ص ٧): قال شيخنا يوسف السبلاوي: أي: عظمة وارتفاع وهو مصدر مكن بضم الكاف كذا في المصباح وذكر الجوهري في فصل الكاف أن المكانة بمعنى المنزلة وهو من كان وفي فصل الميم بمعنى الاستقامة وهو من مكن.

(٦) - في نسخة: (بسمه).

(٧) - أي: بصورتهم.

(٨) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٩) - أخرج أحمد (١٤٥/٥) رقم (٢١٣٥٤) عن أبي ذر قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لغير الدجال أخوفي على أمتي» قالها ثلاثاً، قال: قلت: يا رسول الله، ما هذا الذي

وَيَبْلُغُ هَذَا: الْعَالَمُ وَإِنْ صَرَفَ النَّاسَ عَنِ الدُّنْيَا بِلِسَانِهِ وَمَقَالِهِ، فَهُوَ دَاعٍ لَهُمْ إِلَيْهَا بِأَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَلِسَانُ الْحَالِ (أَنْطَقُ) ^(١) مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ، وَطِبَاحُ النَّاسِ إِلَى (الْمُسَاعَدَةِ) ^(٢) فِي الْأَعْمَالِ أَمِيلٌ (إِلَيْهَا مِنْ) ^(٣) الْمُتَابَعَةِ فِي الْأَقْوَالِ.

فَمَا أَفْسَدَهُ هَذَا الْمَغْرُورُ بِأَعْمَالِهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَصْلَحَهُ بِأَقْوَالِهِ، إِذْ لَا يَسْتَجِرُّهُ الْجَاهِلُ عَلَى الرُّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِاسْتِجْرَاءِ الْعُلَمَاءِ، فَقَدْ صَارَ عِلْمُهُ سَبَبًا لِحُرْأَوْ عِبَادِ اللَّهِ عَلَى مَعَاصِيهِ، وَنَفْسُهُ الْجَاهِلَةُ مُدْلَةٌ ^(٤) مَعَ ذَلِكَ تُمْنِيهِ ^(٥) وَتُرْجِيهِ ^(٦)، وَتَدْعُوهُ إِلَى أَنْ يَمُنَّ عَلَى اللَّهِ بِعِلْمِهِ، وَتُخِيلَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ.

فَكُنْ إِلَيْهَا الطَّالِبُ مِنَ الْفَرِيقِ الْأَوَّلِ. وَاحْذَرُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْفَرِيقِ الثَّانِي، فَكَمْ ^(٧) مِنْ مُسَوِّفٍ عَاجِلُهُ الْأَجَلَ قَبْلَ التَّوْبَةِ فَخَسِرَ ^(٨).

غير الدجال أخوفك على أمتك؟ قال: «أئمة مضلين». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢١٢): رواه أحمد، وفيه: ابن طهية، وحديثه حسن، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

وأخرج الطبراني في الكبير (٧٦٥٣) عن أبي أمامة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لست أخاف على أمتي جوعاً يقتلهم ولا عدواً يجتاحهم ولكني أخاف على أمتي أئمة مضلين، إن أطاعوهم فتنوهم، وإن عصوهم قتلوهم». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢١٨): رواه الطبراني، وفيه من لم أعرفه. وقال شيخنا في تحقيقه للمجمع: وكل رجاله مترجمون، وفيه: عبد الله بن رجاء الشامي، قال أبو حاتم: مجهول. وأبو عبد الله مريح: وثقه ابن حبان وباقى رجاله ثقات.

(١) - في نسخة: (أفصح). أي: أوضح.

(٢) - في نسخة: (المساهمة).

(٣) - في نسخة: (منها إلى).

(٤) - والمثلة: بضم الميم وكسر الدال من أدل بهمة الصيرورة كما في الصحاح ومعنى ذلك: أن النفس صارت دلالاً، أي: ملاعبة مع صاحبها. (مراقي العبودية ص ٨).

(٥) - أي: تأمره النفس بأن يتمنى ما بعد حصوله كالجنة والثواب العظيم.

(٦) - أي: تأمره نفسه بأن يترجى ما سهل حصوله كالمال وكثرة الأتباع.

(٧) - الفاء للتعليل، أي: لأن كثيراً.

(٨) - أي: ضل وهلك. ويجوز بالحاء المهملة بمعنى: حزن وندم في الآخرة فلم ينفعه الندم.

وإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْفَرِيقِ الثَّالِثِ، فَتَهْلِكَ هَلَاكاً لَا يُرْجَى مَعَهُ فَلَا حُكَّ، وَلَا يُنْتَظَرُ صَلَاحُكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا بِدَايَةِ الْهَدَايَةِ لِأُحَرِّبَ بِهَا نَفْسِي؟

فَاعْلَمْ: أَنَّ بِدَايَتَهَا ظَاهِرَةُ التَّقْوَى، وَنَهَايَتَهَا بَاطِنَةُ التَّقْوَى. فَلَا عَاقِبَةَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، وَلَا هِدَايَةَ إِلَّا لِلْمُتَّقِينَ.

وَالْتَّقْوَى: عِبَارَةٌ عَنْ امْتِنَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ، فَهُمَا قِسْمَانِ:

وَهَا أَنَا أَشِيرُ عَلَيْكَ (بِجَمَلٍ) ^(١) مُخْتَصِرَةً مِنْ ظَاهِرِ عِلْمِ التَّقْوَى فِي الْقِسْمَيْنِ جَمِيعاً.

(وَالْحَقُّ بِهِ قِسْمًا ثَالِثًا يُصَيِّرُ هَذَا الْكِتَابُ جَامِعاً مُغْنِياً. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ) ^(٢).

(١) - في نسخة: (بجملة).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

القِسْمُ الْأَوَّلُ في الطَّاعَاتِ

اغْلَمْ: أَنَّ أَوَامِرَ اللَّهِ تَعَالَى: فَرَائِضٌ وَنَوَافِلٌ.

فَالْفَرَضُ: رَأْسُ الْمَالِ، وَهُوَ أَصْلُ التَّجَارَةِ، وَبِهِ تَحْصُلُ النِّجَاحُ.

وَالنَّفْلُ: هُوَ الرِّبْحُ، وَبِهِ الْفُرُزُ (بِالدَّرَجَاتِ)^(١). قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ الْمُتَقَرِّبُونَ بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ^(٢) حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا^(٣)».

وَلَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا الطَّلِبُ إِلَى الْقِيَامِ بِأَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى، إِلَّا بِمُرَاقَبَةِ قَلْبِكَ وَجَوَاحِرِكَ، فِي لَحْظَاتِكَ وَأَنْفَاسِكَ، مِنْ حِينَ تُصْبِحُ إِلَى حِينَ تُمَسِي.

فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى ضَمِيرِكَ، وَمُشْرِفٌ عَلَى ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ، وَمُحِيطٌ بِجَمِيعِ لَحْظَاتِكَ وَخَطَوَاتِكَ وَسَائِرِ سَكَنَاتِكَ وَحَرَكَاتِكَ، وَأَنَّكَ فِي

(١) - في نسخة: (في الدرجات).

(٢) - قال الإمام محمد نوي الجاوي (ص ٨ - ٩): والمراد بالنوافل هي: النوافل الواقعة ممن أدى الفرائض لا ممن ترك شيئاً منها كما قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.

(٣) - قال الإمام محمد نوي الجاوي (ص ٩): والحاصل: أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل قرب الله تعالى إليه ورفاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان فيصير يعبد الله تعالى على الحضور والشوق إليه تعالى حتى يصير مشاهداً له تعالى بعين البصيرة فكأنه يراه تعالى فحيث تمتلئ قلبه بمعرفة ومحبة ثم لا تزال محبته تتزايد حتى لا يبقى في قلبه غيرها فلا تستطيع جوارحه أن تبعث إلا بموافقة ما في قلبه وهذا هو الذي يقال فيه: لم يبق في قلبه إلا الله، أي: معرفته ومحبة وذكره.

مُخَالَطَتِكَ وَخَلَوَاتِكَ مُرَدَّدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَا يَسْكُنُ فِي الْمُلْكِ وَالْمَمْلُكُوتِ سَاكِنٌ، وَلَا يَنْحَرُّكَ مَنَحَرُّكَ، إِلَّا وَجِبَارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ^(١) وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]. ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

فَتَأَذَّبْ إِلَيْهَا الْمُسْكِنِينَ ظَاهِراً وَبَاطِناً بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى تَأَذَّبِ الْعَبْدَ الذَّلِيلَ الْمُذْنِبَ فِي حَضْرَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ الْقَهَّارِ.

وَأَجْتَهِدْ أَنْ لَا يَرَاكَ مَوْلَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ، وَلَا يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ، وَلَنْ تَقْدِرَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا بِأَنْ تُوزَّعَ أَوْقَاتُكَ، وَتُرْتَبَّ أَوْرَادُكَ مِنْ صَبَاحِكَ إِلَى مَسَائِكَ، فَاصْنَعْ إِلَى مَا يُلْقَى إِلَيْكَ مِنْ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ مِنْ حِينَ تَسْتَيْقِظُ مِنْ مَنَامِكَ إِلَى وَقْتِ رُجُوعِكَ إِلَى مَضْجَعِكَ.

(فَصْلٌ فِي^(٢) آدَابِ الاسْتَيْقَاطِ مِنَ النَّوْمِ)

فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ مِنَ النَّوْمِ، فَاجْتَهِدْ أَنْ تَسْتَيْقِظَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا يَجْرِي عَلَى قَلْبِكَ وَلِسَانِكَ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى، فَقُلْ عِنْدَ ذَلِكَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ^(٣)»، أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ، وَالْعِزَّةُ لِلَّهِ، وَالْعِزَّةُ

(١) - أي: خيانتها التي هي أخفى ما يقع من أفعال الظاهر وهو الإشارة بالعين كذا قاله الشريبي.

ويصح أن يكون ذلك من إضافة الصفة للموصوف، أي: العين الخائنة بمسارقتها النظر إلى مالا يحل. (مراقي العبودية ص ٩).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - أخرج البخاري (٦٣١٢ و ٦٣٢٤ و ٧٣٩٤) والترمذي (٣٤١٣) وأبو داود

(٥٠٤٩) عن حذيفة وعن أبي ذر رضي الله عنهما.

(٤) - أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٨) عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما

قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: «أصبحنا وأصبح الملك لله عز وجل،

[آداب اللباس]

فَإِذَا لَبَسْتَ ثِيَابَكَ فَانَوِّ بِوَ امِثَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي سِتْرِ عَوْرَتِكَ، وَاحْذَرُ أَنْ يَكُونَ قَصْدُكَ مِنْ لِبَاسِكَ مُرَآةَ الْخَلْقِ فَتَخْسَرَ^(١).

آداب دخول الخلاء

فَإِذَا قَصَدْتَ بَيْتَ الْمَاءِ لِقَضَاءِ الْحَاجَةِ، فَقَدِّمْ فِي الدُّخُولِ رَجُلَكَ الْيُسْرَى، وَفِي الْخُرُوجِ رَجُلَكَ الْيُمْنَى^(٢)، وَلَا تَسْتَصْحِبْ شَيْئاً عَلَيْهِ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولُهُ، وَلَا تَدْخُلْ حَاسِرَ الرَّأْسِ^(٣) وَلَا حَافِي الْقَدَمَيْنِ.
وَقُلْ عِنْدَ الدُّخُولِ: «بِسْمِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الرَّجْسِ النَّجِسِ، الْخَبِيثِ الْمُخْبِثِ، الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»^(٤).
وَعِنْدَ الْخُرُوجِ: «غُفْرَانُكَ»^(٥)، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي مَا يُؤْذِينِي وَأَبْقَى عَلَيَّ مَا يَنْفَعُنِي»^(٦).

(١) - أي: فتهلك.

(٢) - ومثل بيت الماء كل ما لبس شريفاً ولو خرج من مستقذر إلى مستقذر قدم يساره كذا أفادني الوناني. (مراقي العبودية ص ١١).

(٣) - قال ابن قدامة في المغني (٢٢٦/١): ويستحب أن يغطي رأسه، لأن ذلك يروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أخرج أبو نعيم في الحلية (١٨٢/٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء غطى رأسه.

(٤) - أخرجه ابن ماجه (٢٩٩) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

وَالْقُدْرَةُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(١)، اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ^(٢)، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَجْتَرِحَ فِيهِ سُوءاً، أَوْ نَجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ^(٣) أَوْ يَجْرَهُ أَحَدٌ إِلَيْنَا، نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ، وَخَيْرَ مَا فِيهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذَا الْيَوْمِ، وَشَرِّ مَا فِيهِ^(٤)».

والحمد لله والكبرياء والعظمة لله، والخلق والأمر والليل والنهار، وما سكن فيهما الله تعالى، اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحاً، وأوسطه نجاحاً، وآخره فلاحاً، يا أرحم الراحمين.

(١) - أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١) و٢ و٣ و٣٤٣ و٣٤٤) والدارمي (٢٦٩١) عن عبد الرحمن بن أبيزى رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبح قال: «أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى ملة أبينا إبراهيم صلى الله عليه وسلم حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين».

(٢) - أخرجه الترمذي (٣٣٨٨) وأبو داود (٥٠٦٨) وابن ماجه (٣٨٦٨) والبخاري في الأدب المفرد (١١٩٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٥). عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) - أخرجه أبو داود (٥٠٧٣) عن أبي مالك قال: قالوا: يا رسول الله حدثنا بكلمة نقولها إذا أصبحنا وأمسينا واضطجعنا، فأمرهم أن يقولوا: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شيء والملائكة يشهدون أنك لا إله إلا أنت، فإننا نعوذ بك من شر أنفسنا ومن شر الشيطان الرجيم وشره، وأن نقترِفَ سوءاً أو نجْرَهُ إِلَى مُسْلِمٍ».

(٤) - أخرجه مسلم (٢٧٢٣) والترمذي (٣٣٨٧) وأبو داود (٥٠٧١) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٣) و٥٧٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمسى قال: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمَلِكُ... لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَمَلِ وَالْهَرَمِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضاً».

وَيَنْبَغِي أَنْ تُعَدَّ النَّبْلُ^(١) قَبْلَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَأَنْ لَا تَسْتَنْجِيَ بِالْمَاءِ فِي مَوْضِعِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، وَأَنْ تَسْتَبْرِئَ مِنَ الْبَوْلِ بِالتَّخَنُّجِ وَالتَّنْبَرِ ثَلَاثًا^(٢)، وَبِمَرَّكِ الْيَدِ الْيُسْرَى عَلَى أَسْفَلِ الْقُضْيَبِ، وَإِنْ كُنْتَ فِي الصَّحْرَاءِ فَابْعُدْ عَنْ عِيُونِ النَّاطِرِينَ^(٣)، وَاسْتَتِرْ بِثِيَابٍ إِنْ

(٥) - أخرجه أحمد: (١٥٥/٦) والدارمي (٦٨٦) والبخاري في الأدب المفرد (٦٩٣) وابن ماجه (٣٠٠). والترمذي (٧) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٩) و(٩٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) - أخرجه ابن ماجه (٣٠١) بإسناد ضعيف عن أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج من الخلاء قال: «الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني».

(١) - قال ابن حجر في تلخيص الخبير (١١٨/١) حديث: روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا الملاعن، وأعدوا النبيل». عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن الشعبي مرسلاً، ورواه أبو عبيد من وجه آخر، عن الشعبي، عن من سمع النبي صلى الله عليه وسلم، وإسناده ضعيف. ورواه ابن أبي حاتم في العلل من حديث سراقه مرفوعاً، وصححه أبوه وقفه.

تنبيه: قال الخطابي: والنَّبِيل بضم النون وفتحها وأكثر الرواة يروونها بالفتح، والضم أجود، وهي الأحجار الصغار التي يستنجى بها.

أخرج ابن أبي حاتم في علل الحديث (٣٦/١ - ٣٧) قال: سألت أبي عن حديث رواه أحمد بن ثابت فروي، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن سماك بن الفضل، عن أبي رشدين الحندي، عن سراقه بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة واتقوا مجالس اللعن والظل والماء وقارعة الطريق واستمخروا الريح واستثبوا على سوقكم وأعدوا النبيل». قال أبي: أن ما يروونه موقوف وأسنده عبد الرزاق بأخرة.

(٢) - وكيفية التنتر: أن يمسح يسراه من دبره إلى رأس ذكره ويعيده بلطف ليخرج ما بقي إن كان، ويكون ذلك بالإبهام والمسحة لأنه يتمكن بهما من الإحاطة بالذكر وتضع المرأة أصابع يدها اليسرى على عانتها كذا نقله البحرى عن شرح الروض لشيخ الإسلام لكن المراد بالتنتر هنا: مد الذكر بلطف. (مراقي العبودية ص ١١).

(٣) - أخرجه الترمذي (٢٠) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم حاجته، وأبعد في المذهب.

وَجَدَنَهُ^(١)، وَلَا تَكْثِفْ عَوْرَتَكَ قَبْلَ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى مَوْضِعِ الْجُلُوسِ، وَلَا تَسْتَقْبِلِ الشَّمْسَ وَلَا الْقَمَرَ^(٢)، وَلَا تَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَذْبِرْهَا^(٣)، وَلَا (تَجْلِسْ)^(٤) فِي مَتَحَدِّثِ النَّاسِ^(٥)، وَلَا تَبِلْ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ^(٦) (وَتَحْتَ)^(٧) الشَّجَرَةِ الْمُثْمَرَةِ^(٨)، وَلَا فِي الْحُجْرِ^(٩)،

وأخرج النسائي (١٧/١) عن عبد الرحمن بن أبي قراد قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلاء، فكان إذا أراد الحاجة أبعد.

(١) - أخرجه مسلم (٣٤٢) عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال: أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه، فأسر لي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته هدف أو حائش نخل.

(٢) - قال الإمام النووي في المجموع (١٠٣/١): أن الحديث المستأنس به في هذا ضعيف، بل هو باطل، وأن الصحيح المشهور: أنه يكره الاستقبال دون الاستدبار.

(٣) - أخرجه البخاري (١٤٤) ومسلم (٢٦٤) عن أبي أيوب الأنصاري قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا غائط، ولكن شقروا أو غربوا».

(٤) - في نسخة: (تبيل).

(٥) - أخرجه مسلم (٢٦) وأبو داود (٢٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا اللاعنين، قيل: وما اللاعنان؟ قال: الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلمهم».

(٦) - أخرجه النسائي (٣٤/١) عن جابر رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يبال في الماء الراكد.

قال الإمام النووي: وينبغي أن يحرم البول في الماء القليل جارياً أو راكداً، وفي الكثير الأولى اجتنابه.

(٧) - في نسخة: (ولا تحت).

(٨) - ذكر الهيثمي في الجمع (١٠٠٠) عن عبد الله بن عمر قال: نهر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخلى الرجل تحت شجرة مثمرة أو على ضفة نهر جارٍ. وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير الشطر الأخير. وفيه: فرات بن السائب وهو متروك الحديث.

(٩) - وألحقوا به السرب بفتح السين والراء وهو الشق المستطيل، لما قيل إن ذلك مسكن الجن، وأنهم قتلوا سعد بن عباد رضي الله عنه لما بال فيه. (مراقي العبودية ص ١٢).

وَأَحْذَرِ الْأَرْضَ الصُّلْبَةَ وَمَهَبُ الرِّيحِ^(١) اخْتِرَازاً مِنَ الرُّشَاشِ^(٢) ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ»^(٣) .

وَأَتَكِيءُ فِي جُلُوسِكَ عَلَى الرَّجُلِ الْيُسْرَى^(٤) ، وَلَا تَبُلْ قَائِماً^(٥) إِلَّا عَنْ ضَرُورَةٍ وَاجْتَمَعَ فِي الْأَسْتِنْجَاءِ بَيْنَ اسْتِعْمَالِ الْحَجَرِ وَالْمَاءِ^(٦) ، فَإِذَا أَرَدْتَ الْاِقْتِصَارَ عَلَى أَحَدِهِمَا

(١) - ذكر ابن حجر العسقلاني في تلخيص الخبير (١١٧/١) عن الخضرمي رفعه: «إذا بال أحدكم فلا يستقبل الريح ببوله فترده عليه». وقال: رواه ابن قانع، وإسناده ضعيف جداً.

وذكر أيضاً عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره البول في الهواء. وقال: رواه ابن عدي. أقول: وانظره في تذكرة الموضوعات لابن القيسراني (٥٥٧).

(٢) - أخرج أبو داود (٣) عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا بال أحدكم فليترد لبوله».

(٣) - أخرج الدارقطني في سننه (١٢٨/١) عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تنزهوا من البول، فإن عامة عذاب القبر منه». وانظره في نصب الراية (١٢٨/١). وعلل الحديث (٤٢).

وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد: (١٠٣٣) عن معاذ بن جبل، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستنزه من البول ويأمر أصحابه بذلك، قال معاذ: إن عامة عذاب القبر منه. قال: رواه الطبراني في الكبير، وفيه: رشدين بن سعد ضعفه الأكثرون، وقال أحمد: يحتمل حديثه في الرقائق، وفيه: عبد الله بن جذيم، ويقال: ابن حريث، عن معاذ ولم أر من ذكره.

(٤) - أخرج الطبراني في الكبير (٦٦٠٥) عن رجل من بني مدليج، عن أبيه قال: جاء سراققة بن مالك بن جعشم من عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال: علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فقال رجلٌ كالمستهزئ: أما علمكم كيف تخرؤون؟ قال: بلى، والذي بعثه باحق، لقد أمرنا أن نتوكأ على اليسرى وأن نصب اليمنى. قال الهيثمي (١٠٢٠): رواه الطبراني في الكبير، وفيه رجل لم يسم.

أقول: قال ابن حجر في تلخيص الخبير (١١٨/١) عقبه: قال الحازمي: لا نعلم في الباب غيره. وقال في بلوغ المرام (١١١): رواه البيهقي بسند ضعيف.

(٥) - أخرج ابن ماجه (٣٠٩) عن جابر بن عبد الله قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبول قائماً.

فَالْمَاءُ أَفْضَلُ، وَإِنْ اقْتَصَرْتَ عَلَى الْحَجَرِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَ ثَلَاثَةَ أَحْجَارٍ طَاهِرَةٍ مُنَشَفَةٍ لِلْعَيْنِ تَمْسَحُ بِهَا مَحَلَّ النُّجُو، بِحَيْثُ لَا تَنْتَقِلُ النَّجَاسَةُ عَنْ مَوْضِعِهَا، وَكَذَلِكَ تَمْسَحُ الْقُضَيْبُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ حَجَرٍ، فَإِنْ لَمْ يَحْصُلِ الْإِنْقَاءُ بِثَلَاثَةٍ، فَتَمَمْ خَمْسَةً أَوْ سَبْعَةً، إِلَى أَنْ يُنْقَى بِالْإِثَارِ، فَإِلَّا يَثَارُ مُسْتَحَبٌّ، وَالْإِنْقَاءُ وَاجِبٌ، وَلَا تَسْتَنْجِ إِلَّا بِالْيَدِ الْيُسْرَى.

وَقُلْ عِنْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْأَسْتِنْجَاءِ: «اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ وَحَصِّنْ فَرْجِي مِنَ الْفَوَاحِشِ»^(١) . وَاذْلُكْ يَدَكَ بَعْدَ تَمَامِ الْأَسْتِنْجَاءِ بِالْأَرْضِ أَوْ بِحَائِطٍ ثُمَّ اغْسِلْهَا.

وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠١٥) عن عمر قال: ما بليت قائماً منذ أسلمت. قال: رواه البزار ورجاله ثقات.

وقال ابن قدامة في المغني (٢٢٣/١): وكان سعد بن إبراهيم لا يجيز شهادة من بال قائماً.

(٢) - في نسخة: (عند الضرورة).

(١) - قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١٣٢/٣): وقع في نسخ الإحياء عن أبي سعيد وإنما هو عن أم معبد كذا رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣٦٨/٥) دون قوله: «وفرجي من الزنا وعملي من الرياء وعيني من الخيانة». والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥١٤/٧) ومشكاة المصابيح للتريزي (٢٥٠١) وقال: رواه البيهقي في الدعوات الكبير. وانظره في الدر المنثور (٣٤٩/٥).

بَابُ آدَابِ الْوُضُوءِ^(١)

وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَرْتُ بِالسَّوَاكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ»^(١).
ثُمَّ (عِنْدَ الْفَرَاغِ)^(٢) اجْلُسْ لِلْوُضُوءِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ عَلَى مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ كَيْ لَا يُصِيبَكَ
الرِّشَاشُ، وَقُلْ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»^(٣)، ﴿وَقُلْ﴾ رَبِّ اغْشُوكَ مِنْ هَمَزَاتِ
الشَّيَاطِينِ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴿[المؤمنون: ٩٧ - ٩٨]».
ثُمَّ اغْسِلْ يَدَيْكَ ثَلَاثًا قَبْلَ أَنْ تُدْخِلَهُمَا الْإِنَاءَ، وَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْيَمْنَ
وَالْبَرَكَةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّؤْمِ وَالْهَلَكَةِ». ثُمَّ انْزِعِ رِجْلَكَ أَوْ اسْتَبَاحَةَ الصَّلَاةِ.
وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَعُزَّبَ يَدُكَ قَبْلَ غَسْلِ رِجْلِكَ، فَلَا يَصِحُّ وَضُوءُكَ. ثُمَّ خُذْ غُرْفَةً لِيَدَيْكَ
وَتَمَضَّمْ بِهَا ثَلَاثًا، وَبَالِغٍ فِي رَدِّ الْمَاءِ إِلَى الْغُلْصَمَةِ^(٤) إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا (فَتَرْفُقُ)^(٥)،

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْاسْتِنْجَاءِ، فَلَا تَتْرُكِ السَّوَاكَ، فَإِنَّهُ: «مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ، وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ،
وَمَسْحُطَةٌ لِلشَّيْطَانِ»^(٦). وَ«صَلَاةُ بِسْمِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ صَلَاةً بِلا سَوَاكٍ»^(٧).
وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسَّوَاكِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ»^(٨).

(١) - قال الإمام محمد بن نويرة الجاوي في مراقي العبودية (ص ١٣): المراد بالآداب هنا المطلوبة
فتشمل المندوبة والواجبة كما أفاده شيخنا عبد الحميد.

(٢) - أخرجه أحمد: (١٤٦/٦). والنسائي في سننه (٥) من حديث عائشة رضي الله عنها مقتصرًا
على: «السواك مطهرة للفم ومرضاة للرب». وانظر تحفة الأشراف (١٦٢٧١). وابن خزيمة: (١٣٥).
والدارمي: (٦٩٠).

(٣) - أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٨/١) عن عائشة رضي الله عنها. وذكره العجلوني في
كشف الخفاء: (١٦٠٤). وقال:.. ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من رواية ابن لهيعة عن أبي
الأسود بلفظ: «صلاة على أثر سواك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك».

أخرج أحمد (٢٧٢/٦) وابن خزيمة: (١٣٧/١) عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «فضل الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لا يستاك لها سبعين ضعفًا». قال أبو بكر: أنا
استنيت صحة هذا الخبر، لأنني خائف أن يكون محمد بن إسحاق لم يسمع من محمد بن مسلم وإنما
دلسه عنه.

وذكر السيوطي في الجامع الصغير (٤٤٩٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك...». وعزاه لابن النجار والديلمي في
الفردوس. وهو موضوع.

وذكر البيهقي في الجمع: (٢٥٥٤) عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال: «فضل الصلاة بسواك على الصلاة بغير سواك سبعين صلاة». وقال: رواه أحمد
والبارز وأبو يعلى وقد صححه الحاكم.

(٤) - أخرجه البخاري (٨٨٧) ومسلم (٢٥٢).

(١) - ذكره البيهقي في الجمع (٢٥٥٩) عن وثالة بن الأسقع. وقال: رواه أحمد والطبراني في
الكبير، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة مدلس وقد عتقته. قال شيخنا في تحقيقه للجمع: ليث: قال
ابن حجر: صدوق اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك.

وأخرج أبو يعلى في مسنده (٢٣٣٠) عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لقد
أمرت بالسواك حتى ظننت أنه ينزل عليّ به قرآنٌ أو وحي». وانظره في مجمع الزوائد: (٢٥٥٦) وقال
شيخنا: إسناده ضعيف فيه شريك القاضي.

وذكر البيهقي في الجمع (٢٥٥٧) لابن عباس عند أحمد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«أمرت بالسواك حتى خشيت أن يوحى إليّ فيه» قال: ورجاله ثقات.

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - روى أحمد (٤١٨/٢) وأبو داود (١٠١) وابن ماجه (٣٩٩) بإسناد حسن عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه».

وقال النووي رحمه الله تعالى في الأذكار (ص ٤٢): وأما الدعاء على أعضاء الوضوء فلم يجز فيه
شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد قال الفقهاء: يستحب فيه دعوات جاءت عن السلف وزادوا
ونقصوا فيها.

(٤) - الغلصمة: رأس الحلقوم.

(٥) - في نسخة: (فارقت).

وَقُلْ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى تِلَاوَةِ كِتَابِكَ وَكَثْرَةِ الذِّكْرِ لَكَ وَتَبَيَّنِي بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ».

ثُمَّ خَذَ غُرْفَةً لَأُنْفِكَ، وَاسْتَنْشَقَ بِهَا ثَلَاثًا وَاسْتَنْثَرُ مَا فِي الْأَنْفِ مِنَ الرُّطُوبَةِ، وَقُلْ فِي الْاسْتِنْشَاقِ: «اللَّهُمَّ (أَرْخِي) ^(١) رَانِحَةَ الْجَنَّةِ وَأَنْتَ عَنِّي رَاضٍ». وَقُلْ فِي الْاسْتِنْشَاقِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ رَوَاحِ النَّارِ وَسُوءِ الدَّارِ».

ثُمَّ خَذَ غُرْفَةً لَوَاجِهِكَ، فَاغْسِلْ بِهَا مِنْ مُبْتَدَأِ تَسْطِيحِ الْجَبْهَةِ إِلَى مُنْتَهَى مَا يَقْبَلُ مِنَ الذَّقْنِ فِي الطُّوْلِ، وَمِنْ الْأُذُنِ إِلَى الْأُذُنِ فِي الْعَرْضِ، وَأَوْصِلِ الْمَاءَ إِلَى مَوْضِعِ التَّحْدِيفِ، وَهُوَ: مَا يَعْتَادُ النِّسَاءُ تَنْحِيَةَ الشَّعْرِ عَنْهُ، وَهُوَ مَا بَيْنَ رَأْسِ الْأُذُنِ إِلَى زَاوِيَةِ الْجَبِينِ، اغْسِي: مَا يَقَعُ مِنْهُ فِي جَبْهَةِ الْوَجْهِ، وَأَوْصِلِ الْمَاءَ إِلَى مَنَابِتِ الشَّعْرِ الْأَرْبَعَةِ: الْحَاجِبِينَ ^(٢) وَالشَّارِبِينَ ^(٣)، وَالْأَهْدَابِ ^(٤) وَالْعَذَارَيْنِ، وَهُمَا: مَا يُوَازِي الْأُذُنَيْنِ مِنْ مُبْتَدَأِ اللَّحْيَةِ.

وَيَجِبُ إِيصَالُ الْمَاءِ إِلَى مَنَابِتِ الشَّعْرِ مِنَ اللَّحْيَةِ الْخَفِيفَةِ دُونَ الْكَثِيفَةِ، وَقُلْ عِنْدَ غَسْلِ الْوَجْهِ: «اللَّهُمَّ بَيِّضْ وَجْهِي بِنُورِكَ يَوْمَ تَبْيَضُ وَجُوهُ أَوْلِيَائِكَ، وَلَا تَسْوِذْ وَجْهِي بِظُلُمَاتِكَ يَوْمَ تَسْوِذُ وَجُوهَ أَعْدَائِكَ» ^(٥). وَلَا تَتْرَكَ تَحْلِيلَ اللَّحْيَةِ الْكَثِيفَةِ.

ثُمَّ اغْسِلْ يَدَكَ الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى مَعَ الْعِرْفَقَيْنِ إِلَى أَنْصَافِ الْعُضْدَيْنِ، فَإِنَّ الْجَلِيَّةَ فِي الْجَنَّةِ تَبْلُغُ مَوَاضِعَ الْوُضُوءِ، وَقُلْ عِنْدَ غَسْلِ الْيُمْنَى: «اللَّهُمَّ أَعْطِنِي كِتَابِي بِيَمِينِي وَحَاسِنِي حِسَابًا يَسِيرًا» ^(١). وَعِنْدَ غَسْلِ الشِّمَالِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تُعْطِنِي كِتَابِي بِشِمَالِي أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي».

ثُمَّ اسْتَوْعِبْ رَأْسَكَ بِالْمَسْحِ بِأَنْ تَبْلَّ يَدَيْكَ، وَتُلْصِقَ رُؤُوسَ أَصَابِعِ يَدَيْكَ الْيُمْنَى وَالْيُسْرَى، وَتَضَعَهُمَا عَلَى مُقَدِّمَةِ الرَّأْسِ، وَتَمَرَّهُمَا إِلَى الْقَفَا، ثُمَّ تَرُدَّهُمَا إِلَى الْمُقَدِّمَةِ، فَهَذِهِ مَرَّةٌ ^(٢)، تَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الْأَعْضَاءِ، وَقُلْ: «اللَّهُمَّ غَشِّنِي بِرَحْمَتِكَ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَأُظْلِمْنِي تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِكَ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّكَ» ^(٣). «اللَّهُمَّ حَرِّمْ شَعْرِي وَبَشْرِي عَلَى النَّارِ» ^(٤).

ثُمَّ (امْسَحْ) ^(٥) أُذُنَيْكَ ظَاهِرَهُمَا وَبَاطِنَهُمَا بِمَاءٍ حَلِيقٍ ^(٦)، وَأُذْخِلْ مُسَبِّحَتَكَ فِي صِمَاحِي أُذُنَيْكَ ^(٧) وَامْسَحْ ظَاهِرَ أُذُنَيْكَ بِبَاطِنِ إِبْهَامَيْكَ ^(٨)، وَقُلْ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ

(١) - وهو المسمى بحساب العرض.

(٢) - أخرج أبو داود (١٢١ و ١٢٢) عن المقدم بن معدي كرب قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ، فلما بلغ مسح رأسه، وضع كفيه على مقدم رأسه، فأمرهما حتى بلغ القفا، ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه.

وأخرج الترمذي (٣٥ و ٤٧) عن عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح رأسه بيديه، فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدم رأسه، ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه.

(٣) - كنز العمال (٢٦٩٩٠).

(٤) - قال الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢/٢٦٤): في شرح الوجيز وعند مسح الرأس: «اللهم حرم شعري وبشري على النار».

(٥) - في نسخة: (تمسح).

(٦) - أخرج الحاكم (١٥١/١) عن عبد الله بن زيد قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ، فأخذ ماءً لأذنيه بخلاف الماء الذي أخذه لرأسه.

(١) - في نسخة: (أوجد لي).

(٢) - الحاجب: الشعر الثابت على العينين.

(٣) - الشارب: الشعر الثابت على الشفة العليا.

(٤) - الهدب: الشعر الثابت على أحفان العين.

(٥) - ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٥٥٤) من حديث أنس مطولاً وقال: هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اتهم أبو حاتم ابن حبان به عباد بن صهيب واتهم به الدارقطني أحمد بن هاشم، فأما عباد فقال ابن المديني: ذهب حديثه. وقال البخاري والنسائي: متروك. وقال ابن حبان: يروي الماكور التي يشهد لها بالوضع. وأما أحمد بن هاشم فيكفيه اتهام الدارقطني. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال (٤١٢٢/٢) وقال: رواه ابن حبان.... وابن حجر العسقلاني في لسان الميزان (١٠٢٩/٣).

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، اللَّهُمَّ أَسْمِعْنِي مُنَادِيَ الْجَنَّةِ^(١) فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْأَبْرَارِ».

ثُمَّ أَمْسَحَ رَقَبَتَكَ^(٢) وَقُلْ: «اللَّهُمَّ فُكِّ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ».

(٧) - أخرج أبو داود (١٢١) وابن ماجه (٤٤٢ و ٤٥٧) عن المقدام بن معدي كروب قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح في وضوئه رأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما، وأدخل إصبعه في صماحي أذنيه. قال ابن حجر في تلخيص الخبير ١٠١/١ (٢٥): وإسناده حسن.

(٨) - وأخرج الترمذي (٧٤/١) عن ابن عباس رضي الله عنه مسح برأسه وأذنيه باطنهما بالمسحيتين وظاهرهما بإبهاميه.

(٩) - قال الإمام محمد نوري الجاوي في مراقبي العبودية (ص ١٥): وهو سيدنا بلال بن رباح الحبشي.

(١٠) - قال ابن حجر في تلخيص الخبير (١٠٣/١) حديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مسح الرقبة أماناً من الغل». هذا الحديث أورده أبو محمد الجويني، وقال: لم يرتض أئمة الحديث إسناده فحصل التردد في أن هذا الفعل هل هو سنة أو أدب، وتعقبه الإمام بما حصله، إنه لم يجر للأصحاب تردد في حكمه مع تضعيف الحديث الذي يدل عليه.

وقال القاضي أبو الطيب: لم ترد فيه سنة ثابتة، وقال القاضي حسين: لم ترد فيه سنة. وقال الفوراني: لم يرد فيه خبر وأورده الغزالي في الوسيط وتعقبه ابن الصلاح فقال: هذا الحديث غير معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو من قول بعض السلف.

وقال النووي في شرح المذهب: هذا حديث موضوع، ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وزاد في موضع آخر: لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه شيء، وليس هو سنة، بل بدعة. ولم يذكره الشافعي ولا جمهور الأصحاب، وإنما قاله ابن القاص، وطائفة يسيرة، وتعقبه ابن الرفعة، بأن النبوي من أئمة الحديث، وقد قال باستحبابه ولا مأخذ لاستحبابه إلا خبر أو أثر لأن هذا لا مجال لتقياس فيه. انتهى كلامه.

ولعل مستند البغوي في استحباب مسح القفا، ما رواه أحمد وأبو داود من حديث طلحة بن مصرف، عن أبيه، عن حده أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم بمسح رأسه، حتى بلغ القذال وما يليه من مقدم العنق، وإسناده ضعيف. وكلام بعض السلف الذي ذكره ابن الصلاح يحتمل أن يريد به ما

ثُمَّ اغْسِلْ رِجْلَكَ الْيُمْنَى ثُمَّ الْيُسْرَى إِلَى الْكَعْبَيْنِ^(١)، وَخَلِّ بِخِنْصَرِ الْيُسْرَى أَصَابِعَ رِجْلِكَ مُتَبَلِّغًا بِخِنْصَرِ الْيُمْنَى حَتَّى تَخْتِمَ بِخِنْصَرِ الْيُسْرَى، وَتُدْخِلَ (الْأَصَابِعَ)^(٢) مِنْ أَسْفَل. وَقُلْ: «اللَّهُمَّ كَيْتَ قَدَمِي^(٣) عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مَعَ أَقْدَامِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ». وَكَذَلِكَ تَقُولُ عِنْدَ غَسْلِ الْيُسْرَى: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِي عَلَى الصِّرَاطِ فِي النَّارِ يَوْمَ تَزِلُّ أَقْدَامُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ». وَارْفَعْ الْمَاءَ إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ، وَرَاعِ التَّكَرَّارَ ثَلَاثًا فِي جَمِيعِ أَفْعَالِكَ.

رواه أبو عبيد في كتاب الطهور ص ٣٧٣ (٣٦٨): قال أبو عبيد: وأما مسح القفا فعن: علي بن ثابت وعبد الرحمن حدثنا عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن عن موسى بن طلحة قال: من مسح قفاه مع رأسه وفي الغل يوم القيامة. قلت: فيحتمل أن يقال: هذا وإن كان موقوفاً فله حكم الرفع، لأن هذا لا يقال من قبل الرأي، فهو على هذا مرسل.

حديث ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من توضأ ومسح عنقه، وفي الغل يوم القيامة»، قال أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١١٥/٢): حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا عبد الرحمن بن داود، حدثنا عثمان بن خرزاد، حدثنا عمر بن محمد بن الحسن، حدثنا محمد بن عمرو الأنصاري، عن أنس بن سيرين، عن ابن عمر: أنه كان إذا توضأ مسح عنقه، ويقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من توضأ ومسح عنقه، لم يغل بالأغلال يوم القيامة». وفي البحر للرويان: لم يذكر الشافعي مسح العنق. وقال أصحابنا هو سنة، وأنا قرأت جزءاً رواه أبو الحسين ابن فارس بإسناده، عن فليح بن سليمان، عن نافع عن ابن عمر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من توضأ ومسح بيديه على عنقه، وفي الغل يوم القيامة». وقال: هذا إن شاء الله حديث صحيح. قلت: بين ابن فارس، وفليح مفازة، فينظر فيها.

(١) - أخرج النسائي (٦٧/١ - ٧٠) عن الحسين بن علي قال: دعاني أبي علي بوضوء، فقربته له، فبدأ بفعل كفيه ثلاث مرات، قبل أن يدخلهما في وضوئه، ثم مضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثاً، ثم اليسرى كذلك، ثم مسح برأسه مسحة واحدة، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثاً ثم اليسرى كذلك، ثم قام قائماً».

(٢) - في نسخة: (الأصبع).

(٣) - بكسر الميم وهو مفرد مضاف فيعم الاثنين ولو أريد المثنى لقليل: قدامي بالألف بعد الميم. (مراقبي العبودية ص ١٥).

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْوُضُوءِ^(١) ، فَارْفَعْ بَصْرَكَ إِلَى السَّمَاءِ وَقُلْ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ^(٢)» ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ^(٣) ؛ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، فَاعْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ^(٤) ، وَاجْعَلْنِي مِنْ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، وَاجْعَلْنِي صَوْرًا شَكُورًا، وَاجْعَلْنِي أَذْكُرَكَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَأَسْئَلُكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا^(٥) . فَمَنْ (قَرَأَ)^(٦) هَذِهِ الدَّعَوَاتِ فِي رُضُوئِهِ خَرَجَتْ جَمِيعُ خَطَايَاهُ مِنْ جَمِيعِ أَعْضَائِهِ، وَخَتِمَ عَلَى رُضُوئِهِ بِخَاتَمٍ، وَرُفِعَ لَهُ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَلَمْ يَزَلْ يُسَبِّحُ اللَّهُ (تَعَالَى)^(٧) وَيُقَدِّسُهُ، وَيَكْتُبُ لَهُ ثَوَابُ ذَلِكَ الْوُضُوءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَاجْتَنِبْ فِي رُضُوئِكَ سَبْعًا:

(١) - أخرجه مسلم (٢٣٤) وأبو داود (١٦٩ و ١٧٠) والترمذي (٥٥) والنسائي (٩٢/١ و ٩٣) وفي عمل اليوم والليلة (٨٤) وابن السني (٣١). عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ». وزاد الترمذي: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين».

(٢) - أخرجه مسلم (٢٣٤) وأبو داود (١٦٩ و ١٧٠) والنسائي (٩٢/١ و ٩٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣١) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٣) - أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٠) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨١ - ٨٣). والحاكم (٥٦٤/١).

(٤) - أخرجه الترمذي (٥٥) عن عمر رضي الله عنه.

(٥) - في نسخة: (قال).

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

- ١- لَا تَنْفُضْ يَدَيْكَ^(١) فَتَرُشَ الْمَاءَ.
- ٢- وَلَا تَلْطُمَ (وَجْهَكَ وَلَا رَأْسَكَ)^(٢) بِالْمَاءِ لَطْمًا.
- ٣- وَلَا تَتَكَلَّمْ فِي أَثْنَاءِ الْوُضُوءِ.
- ٤- وَلَا تَزِدْ فِي الْغُسْلِ عَلَى ثَلَاثِ مَرَّاتٍ.
- ٥- وَلَا تُكْثِرْ صَبَّ الْمَاءِ^(٣) مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ بِمُجَرَّدِ الْوَسْوَسةِ فَلْيُمَوِّسْ سَبْعِينَ شَيْطَانًا (يُضْحِكُ)^(٤) بِهِمْ يُقَالُ لَهُ الْوَلَهَانُ^(٥).

(١) - ذكر ابن أبي حاتم في علل الحديث (٧٣) وابن حبان في المحروحين (٢٠٣/١) والنسائي في ميزان الاعتدال (١١٣٣) وابن حجر في تلخيص الخبير ١٠٩/١ (١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إذا توضأتم فلا تنفضوا أيديكم فإنها مراوح الشيطان.

(٢) - في نسخة: (رأسك ووجهك).

(٣) - ولو على شط نهر فذلك مكروه. (مراقي العبودية ص ١٧).

(٤) - في نسخة: (يلعب).

(٥) - وهو الذي يوله الناس بكثرة استعمال الماء. وذكر بعضهم: أن لا يلبس تسعة من الولد لكل منهم اسم وعمل، فمنهم خنزب وهو الموسوس في الصلاة، والولهان وهو الموسوس في الطهارة، والثالث: زلنبور بزاء مفتوحة ولام مشددة بعدها نون فموحدة وآخر راء وهو في كل سوق يزين للبايعين اللغو والحلف الكاذب وتطفيف الكيل والميزان، والرابع: الأعور وهو شيطان الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة، والخامس: الوستان يواو مفتوحة وسين مهملة ساكنة ونونين بينهما ألف وهو شيطان النوم ينقل الرأس والأجفان عن القيام إلى الصلاة ونحوها ويوقظ إلى القبيح من زنا ونحوه. والسادس تير يفوقية فموحدة فراء وهو اسم شيطان المصيبة يزين الصياح ولطم الحدود ونحوه، والسابع: داسم بدال وسين مهملتين بينهما ألف وهو اسم شيطان الطعام يأكل مع الإنسان ويدخل المنزل إن لم يسم عند طعامه ودخوله وينام على الفراش ويلبس الثياب إن لم تكن مطوية وذكر اسم الله عليها وقيل: إنه يسعى في إثارة الخصام بين الزوجين ليفرق بينهما. والثامن: مطون عيم مفتوحة فطاء مهملة وآخره نون ويقال: مسوط بسين مهملة مضمومة وآخره طاء مهملة وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلتقيها على ألسنة الناس ثم لا يوجد لها أصل. والتاسع: الأبيض بموحدة فتحية فضاء معجمة موكل بالأنبياء والأولياء. أما الأنبياء: فسلموا منه وأما الأولياء فهم مجاهدون له فمن سلمه الله سلم ومن أغواه غوى. (مراقي العبودية ص ١٧).

٦- وَلَا تَوَضَّأُ بِالْمَاءِ الْمُشْتَمَسِ^(١).

٧- وَلَا (مِنْ) ^(٢) الْأَوَانِي الصَّغِيرَةِ.

فَهَذِهِ السَّبْعَةُ مَكْرُوهَةٌ فِي الْوُضُوءِ، وَفِي الْحَبْرِ أَنَّ: «مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ وَضُوئِهِ، طَهَّرَ اللَّهَ جَسَدَهُ كُلَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ لَمْ يَطْهَرْ مِنْهُ إِلَّا مَا أَصَابَهُ الْمَاءُ»^(٣).

آدَابُ الْغُسْلِ

فَإِذَا أَصَابَتْكَ جَنَابَةٌ مِنْ اخْتِلَامٍ أَوْ وَقَاعٍ، فَخُذْ^(٤) الْإِنَاءَ إِلَى الْمُعْتَسِلِ، وَاغْمِمْ يَدَيْكَ أَوَّلًا ثَلَاثًا، وَأَرِنَ مَا عَلَى يَدَيْكَ مِنْ قَدَرٍ، وَتَوَضَّأْ كَمَا سَبَقَ (فِي) ^(٥) وَضُوءِكَ لِلصَّلَاةِ مَعَ جَمِيعِ الدَّعَوَاتِ، وَأَخِرْ غُسْلَ (قَدَمَيْكَ) ^(٦) كَيْلًا يَضِيغُ الْمَاءُ.

فَإِذَا فَرَعْتَ مِنَ الْوُضُوءِ فَصَبَّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِكَ^(٧) ثَلَاثًا^(٨)، وَأَنْتَ نَاوٍ رَفَعَ الْحَدِيثُ مِنَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثَلَاثًا، ثُمَّ عَلَى الْأَيْسَرِ ثَلَاثًا، وَأَذْلُكَ مَا أَقْبَلَ مِنْ يَدَيْكَ

(١) - ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٧٢) عن عائشة قالت: أسخت ماء في الشمس فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم ليتوضأ به فقال: «لا تفعلني يا عائشة فإنه يورث البرص». قال: رواه الطبراني في الأوسط، فيه: محمد بن مروان السدي، وقد أجمعوا على ضعفه. وقال: - أي الطبراني - لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد.

وقال الشافعي في الأم (٣/١): ولا أكره الماء المشمس إلا أن يكون من جهة الطب.

(٢) - في نسخة: (في).

(٣) - ذكره السيوطي في الجامع الصغير (٨٧٠١) بتحقيق شيخنا وعزاه إلى عبد الرزاق في المصنف عن الحسن الكوفي مرسلًا. وقال العراقي (١٣٥/١): رواه الدارقطني - من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف. وانظر إتحاف السادة المتقين: (٣٧٤/٢) وكنز العمال (٢٦٠٦٧). وهو حديث ضعيف.

(٤) - في نسخة: (فاحمل).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - في نسخة: (رجليك).

وَمَا أَدَبَ^(١) (ثَلَاثًا ثَلَاثًا)^(٢)، وَخَلَّلْ شَعْرَ رَأْسِكَ وَلِحْيَتِكَ، وَأَوْصِلِ الْمَاءَ إِلَى مَعَاطِفِ الْبَدَنِ^(٣) وَمَتَابِتِ الشَّعْرِ مَا خَفَ (مِنْهُ) ^(٤) وَمَا كَثُفَ، وَاحْذَرِ أَنْ تَمَسَّ ذَكَرَكَ بَعْدَ الْوُضُوءِ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ يَدُكَ فَأَعِدِ الْوُضُوءَ^(٥).

وَالْفَرِيضَةُ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ كُلِّهِ:

(الْيَتَّةُ وَإِزَالَةُ النَّجَاسَةِ) ^(٦) وَاسْتِيعَابُ الْبَدَنِ بِالْغُسْلِ^(٧).

(٧) - قال الإمام محمد نووي الحساوي في مراقبي العبودية (ص ١٨ - ١٩): والمعتمد: أن الأفضل بعد فراغ الوضوء أن تتعهد معاطفك ثم تخلل رأسك ولو كنت محرمًا لكن برفق إن كان عليه شعر بأن تدخل أصابعك العشرة فيه فيشرب بها أصوله كما قاله ابن حجر، ثم تدلكه ثلاثًا كما قاله شيخ الإسلام في التحرير، ثم تقب الماء على رأسك.

(٨) - أخرج البخاري (٢٤٥) ومسلم (٣١٦) عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل من الجنابة، بدأ فغسل يديه، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرف بيديه ثم يفيض الماء على جلده كله.

(٩) - وظاهر كلام المصنف: أن المعتسل لا ينتقل إلى الأيسر حتى يثلث الأيمن. وصريح كلامه في الإحياء: أن الدلك يكون بعد تمام الشقين. (مراقبي العبودية ص ١٩).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة. وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٦٨) من حديث طويل عن عمر مولى عمر قال: ... وأما الغسل في الجنابة: فتفرغ يمينك على شمالك، ثم تدخل يدك في الإناء فتغسل فركك وما أصابك، ثم تضرأ وضوءك للصلاة، ثم تفرغ على رأسك ثلاث مرات تدلك رأسك كل مرة. قال الهيثمي: رواه أبو يعلى من هذه الطريق ورجال أبي يعلى ثقات وكذلك رجال أحمد إلا أن فيه من لم يسم فجهل.

(٣) - ذلك بأن يأخذ الماء فيغسل كل موضع من جسمه فيه انعطاف أو التواء، كالأذنين وطيأت البطن وداحل السرة.

ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٧٦) عن ابن عمر أنه كان إذا اغتسل فتح عينيه وأدخل أصبعه في سترته. قال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

(٤) - في نسخة: (منها).

(٥) - وهذا موافق لابن حجر وهو ظاهر لأجل الخروج من الخلاف في عدم اندراج الأصغر في الأكبر. (مراقبي العبودية ص ١٩).

(وَفَرَضُ) ^(١) الْوُضُوءُ: غَسْلُ الْوَجْهِ، وَالْيَدَيْنِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَمَسْحُ بَعْضِ الرَّأْسِ، وَغَسْلُ الرَّجْلَيْنِ مَعَ الْكَعْبَيْنِ مَرَّةً (مَرَّةً) ^(٢)، مَعَ النِّيَّةِ، وَالتَّرْتِيبِ ^(٣).
وَمَا عَدَاهَا سُنَنٌ مُؤَكَّدَةٌ فَضْلُهَا كَثِيرٌ وَتَوَاتُؤُهَا جَزِيلٌ، وَالْمُتَهَاوِنُ بِهَا خَاسِرٌ، بَلْ هُوَ بِأَصْلٍ فَرَأَيْضِهِ مُحَاطِرٌ، فَإِنَّ التَّوَاتُؤَ جَوَائِرُ لِلْفَرَائِضِ.

آدَابُ التَّيَمُّمِ

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ:

١ - لِفَقْدِهِ بَعْدَ الطَّلَبِ ^(٤).

٢ - أَوْ لِعُذْرٍ مِنْ مَرَضٍ ^(٥).

٣ - أَوْ لِمَانِعٍ مِنَ الْوُضُوءِ إِلَيْهِ مِنْ سَبْعٍ أَوْ حَبْسٍ.

(٦) - في نسخة: (إزالة النجاسة والنية). علماً بأن النية تقدم في كتب الفقه على الأمور الأخرى. لأنه بها يصحُّ الْعَمَلُ.

(٧) - أخرج أبو داود (٢٤٨) والترمذي (١٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تحت كل شجرة جنانة، فاغسلوا الشجر، وأنقوا البشرة».

(١) - في نسخة: (ومن).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

(٤) - أخرج البخاري (٣٤٤) ومسلم (٦٨٢) والنسائي (٣٢٠) عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً معتزلاً لم يصل مع القوم، فقال: يا فلان، ما منعك أن تصلي مع القوم؟ فقال: يا رسول الله: أصابني جنابة، ولا ماء، فقال: عليك بالصعيد، فإنه يكفيك.

(٥) - لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ [المائدة: ٦].

٤ - أَوْ كَانَ الْمَاءُ الْحَاضِرُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِعَطَشِكَ أَوْ عَطَشَ رَجُلٍ ^(١).

٥ - أَوْ كَانَ مُلْكًا لغيرِكَ وَلَمْ يُبْعَ إِلَّا بِأَكْثَرِ مِنْ ثَمَنِ الْمِثْلِ.

٦ - أَوْ (كَانَ) ^(٢) بَلْ جَرَّاحَةٌ أَوْ مَرَضٌ تَخَافُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِكَ ^(٣).

فَاصْبِرْ حَتَّى يَدْخُلَ وَقْتُ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ اقْصِدْ صَعِيداً طَيِّباً ^(٤) عَلَيْهِ تُرَابٌ خَالِصٌ طَاهِرٌ، فَاضْرِبْ عَلَيْهِ بِكَفِّكَ، ضَامّاً بَيْنَ أَصَابِعِكَ ^(٥)، وَأَنْوَ اسْتِيبَاحَةً فَرَضِ الصَّلَاةِ، وَامْسَحْ بِهِمَا وَجْهَكَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَا تَتَكَلَّفْ إِصْصَالَ الْغُبَارِ إِلَى مَنَابِتِ الشَّعْرِ خَفّاً أَوْ كَثُفًا، ثُمَّ أَنْزِعْ خَاتِمَكَ ^(٦)، وَاضْرِبْ ضَرْبَةً ثَانِيَةً (مُفَرَّجاً) ^(٧) بَيْنَ أَصَابِعِكَ، وَامْسَحْ بِهِمَا يَدَيْكَ مَعَ

(١) - غير المرتد وتارك الصلاة والحربي.

(٢) - في نسخة: (كانت).

(٣) - أخرج أبو داود (٣٣٦) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرجنا في سفر، فأصاب رجلاً منا حجر فشجه في رأسه، فاحتلم، فسأل أصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر بذلك قال: قتلوه قتلهم الله، ألا يسألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيك أن يتيمم ويعصر - أو يعصب شك موسى - على جرحه خرقاً، ثم يمسح عليها، ويغسل سائر جسده.

وأخرج البيهقي في السنن الكبرى (٢٢٤/١) عن ابن عباس رفعه في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ قال: إذا كانت بالرجل الجراحة في سبيل الله أو القرع أو الجذري فيجنب فيخاف إن اغتسل أن يموت فليتيمم.

(٤) - لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

(٥) - وهذا مخالف لما قاله الإمام النووي والمحلي وشيخ الإسلام حيث قالوا: يندبُ تفريق الأصابع في كل ضربة.

(٦) - إن نزع الخاتم في الضربة الثانية واجب ليصل التراب إلى محله ولا يكفي تحريكه لأن التراب لا يدخل محله لثقله بخلاف الماء، فإيجاب نزعه إنما هو عند المسح لا عند النقل كذا أفاده أحمد الميبي. وأما في الأولى فنندوب ليكون مسح جميع الوجه باليد كما أفاده المحلي. (مراقي العبودية ص ٢٠).

(٧) - في نسخة: (مفرقاً).

مِرْقَبَيْكَ^(١)، فَإِنْ لَمْ تَسْتَوْعِبْهُمَا، فَاضْرِبْ ضَرْبَةً أُخْرَى إِلَى أَنْ تَسْتَوْعِبَهُمَا، ثُمَّ امْسَحْ إِحْدَى (كَفَيْكَ)^(٢) بِالْأُخْرَى، وَامْسَحْ مَا بَيْنَ أَصَابِعِكَ بِالتَّخْلِيلِ.
وَصَلِّ بِهِ فَرَضًا وَاحِدًا، وَمَا شِئْتَ مِنَ التَّوَاتُلِ، فَإِنْ أَرَدْتَ فَرَضًا ثَانِيًا، فَاسْتَأْنِفْ لَهُ تَيْمُمًا آخَرَ.

آدابُ

الخُرُوجُ إِلَى الْمَسْجِدِ

فَإِذَا فَوَّغْتَ مِنْ طَهَارَتِكَ، فَصَلِّ فِي بَيْتِكَ رَكَعَتَي الصُّبْحِ، إِنْ كَانَ الْفَجْرُ قَدْ طَلَعَ^(٣)؛ كَذَلِكَ كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) - أخرجه الدارقطني في سننه (٢٥٦/١) عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه ولم قال: «التيمم ضربتان: ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين».

(٢) - في نسخة: (يديك).

(٣) - عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشرة ركعة، يُسَلِّم بين كل ركعتين، ويوتر بواحدة، فإذا سكَّت المؤذن من صلاة الفجر، وتبين له الفجر، وجاءه المؤذن، قام فركع ركعتين خفيفتين، ثُمَّ اضْطَحَّعَ عَلَى شَقِّهِ الْأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ لِلْإِقَامَةِ. رواه مسلم (٧٣٦ و ٧٣٧). انظر رياض الصالحين بتحقيق شيخنا (١١١١).

أخرج أبو داود (١٢٥٧) عن بلال رضي الله عنه، أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذنه بصلاة الغداة، فشغلت عائشة بلالاً بأمرٍ سأله عنه، حتى فضحه الصبح، فأصبح جداً، قال: فقام بلال فأذنه بالصلاة، وتابع أذانه، فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما خرج صلى بالناس، فأخبره أن عائشة شغلته بأمرٍ سأله عنه حتى أصبح جداً، وأنه أبطأ عنه بالخروج، فقال: إني كنت ركعتُ ركعتي الفجر، فقال: يا رسول الله، إنك أصبحت جداً، قال: لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما».

ثُمَّ تُوجَّهْ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَلَا تَدْعُ الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ لَا سِيمَا الصُّبْحَ، فَ«صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ عَلَى صَلَاةِ الْفَذِّ بِسِتِّ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»^(١).
فَإِنْ كُنْتَ تَسَاهَلُ فِي مِثْلِ هَذَا الرَّبْحِ فَأَيُّ فَائِدَةٍ لَكَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّمَا ثَمَرَةُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ بِهِ.

فَإِذَا (مَشَيْتَ)^(٢) إِلَى الْمَسْجِدِ، فَاْمُشْ عَلَى (هَيْئَةٍ وَتَوَدُّةٍ)^(٣) وَلَا تُعَجِّلْ، وَقُلْ فِي طَرِيقِكَ: «اللَّهُمَّ (إِنِّي أَسْأَلُكَ)^(٤) بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَبِحَقِّ الرَّاعِبِينَ إِلَيْكَ، وَبِحَقِّ مَشَايِ هَذَا إِلَيْكَ، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا، وَلَا يَطْرًا، وَلَا رِيَاءً، وَلَا سُمْعَةً، بَلْ خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، فَاسْأَلُكَ أَنْ تُعِيدَنِي^(٥) مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»^(٦).

(١) - أخرجه البخاري (٦٤٥) عن عبد الله بن عمر بهذا اللفظ. و(٦٤٦) بلفظ: «تفضل صلاة

الفذ بخمسي وعشرين درجة».

(٢) - في نسخة: (سعيت).

(٣) - في نسخة: (الهينة وسكينة).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - في نسخة: (تقذني). والتصحيح من مصادر التخريج.

(٦) - أخرجه أحمد (٢١/٣) وابن ماجه (٧٧٨) من حديث أبي سعيد الخدري وليس فيه: (وبحق

الراغبين إليك). (وخرجت) بدل: (بل خرجت). (وإنه لا يغفر) بدل: (فإنه لا). وزاد في نهايته: (أقبل

الله عليه بوجهه، واستغفر له سبعون ألف ملك). وهو حديث ضعيف.

وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٨٤) بإسناد ضعيف جداً من حديث بلال رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى الصلاة قال: بسم الله آمنت بالله، توكلتُ على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم بحق السائلين عليك، وبحق مخرجي هذا إليك، فإنني لم أخرج أشرًا ولا يطرًا ولا رياءً ولا سُمْعَةً، خرجت ابتغاء مرضاتك، وأتقاء سُخْطِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيدَنِي مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَدْخِلَنِي الْجَنَّةَ».

آداب دُخُولِ الْمَسْجِدِ

فَإِذَا أَرَدْتَ الدُّخُولَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَدِّمْ رِجْلَكَ الْيُمْنَى، وَقُلْ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»^(١).

وَمَهْمَا رَأَيْتَ فِي الْمَسْجِدِ مَنْ يَبِيعُ (أَوْ يَشْتَاغُ)^(٢)، فَقُلْ: «لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ»، وَإِذَا رَأَيْتَ فِيهِ مَنْ يَنْشُدُ^(٣) ضَالَّةً؛ فَقُلْ: «لَا رُدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ»، كَذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٤).

فَإِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ فَلَا تَجْلِسَ حَتَّى تُصَلِّيَ رَكَعَتَيِ التَّحِيَّةِ^(٥)، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَى طَهَارَةٍ، أَوْ لَمْ تَرِدْ فِعْلَهَا كَفْتًا: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»^(٦) ثَلَاثًا. وَيُقَالُ: أَرْبَعًا، وَيُقَالُ ثَلَاثًا

(١) - أخرج مسلم (٧١٣) وأبو داود (٤٦٥) والنسائي (٥٣/٣) والترمذي (٣١٤) وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٥٦) عن أبي حميد أو أبي أسيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك».

وأخرج أحمد (٢٨٢/٦ و ٢٨٣) والترمذي (٣١٤) وابن ماجه (٧٧٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٨٧) عن عبد الله بن الحسن، عن أمه، عن جدته قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد حمد الله - تعالى - وسمى وقال: «اللهم اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك». وإذا خرج قال مثل ذلك وقال: «اللهم افتح لي أبواب فضلك».

(٢) - ما بين: () زيادة في نسخة.

(٣) - ينشد: أي يطلب.

(٤) - لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيتم من يبيع أو يشتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتك»، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة، فقولوا: لا رُدَّ الله عليك». أخرجه الترمذي (١٣٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لِلْمُخْدِتِ، وَوَاحِدَةً لِلْمُتَوَضِّئِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ صَلَّيْتَ (فِي بَيْتِكَ)^(١) رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ، فَيَجْزِيكَ أَدَاؤُهُمَا عَنِ التَّحِيَّةِ^(٢)، فَإِذَا فَرَعْتَ مِنَ الرُّكَعَتَيْنِ، فَأَنْوِ الْأَعْيُنَ الْكَافَ، وَادْعُ بِمَا دَعَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ، فَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي، وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلِي، وَتُلَمُّ بِهَا شَعْبِي»^(٣)، وَتَرُدُّ بِهَا أَلْفَتِي^(٤)، وَتُصْلِحَ بِهَا دِينِي، وَتَحْفَظَ بِهَا عَائِبِي، وَتَرْفَعَ بِهَا شَاهِدِي، وَتَرْكَبِي بِهَا عَمَلِي، وَتُبَيِّضَ بِهَا وَجْهِي، وَتُلْهَمَنِي بِهَا رُشْدِي، وَتَقْضِي لِي بِهَا حَاجَتِي، وَتَعْصِمَنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا (خَالِصًا)^(٥) يَبْشُرُ قَلْبِي، (وَيَقِينًا)^(٦) صَادِقًا حَتَّى أَعْلَمَ (أَنَّهُ)^(٧) لَنْ يُصِيبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَهُ عَلَيَّ (وَرَضَنِي)^(٨) بِمَا قَسَمْتَهُ لِي. اللَّهُمَّ إِنِّي

(٥) - أخرج البخاري (٤٤٧/٢) ومسلم (٧١٤) وأبو داود (٤٦٧ و ٤٦٨) والترمذي (٣١٦) والنسائي (٧٢٩) وابن ماجه (١٠١٣) عن أبي قتادة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس».

(٦) - قال السيوطي في الدر المنثور: (٢٢٥/٤) أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: والباقيات الصالحات قال هي: ذكر الله لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وأستغفر الله وصلى الله على محمد رسول الله والصلاة والصيام والحج والصدقة والعق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - قال البحرمي: إذا نوى التحية مع فرض مثلاً حصل ثوابها اتفاقاً وإذا نفاها فلا يحصل اتفاقاً وإن أطلق حصل الثواب على المعتمد. (مراقي العبودية ص ٢٢).

(٣) - أي: تصلح بها ما تفرق من أموري. وفي شرح الشفا: أي: تجمع بها تفرق خاطري، وتضم بها تشتت أمري. (مراقي العبودية ص ٢٢).

(٤) - أي: ما كنت آلفه.

(٥) - في نسخة: (دائماً).

(٦) - في نسخة: (وأسألك يقيناً).

(٧) - في نسخة: (أن).

أَسْأَلُكَ إِيمَانًا صَادِقًا، وَبِقِيَا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَةً أَنَالَ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ (الْفَوْزَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَالصَّبْرَ عِنْدَ الْقَضَاءِ) ^(١)، وَمَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ، وَعَيْشَ السَّعْدَاءِ، وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ الْأَنْبِيَاءِ. اللَّهُمَّ (إِنِّي) ^(٢) أَنْزِلْ بَكَ حَاجَتِي وَإِنْ ضَعُفَ رَأْيِي، وَقَصُرَ عَمَلِي، وَافْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ، فَاسْأَلْكَ يَا قَاضِيَ الْأُمُورِ، وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ، كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، وَمِنْ (دَعْوَةِ الثُّبُورِ) ^(٣) وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ) ^(٤). اللَّهُمَّ وَمَا (قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي وَضَعُفَ عَنْهُ عَمَلِي) ^(٥)، وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي وَأُمْنِيَّتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدَّتْهُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ، أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ، وَأَسْأَلُكَ إِيَّاهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، حُرْبًا لِأَعْدَانِكَ، سَلَامًا لِأَوْلِيَائِكَ، نُحِبُّ بِحُبِّكَ النَّاسَ، وَنُعَادِي بِعِدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ. اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ، وَعَلَيْكَ الْإِجَابَةُ، وَهَذَا الْجُهْدُ وَعَلَيْكَ التَّكْلَانِ، وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. اللَّهُمَّ ذَا الْحَبْلِ الشَّدِيدِ، وَالْأَمْرِ الرَّشِيدِ، أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ، وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ، مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ، الرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَالْمُؤْمِنِينَ لَكَ بِالْعَهْدِ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ، (وَإِنَّكَ) ^(٦) تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، سُبْحَانَ مَنْ (تَعَطَّفَ) ^(٧) بِالْعِزِّ وَقَالَ بِهِ، سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ الْمَجْدُ وَتَكْرَمُ بِهِ، سُبْحَانَ مَنْ لَا يَنْبَغِي التَّنْسِيحُ إِلَّا لَهُ،

(٨) - في نسخة: (والرضا).

(١) - في نسخة: (الصبر عند القضاء والفوز عند اللقاء).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - أي: من النداء بالهلاك والخسران في المحشر.

(٤) - في نسخة: (فتنة القبور ومن دعوة الثبور).

(٥) - في نسخة: (ضعف عنه رأيي، وقصر عنه عملي).

(٦) - في نسخة: (وأنت).

(٧) - في نسخة: (التصف).

سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي (الْقُدْرَةِ) ^(١) وَالْكَرَمِ، سُبْحَانَ الَّذِي أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، وَنُورًا فِي قَبْرِي، وَنُورًا فِي سَمْعِي، وَنُورًا فِي بَصَرِي، وَنُورًا فِي شَعْرِي، وَنُورًا فِي بَشْرِي، وَنُورًا فِي لَحْمِي، وَنُورًا فِي دَمِي، وَنُورًا فِي عِظَامِي، وَنُورًا مِنْ بَيْنَ يَدَيَّ، وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، وَنُورًا عَنْ يَمِينِي، وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَنُورًا مِنْ فَوْقِي، وَنُورًا مِنْ تَحْتِي، اللَّهُمَّ زِدْنِي نُورًا، وَأَعْظِني نُورًا وَأَعْظِمْ لِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ^(٢)» ^(٣).

(١) - في نسخة: (الجود).

(٢) - هذا من عطف العام على الخاص، أي: اجعل لي نوراً شاملاً للأنوار السابقة ولغيرها. (مراقي

العبودية ص ٢٤).

(٣) - أخرجہ الترمذی (٣٤١٩) وابن خزيمة (١١١٩) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى (الفيقيه القاضي إلا أنه سيء الحفظ)، عن داود بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة، حين فرغ من صلاته: «اللهم إني أسألك رحمة من عندك، تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتسلم بها شعبي، وتصلح بها غيائي، وترفع بها شاهدي، وترزقي بها عملي، وتلهي بها رشدي، وترد بها الفتن، وتعصمني بها من كل سوء، اللهم أعطني إيماناً يقيناً، ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة. اللهم إني أسألك الفوز في العطاء - ويروى في القضاء - ونزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء. اللهم إني أنزل بك حاجتي، وإن قصُر رأيي وضعف عملي، افتقرت إلى رحمتك، فأسألك يا قاضي الأمور. ويا شافي الصدور، كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السَّعِيرِ، ومن دعوة الثبور، ومن فتنة القبور. اللهم ما قصر عنه رأيي، ولم تبلغه نيتي ولم تخير وعدته أحداً من خلقك، أو خير أنت مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ، فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ، وَأَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. اللَّهُمَّ ذَا الْحَبْلِ الشَّدِيدِ وَالْأَمْرِ الشَّدِيدِ، أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ، وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ الرَّكَّعِ السُّجُودِ، وَالْمُؤْمِنِينَ لَكَ بِالْعَهْدِ، إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ، وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي، وَنُورًا فِي شَعْرِي، وَنُورًا فِي بَصَرِي، وَنُورًا فِي سَمْعِي، وَنُورًا فِي لَحْمِي، وَنُورًا فِي دَمِي، وَنُورًا فِي عِظَامِي، وَنُورًا مِنْ بَيْنَ يَدَيَّ، وَنُورًا مِنْ خَلْفِي، وَنُورًا عَنْ يَمِينِي، وَنُورًا عَنْ شِمَالِي، وَنُورًا مِنْ فَوْقِي، وَنُورًا مِنْ تَحْتِي، وَنُورًا فِي بَصَرِي، وَنُورًا فِي شَعْرِي، وَنُورًا فِي بَشْرِي، وَنُورًا

فَإِذَا فَرَعْتَ مِنَ الدُّعَاءِ، فَلَا تَشْتَغِلْ (إِلَى وَقْتِ الْفَرَضِ إِلَّا بِفِكْرٍ أَوْ تَسْبِيحٍ) ^(١)، أَوْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.

فَإِذَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ، فَاقْطَعْ مَا أَنْتَ فِيهِ، وَاشْتَغِلْ بِجَوَابِ الْمُؤَذِّنِ، فَإِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ ^(٢). وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ، إِلَّا فِي الْحَيَّعَلَيْنِ، فَقُلْ فِيهِمَا: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ» ^(٣). فَإِذَا قَالَ: «الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ»، فَقُلْ: «صَدَقْتَ وَبَرَزْتَ، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ» ^(٤).

في لحسي، ونوراً في دمي، ونوراً في عظامي. اللهم أعظم لي نوراً، وأعطني نوراً، واجعل لي نوراً، سبحان الذي تعطف العز، وقال به، سبحان الذي لبس الحمد، وتكرم به، سبحان الذي لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان ذي الفضل والنعم، سبحان ذي الحمد والكرام، سبحان ذي الجلال والإكرام». وانظر المسند الجامع (٦١٤٣/٨).

(١) - في نسخة: (إلا بأداء الفريضة، أو بذكر أو تسبيح).

(٢) - وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن». أخرجه البخاري (٦١١) ومسلم (٣٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) - قال النووي في الأذكار ص ٥٣ - ٥٤: يستحب أن يقول - من سمع المؤذن والمقيم - مثل قوله، إلا في قوله: حي على الصلاة، حي على الفلاح، فإنه يقول في دُبر كل لفظةٍ منهما: لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال ابن القيم في زاد المعاد (٣٩١/٢): ولم يجيء عنه صلى الله عليه وسلم الجمع بينها وبين حي على الصلاة، حي على الفلاح. ولا الاقتصار على الحيعة، وهدية صلى الله عليه وسلم الذي صح عنه إبداءها بالحقولة، وهذا مقتضى الحكمة المطابقة لحال المؤذن والسماع، فإن كلمات الأذان ذكر، فسن للسمع أن يستعين على هذه الدعوة بكلمة الإعانة وهي: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٤) - أخرجه أبو داود (٥٢٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وأورده النووي في الأذكار (١٠١). وقال: وقيل: يقول: صدّق رسول الله صلى الله عليه وسلم، الصلاة خيرٌ من النوم. وقال ابن حجر في تلخيص الخبير (٢١١/١): ولا أصل لما ذكره في الصلاة خير من النوم.

فَإِذَا سَمِعْتَ الْإِقَامَةَ، فَقُلْ مِثْلَ مَا يَقُولُ، إِلَّا فِي قَوْلِهِ: «قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ»، فَقُلْ: «أَقَامَهَا اللَّهُ وَأَدَامَهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» ^(١).

فَإِذَا فَرَعْتَ مِنْ جَوَابِ الْمُؤَذِّنِ، فَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِنْدَ خُضُوعِ صَلَاتِكَ وَأَصَوَاتِ دُعَاتِكَ، وَإِدْبَارِ لَيْلِكَ، وَإِقْبَالِ نَهَارِكَ، أَنْ تُؤَيِّئَ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالْدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ، وَابْعَثْهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ» ^(٢) (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) ^(٣) يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ» ^(٤).

فَإِذَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ وَأَنْتَ فِي الصَّلَاةِ، فَتَمِّمْ الصَّلَاةَ، ثُمَّ تَدَارِكْ الْجَوَابَ بَعْدَ السَّلَامِ عَلَى وَجْهِهِ.

فَإِذَا أُحْرِمَ الْإِمَامُ بِالْفَرَضِ فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِالْإِقْدَاءِ بِهِ وَصَلِّ الْفَرَضَ كَمَا سَيُنْتَلَى عَلَيْكَ فِي كَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ وَأَذَانِهَا، فَإِذَا فَرَعْتَ فَقُلْ ^(٥): «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، وَإِلَيْكَ يَعُودُ السَّلَامُ، فَحَيِّنا رَبَّنَا بِالسَّلَامِ، وَأَدْخِلْنَا (الْجَنَّةَ)» ^(٦) دَارَ السَّلَامِ، تَبَارَكْتَ ^(٧) (وتعاليت) ^(٨) يَا ذَا الْجَلَالِ

(١) - أخرجه أبو داود (٥٢٨). عن أبي أمامة. وأورده النووي في الأذكار (١٠٩).

(٢) - لقوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - حديث الوسيلة أخرجه البخاري (٦١٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. ومسلم

(٣٨٤) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٥) - بعد الاستغفار ثلاثاً كما رواه مسلم، عن ثوبان عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(مراقي العبودية ص ٢٥).

(٦) - في نسخة: (دارك).

(٧) - أي: تقدست كما قاله العزيزي. (مراقي العبودية ص ٢٥).

(٨) - ما بين: () زيادة من نسخة. أي: تنزهت.

وَالْإِكْرَامُ^(١)، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى (الْوَهَّابِ)^(٢)، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٣)، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَهْلُ (النِّعْمَةِ)^(٤) وَالْفَضْلُ وَالنِّسَاءُ الْحَسَنُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

ثُمَّ أَدْعُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْحَوَامِعِ الْكَوَامِلِ، (وَهُوَ)^(٥) مَا عَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا يَقْرُبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَبَيَّةٍ وَاعْتِقَادٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا يَقْرُبُ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَبَيَّةٍ وَاعْتِقَادٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْتُكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ

(١) - أخرجه مسلم (٥٩١) والترمذي (٣٠٠) وأبو داود (١٥١٣) وابن ماجه (٩٢٨) عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثاً، وقال: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام».

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - أخرجه البخاري (٨٤٤) و٦٣٣٠ و٦٤٧٣ و٦٦١٥ و٧٢٩٢ ومسلم (٥٩٣) وأبو داود (١٥٠٥) عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من الصلاة وسلم قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد».

وأخرج الترمذي (٣٤٧٠) عن أبي ذر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال في دبر صلاة الصبح وهو ثان رجله قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير....».

(٤) - في نسخة: (النعم).

(٥) - في نسخة: (وهي).

عَبْدُكَ (وَبَيْتُكَ)^(١) مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ وَمَا قَضَيْتَ (عَلَيَّ)^(٢) مِنْ أَمْرٍ فَأَجْعَلْ عَاقِبَتَهُ رَشِداً^(٣).

ثُمَّ أَدْعُ بِمَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، وَمِنْ عَذَابِكَ أَسْتَجِيرُ، لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي (وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ)^(٤) طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلَحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ بِمَا أَصْلَحْتَ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»^(٥).

ثُمَّ قُلْ مَا قَالَهُ عِيسَى عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَا أَكْرَهُ، وَلَا أَمْلِكُ نَفْعَ مَا أَرْجُو، وَأَصْبَحُ الْأَمْرَ بِيَدِكَ لَا بِيَدِ غَيْرِكَ، وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهَنًا بِعَمَلِي، فَلَا فَقِيرَ أَفْقَرُ مِنِّي إِلَيْكَ، وَلَا غَنِيَّ أَغْنَى مِنكَ عَنِّي، اللَّهُمَّ لَا تُشَمِتْ بِي عَدُوِّي، وَلَا تُسَوِّءْ بِي صَدِيقِي، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي، وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّي وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِي، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ بَدَنِي مَنْ لَا يَرْحَمُنِي»^(٦).

(١) - في نسخة: (ورسولك).

(٢) - في نسخة: (لي).

(٣) - أخرجه أحمد (١٤٧/٦) وابن ماجه (٣٨٤٦) وصححه ابن حبان (٢٤١٣) موارد. والحاكم (٥٢١/١ - ٥٢٢) ووافقه الذهبي. عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) - ما بين: () زيادة نسخة.

(٥) - أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٥٧٠) وابن السني (٤٨) والحاكم في المستدرک (٥٤٥/١) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها: ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؟ تقولين إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم، بك أستغيث فأصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

(٦) - ذكره المصنف في إحياء علوم الدين (٣١٦/١).

ثُمَّ ادْعُ بِمَا بَدَأَ لَكَ مِنَ الدُّعَوَاتِ الْمَشْهُورَاتِ^(١) وَاحْفَظْهَا مِمَّا أَوْزَدْنَاهُ فِي كِتَابِ الدُّعَوَاتِ مِنْ كُتُبِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ^(٢).

وَتَلْكَنْ أَوْقَاتَكَ بَعْدَ الصَّلَاةِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ مُوزَّعَةً عَلَى أَرْبَعٍ وَطَائِفَ:

- ١- وَطَيْفَةٌ فِي الدُّعَوَاتِ.
 - ٢- وَوَطَيْفَةٌ فِي الْأَذْكَارِ وَالتَّسْبِيحَاتِ، وَتُكْرَرُهَا فِي سُبْحَةٍ^(٣).
 - ٣- وَوَطَيْفَةٌ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ.
 - ٤- وَوَطَيْفَةٌ فِي التَّفَكُّرِ. فَتَفَكَّرْ فِي ذُنُوبِكَ وَخَطَايَاكَ، وَتَقْصِيرِكَ فِي عِبَادَةِ مَوْلَاكَ، وَتَعَرُّضِكَ لِعِقَابِهِ الْأَلِيمِ، وَسُخْطِهِ الْعَظِيمِ.
- وَتَرْتَّبْ (تَدْبِيرُكَ)^(٤) أَوْرَادَكَ فِي جَمِيعِ يَوْمِكَ، لِتَتَذَكَّرَ بِهِ مَا (فَرَطَ)^(٥) مِنْ تَقْصِيرِكَ، وَتَحْتَزِرَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِسُخْطِ اللَّهِ الْأَلِيمِ فِي يَوْمِكَ، وَتَنْوِي الْخَيْرَ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَعَزُّمُ أَنْ لَا تَشْتَغَلَ فِي جَمِيعِ نَهَارِكَ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَقْصِدَ فِي قَلْبِكَ الطَّاعَاتِ الَّتِي تَقْدِرُ عَلَيْهَا، وَتَحْتَازِ أَفْضَلَهَا، وَتَتَأَمَّلُ نَهْيَةً أَسْبَابَهَا لِتَشْتَغَلَ بِهَا.

(١) - قال في مراقي العبودية: والأولى الإتيان بسيد الاستغفار وهو: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، أعوذ بك من شر ما صنعت.

(٢) - (الإحياء ١/ ٢٩٣ - ٣٢٩).

(٣) - نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن الذكر بالمسبحات خير من العدد بالخصى وذلك في حديث مسلم (٢٧٢٦) والترمذي (٣٥٥٠) وأبو داود (١٥٠٣) وابن ماجه (٣٨٩٨) عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصُّبح، وهي في مسجدها، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ فِيهِ، فَقَالَ: «مَا زِلْتَ الْيَوْمَ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ قُلْتُ بِعَدْلِكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وَزَنْتَ بِمَا قُلْتَ مِنْذَ الْيَوْمِ لَوَزَنْتَهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ».

(٤) - في نسخة: (أوقاتك بتدبيرك).

(٥) - في نسخة: (فرطت).

وَلَا تَدْعُ عَنْكَ التَّفَكُّرَ فِي قُرْبِ الْأَجَلِ وَخُلُوفِ الْمَوْتِ الْقَاطِعِ لِلْأَمَلِ^(١)، وَخُرُوجِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِخْتِيَارِ، وَخُصُولِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ (بطول)^(٢) الْإِغْتِرَارِ.

وَتَلْكَنْ مِنْ تَسْبِيحَاتِكَ وَأَذْكَارِكَ عَشْرَ كَلِمَاتٍ:

إِحْدَاهُنَّ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٣).

الثَّانِيَةُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ»^(٤).

الثَّالِثَةُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْغَزِيرُ الْغَفَّارُ»^(٥).

الرَّابِعَةُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(٦) الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

(١) - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثرُوا مِنْ ذِكْرِ هَازِمِ اللَّذَاتِ». أخرجه الترمذي (٢٣٠٧). وابن ماجه (٤٢٥٨). والنسائي (٤/٤). والحاكم (٤/٣٢١). وابن حبان (٢٩٩٢ و ٢٩٩٣) والقضاعي في مسند الشهاب (٦٦٩). وانظره في رسالتنا: الأربعون الصحاح في ذكر الموت (ص ٨).

(٢) - في نسخة: (وطول).

(٣) - أخرج الترمذي (٣٤٧٠) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٢٧) عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَهُوَ ثَانٍ رَجُلِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَحُجِّي عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ....».

(٤) - قال العراقي: رواه المستغفري في الدعوات، والخطيب [تاريخ بغداد: ١٢/ ٣٥٨، ٣٥٩] في الرواة عن مالك من حديث علي: «مَنْ قَالَهَا فِي يَوْمٍ مِثْلَ مَرَّةٍ كَانَ لَهُ أَمَانٌ مِنَ الْفَقْرِ وَأَمَانٌ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ وَاسْتَحْلَبَ بِهِ الْغَنَى وَاسْتَقَرَّ بِهِ بَابُ الْجَنَّةِ». وانظر إتحاف السادة المتقين (١٣١/٥).

(٥) - أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٧٥٧) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٦٤) والحاكم (٥٤٠/١) وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان (٥٥٣٠) عن عائشة رضي الله عنها.

الْحَامِسَةُ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(١).

السَّادِسَةُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»^(٢)، «سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(٣).

(٦) - ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٨٥٧) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وقال: رواه الطبراني، وفيه: جرير بن أيوب، وهو ضعيف جداً.

وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٨٦١) عن سعد - يعني: ابن أبي وقاص - أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: علمني كلاماً أقوله، فقال: «قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، والله أكبر كبيراً، وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». قلت: هو في الصحيح خلا قوله: «العلي العظيم». قال: رواه البزار [٣٠٧٧] ورجاله رجال الصحيح.

(١) - أخرجه أحمد (٣٥/٦ و ٩٤ و ١١٥ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٧٦ و ١٩٣) ومسلم (٤٨٧) وأبو داود (٨٧٢) والنسائي (٢٢٤/٢). وذكره النووي في الأذكار (١٤٢ و ١٥٥) وقال: قال أهل اللغة: سبوح قدوس: بضم أولهما وبالفتح أيضاً لغتان، أوجههما وأشهرهما وأكثرهما الضم.

قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص ٢٨): (سبوح قدوس): هما اسمان من أسماء الله تعالى. قال ثعلب: كل اسم جاء على فعول فهو مفتوح الأول إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما أكثر وقد يفتحان وقراءتهما سيويه بالفتح والفرق بين التسبيح والتقديس أن التسبيح يكون بالطاعات والعبادات والتقديس يكون بالمعارف في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله أي: فيكون التقديس التفكير في ذلك.

(٢) - أخرجه الترمذي (٣٤٦٠ و ٣٤٦١) وابن حبان (٢٣٣٥) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٢٧) والحاكم (٥٠١/١ - ١٥٠٢) عن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة».

(٣) - أخرجه البخاري (٦٠٤٣) ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

وأخرج البزار (٣٠٨١) والطبراني في الكبير (١٢٧٩٩) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله وأتوب إليه من قالها كتبت كما قالها، ثم علقت بالعرش، لا يحوها ذنب عمله صاحبها حتى يلقى الله يوم القيامة، وهي مختومة

السَّابِعَةُ: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَسْأَلُهُ التَّوْبَةَ وَالْمَغْفِرَةَ»^(١).

الثَّامِنَةُ: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا رَادَّ لِمَا قَضَيْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٢).

التَّاسِعَةُ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ».

الْعَاشِرَةُ: «بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^(٣).

كما قالها: قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٨٧٨): رواه البزار، وفيه: يحيى بن عمرو بن مائل، النُّكْرِي البصري بضم النون وهو ضعيف، وقال الدارقطني: صويلح يعتبر به، وبقي رجاله ثقات.

(١) - أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (٨٣) عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، ثلاث مرات، غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر». قال النووي في الأذكار عقب حديث رقم (٢٤٩ و ٥١٨): ويستحب الإكثار من الدعاء في جميع يوم الجمعة، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، رجاء لمصادفة ساعة الإجابة، فقد اختلف فيها على أقوال كثيرة، فقيل: هي بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس. وقيل: بعد طلوع الشمس، وقيل: بعد الزوال، وقيل: بعد العصر، وقيل غير ذلك.

(٢) - أخرجه أحمد (٢٤٥/٤ و ٢٤٧ و ٢٥٠ و ٢٥٤) والدارمي (١٣٥٦) والبخاري (٨٤٤ و ٦٣٣ و ٦٤٧٣ و ٦٦١٥ و ٧٢٩٢). ومسلم (٥٩٣). وأبو داود (١٥٠٥) والنسائي (٧٠/٣) وفي عمل اليوم والليلة (١٣٠). وابن السني في عمل اليوم والليلة (١١٥). عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. قال ابن علان: قال القلقشندي: في الحديث مشروعية هذا الذكر عقب الصلوات لما اشتملت عليه من معاني التوحيد ونسبة الأفعال إلى الله تعالى، والمنع والإعطاء، وتسام القدرة، فيكون الاعتراف به عقب الصلوات أدعى لقبولها وأرجى لحصول المقصود، وعظم ثواب هذا الذكر القليل مع خفته على اللسان لأجل مدلولاته، فإنها راجعة إلى الإيمان الذي هو أعظم الأمور.

آدَابُ مَا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ

فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَارْتَفَعَتْ قَدَرُ رُمْحٍ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ^(١)، وَذَلِكَ عِنْدَ زَوَالِ وَقْتِ الْكَرَاهَةِ لِلصَّلَاةِ فَإِنَّهَا مَكْرُوهَةٌ مِنْ بَعْدِ فَرِيضَةِ الصُّبْحِ إِلَى ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ. فَإِذَا أَضْحَى النَّهَارُ وَمَضَى مِنْهُ قَرِيبٌ مِنْ رُبْعِهِ فَصَلِّ صَلَاةَ الصُّحَى أَرْبَعًا^(٢) أَوْ سِتًّا أَوْ ثَمَانِيًا^(٣) مَثْنَى مَثْنَى، فَقَدْ نُقِلَتْ هَذِهِ الْأَعْدَادُ كُلُّهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالصَّلَاةُ خَيْرٌ كُلُّهَا، فَمَنْ شَاءَ فَلْيَسْتَكْبِرْ^(٤)، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَسْتَقِلْ، فَلَيْسَ بَيْنَ (طُلُوعِ

وأخرج الترمذي (٣٥٢٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٥٧٧) عن عمارة بن شبيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات على أثر المغرب، بعث الله - تعالى - له مسلحة يتكفلونه من الشيطان حتى يصبح... وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات».

(١) - إما بنية صلاة الإشراف بناء على القول بأنها غير صلاة الضحى، أو بنية الضحى بناء على أنا هي وهو المعتمد. (مراقي العبودية ص ٢٩).

(٢) - أخرج مسلم (٧١٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت معاذة: إنها سألت عائشة رضي الله عنها: كم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى؟ قالت: أربع ركعات، ويزيد ما شاء.

(٣) - أخرج البخاري (٤٣/٣) و (٤٤) ومسلم (٣٣٦) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله قال: ما حدثنا أحدٌ أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي الضحى، غير أم هانئ، فإنها قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيته يوم فتح مكة، فاغتسل وصلى ثماني ركعات، فلم أر صلاة قط أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود».

(٤) - لما ذكره الميثمي في مجمع الزوائد (٣٥٠٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة خير موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر». قال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: عبد المنعم بن بشير، وهو ضعيف.

تَكَرَّرَ^(١) كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ إِمَّا مِئَةً مَرَّةً أَوْ سَبْعِينَ مَرَّةً، أَوْ عَشْرَ مَرَّاتٍ وَهُوَ أَقْبَلُ، لِيَكُونَ الْمَجْمُوعُ مِئَةً، وَلَا زِمَ هَذِهِ (الْأَوْرَادُ)^(٢)، وَلَا تَتَكَلَّمُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَبِى الْخَيْرِ: أَنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ إِغْتَاكِ ثَمَانِ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ^(٣) عَلَى نَبِيْنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أُعْنِي الشَّغْلَ بِالذِّكْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْخَلُّهُ كَلَامٌ.

(٣) - أخرجه أحمد (٦٢/١) و (٦٣). وأبو داود (٥٠٨٨ و ٥٠٨٩) والترمذي (٣٣٨٥) وابن ماجه (٣٨٦٩). والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٥ و ١٦ و ٣٤٦ و ٣٤٧) وابن حبان (٢٥٣٢) موارد. والحاكم (٥١٤/١). عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(١) - بصيغة المضارع الذي للحطاب.

(٢) - في نسخة: (الأذكار).

(٣) - أخرج ابن السني رقم (٦٧٠) بإسنادٍ ضعيف عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن أجلس مع قوم يذكرون الله - عز وجل - من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، أحب إلي من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل». وللحديث شواهد تقوي معناه منها ما أخرجه أبو داود (٣٦٦٧) عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن أقمعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقمعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب أحب إلي من أن أعتق أربعة». وذكر بنحوه أحمد في المسند (٢٥٥/٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

وأخرج أحمد (٤٢٢/٥) والبخاري (٦٤٠٤) ومسلم (٢٦٩٣) والترمذي (٣٥٨٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٤). عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، عشر مرات، كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل».

وأخرج أحمد (٣٠٢/٢ و ٣٧٥) والبخاري (٣٢٩٣ و ٦٤٠٣) ومسلم (٢٦٩١) ومالك في الموطأ (٢٠٩/١) والترمذي (٣٤٦٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٥) وابن السني أيضاً (٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مئة مرة، كانت له عدل عشر رقاب...».

الشَّمْسِ) ^(١) وَالزَّوَالِ رَابِعَةٌ إِلَّا هَذِهِ الصَّلَوَاتِ، فَمَا فَضَّلَ مِنْهَا مِنْ أَوْقَاتِكَ فَلَكَ فِيهِ أَرْبَعُ خَالَاتٍ:

الحالة الأولى: وهي **الأفضل**، أن تصرفه في طلب العلم النافع، (النافع في الدين) ^(٢) دون الفضول الذي أكب الناس عليه وسموه علماً.

والعلم النافع: ما يزيد في خوفك من الله تعالى، ويزيد في بصيرتك بعيوب نفسك، ويزيد في معرفتك بعبادة ربك، ويقلل من رغبتك في الدنيا، ويزيد في رغبتك في الآخرة، ويفتح بصيرتك بأفات أعمالك حتى تحترز منها، ويطلعك على مكائيد الشيطان وغروره، وكيفية تلبس به على علماء السوء حتى عرضهم لمقت الله تعالى وسخطه، حيث (اشترؤا) ^(٣) الدنيا بالدين، واتخذوا العلم ذريعةً وسيلةً إلى أخذ أموال السلاطين، وأكل أموال الأوقاف واليتامى ^(٤) والمساكين، (وصرفوا) ^(٥) همتهم طول نهارهم إلى طلب الحياء والمنزلة في قلوب الخلق، واضطربهم ذلك إلى المرأة والمماراة، (والمناقشة) ^(٦) في الكلام والمباحاة.

وهذا الفن من العلم النافع قد جمعناه في كتاب إحياء علوم الدين، فإن كنت من أهله فحصله وأعمل به، ثم علمه وأدع إليه، فمن علم ذلك (وعمل) ^(٧) به ثم دعا إليه، فذلك يدعى عظيمًا في ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام ^(٨).

(١) - في نسخة: (الطلوع).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - في نسخة: (أكلوا).

(٤) - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠].

(٥) - في نسخة: (وصرف).

(٦) - في نسخة: (والمناقشة).

(٧) - في نسخة: (ثم عمل).

(٨) - قال الإمام محمد نوري الجاوي في مراقي العبودية (ص ٣١): أي: لأن سيدنا عيسى قال: من

علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات.

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَفَرَغْتَ مِنْ إِصْلَاحِ نَفْسِكَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَفَضَّلَ شَيْءًا مِنْ أَوْقَاتِكَ، فَلَا بَأْسَ أَنْ تَشْتَغَلَ بِعِلْمِ الْمَذْهَبِ فِي الْفَقْهِ لِتَعْرِفَ بِهِ الْفُرُوعَ النَّاسِجَةَ فِي الْعِبَادَاتِ، وَطَرِيقَ التَّوَسُّطِ بَيْنَ الْخَلْقِ فِي الْخُصُومَاتِ عِنْدَ انْكِبَابِهِمْ عَلَى الشَّهَوَاتِ، فَذَلِكَ أَيْضًا بَعْدَ الْفَرَاحِ مِنْ هَذِهِ الْمُهِمَّاتِ مِنْ جُمْلَةِ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ ^(١).

فَإِنْ دَعَيْتَ نَفْسَكَ إِلَى تَرْكِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْأَوْزَادِ وَالْأَذْكَارِ اسْتِغْفَالًا لَذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ اللَّعِينَ قَدْ دَسَّ فِي قَلْبِكَ الدَّاءَ الدَّوِين ^(٢)، وَهُوَ: حُبُّ (الْمَالِ وَالْحَيَاةِ) ^(٣)، فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِهِ فَتَكُونَ ضَحْكَةً ^(٤) (لَهُ) ^(٥) فَيَهْلِكَ ثُمَّ يَسْخَرُ (مِنْكَ) ^(٦).

فَإِنْ جَرَّبْتَ نَفْسَكَ مُدَّةً فِي الْأَوْزَادِ وَالْعِبَادَاتِ، فَكَانَتْ لَا تَسْتَقِلُّهَا كَسَلًا عَنْهَا، لَكِنْ ظَهَرَتْ رَغْبَتُكَ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَلَمْ تُرِدْ بِهِ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى وَالْذَّارَ الْآخِرَةَ،

(١) - قال الإمام محمد نوري الجاوي في مراقي العبودية (ص ٣١): ومن فروض الكفايات تعلم الطب. وقال الزيادي: وطلب العلم الشرعي على ثلاثة أقسام: فرض عين وهو تعلم ما لا بد منه. وفرض كفاية: وهو تعلم ما يصل إلى الجنة بعد الفراغ من نفسك وإياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك، فإن كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالأعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وإنما الأهم علم صفات القلب وما يحميها وما يذم إذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الخرص والجسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها.

(٢) - لأنه أقسم أنه سوف يفوي جميع العباد إلا المخلصين منهم، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُعَذِّبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، إلا عبادك منهم المخلصين [ص: ٨٢ - ٨٣] فكان جواب رب العزة عليه: ﴿قَالَ: فَالْحَقُّ﴾، والحق أقول، لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين [ص: ٨٤ - ٨٥].

(٣) - في نسخة: (الجاه والمال).

(٤) - أي: كثير الضحك.

(٥) - في نسخة: (للشيطان).

(٦) - في نسخة: (بك).

فَذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ مَهْمَا صَحَّتِ النَّيَّةُ، وَلَكِنَّ الشَّانَ فِي صِحَّةِ النَّيَّةِ، فَإِنْ لَمْ تَصِحَّ النَّيَّةُ (فَهُوَ) ^(١) مَعْلَنٌ غُرُورُ الْجَهَالِ ^(٢)، وَمَزَلَّةٌ أَقْدَامِ الرِّجَالِ.

الحالة الثانية: أَنْ لَا تَقْدِرَ عَلَى تَحْصِيلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ (فِي الدِّينِ) ^(٣)، لَكِنْ تَشْتَغِلُ بِوَطَائِفِ الْعِبَادَاتِ مِنَ الذِّكْرِ (وَالْتَسْنِيحِ) ^(٤) وَالْقِرَاءَةِ (وَالصَّلَاةِ) ^(٥)، فَذَلِكَ مِنْ دَرَجَاتِ الْعَابِدِينَ وَسِرِّ الصَّالِحِينَ، وَتَكُونُ أَيْضاً بِذَلِكَ مِنَ الْفَائِزِينَ.

الحالة الثالثة: أَنْ تَشْتَغِلَ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ خَيْرٌ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَيَدْخُلَ بِهِ سُرُورٌ عَلَى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ (يَنْسَرُّ) ^(٦) بِهِ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ لِلصَّالِحِينَ، كَخِدْمَةِ الْفُقَهَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الدِّينِ، وَالتَّرَدُّدِ فِي أَشْغَالِهِمْ ^(٧) وَالسَّعْيِ فِي إِطْعَامِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالتَّرَدُّدِ مَثَلًا عَلَى الْمَرْضَى بِالْعِيَادَةِ، وَعَلَى الْخَنَائِزِ بِالتَّغْنِيَةِ، فَكُلُّ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ النَّوَافِلِ، فَإِنَّ هَذِهِ عِبَادَاتٌ، وَفِيهَا رَفَقٌ لِلْمُسْلِمِينَ.

الحالة الرابعة: (أَنْ لَا تَقْوَى) ^(٨) عَلَى ذَلِكَ، فَاشْتَغِلَ بِحَاجَاتِكَ الْحَسَبَاءَ عَلَى نَفْسِكَ أَوْ عَلَى عِيَالِكَ، وَقَدْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْكَ وَأَمِنُوا مِنْ لِسَانِكَ وَبَيْدِكَ ^(٩)، وَسَلِمَ لَكَ دِينُكَ،

(١) - في نسخة: (فهو).

(٢) - والغرور بفتح الغين معناه: الدنيا أو الشيطان. وبضمها معناه: الأباطيل كما في القاموس.

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - في نسخة: (والتسبيحات والصلاة).

(٦) - في نسخة: (يسر).

(٧) - جمع شغل: بضم الشين والغين وبإسكان الغين وبه مع فتح الشين ويفتحين ففيه أربع لغات.

(مراقي العبودية ص ٣٢).

(٨) - في نسخة: (إن لم تقوى).

(٩) - عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمَنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ». أخرجه النسائي (١٠٤/٨) و١٠٥ وابن حبان في صحيحه (١٨٠) والحاكم (١٠/١).

إِذَا لَمْ تَرْتَكِبْ مَعْصِيَةً، فَتَنَالَ بِهِ (دَرَجَةً) ^(١) أَصْحَابُ الْيَمِينِ ^(٢)، إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أَهْلِ التَّرَقِّيِ إِلَى مَقَامَاتِ السَّابِقِينَ.

(فَهَذَا) ^(٣) أَقْلُ الدَّرَجَاتِ فِي مَقَامَاتِ الدِّينِ، وَمَا بَعْدَ هَذَا فَهُوَ مِنْ رَافِعِ الشَّيَاطِينِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَشْتَغِلَ - وَالْعِيَادُ بِالله - بِمَا يَهْدِيكَ دِينُكَ، أَوْ تُؤْذِي عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ (تَعَالَى) ^(٤)، فَهَذِهِ رُتَبَةُ الْهَالِكِينَ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ (مِنْ) ^(٥) هَذِهِ الطَّبَقَةِ.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أسلم المسلمون إسلاماً من سلم المسلمون من لسانه ويده». أخرجه مسلم (٤١). وابن مندة في الإيمان (٣١٤). وابن حبان في صحيحه (١٩٧). والبيهقي في السنن الكبرى (١٠٨٧/١٠).

عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه». أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٣٠).

وأخرج البزار (١١٤٣) والطبراني في الكبير (٣١٢/١٨) عن فضالة بن عبيد الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال في حجة الوداع: «هذا يومٌ حرامٌ، وبلدٌ حرامٌ، فدمواؤكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ مثل هذا اليوم، وهذا البلد، إلى يوم القيامة، وحتى دفعةً دفعها مسلم مسلماً يريد بها سوءاً، وسأخبركم من المسلم؟ المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله». وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٥) بتحقيق شيخنا. وقال: رواه البزار، والطبراني في الكبير باختصار، ورجال البزار ثقات.

(١) - في نسخة: (درجات).

(٢) - قال الله تعالى في فضلهم: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾، في سددٍ خضود، وطلحٍ منضود، وظلٍّ ممدود، وماءٍ مسكوب، وفاكهةٌ كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة، إنا أنشأناهم إنشاءً، فجعلناهم أئبكاراً، غريباً أتراباً، لأصحاب اليمين، ثلثة من الأولين، وثلثة من الآخرين ﴿[الواقعة: ٢٧ - ٤٠]﴾. وعكس أصحاب اليمين أصحاب الشمال وما أعد الله لهم من العذاب المقيم في الدار الآخرة.

(٣) - في نسخة: (وهذه).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - في نسخة: (في).

وَالْعَلَمُ: أَنَّ الْعَبْدَ فِي حَقِّ دِينِهِ عَلَى ثَلَاثِ دَرَجَاتٍ:

١- إِمَّا سَالِمٌ: وَهُوَ الْمُقْتَصِرُ عَلَى أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَتَرْكِ الْمَعَاصِي ^(١).

٢- أَوْ رَابِعٌ: وَهُوَ الْمُتَطَرِّعُ بِالْقُرْبَاتِ وَالنَّوَافِلِ ^(٢).

٣- أَوْ خَاسِرٌ: وَهُوَ الْمُقْتَصِرُ عَنِ الْوَازِمِ ^(٣).

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَكُونَ رَابِعًا، فَاجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ سَالِمًا، وَإِيَّاكَ (تُمْ إِيسَاكَ) ^(٤) أَنْ تَكُونَ خَاسِرًا.

وَالْعَبْدُ فِي حَقِّ سَائِرِ الْعِبَادِ لَهُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ:

الأولى: أَنْ يَنْزِلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةُ الْكِرَامِ الْبِرَّةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ^(٥)، وَهُوَ: أَنْ يَسْعَى فِي أَغْرَاضِهِمْ رِفْقًا بِهِمْ، وَإِدْخَالًا لِسُرُورٍ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

الثانية: أَنْ يَنْزِلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةُ الْبَهَائِمِ وَالْحِمَادَاتِ، فَلَا (يَنَالُهُمْ) ^(٦) خَيْرُهُ، وَلَكِنْ يَكْفُ عَنْهُمْ شَرُّهُ.

الثالثة: أَنْ يَنْزِلَ فِي حَقِّهِمْ مَنْزِلَةُ الْعُقَارِبِ وَالْحَيَّاتِ وَالسَّبَاعِ الضَّارِيَاتِ، لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَيَتَّقَى شَرُّهُ.

فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ (عَلَى) ^(٧) أَنْ تَلْتَحِقَ بِأَفْقِ الْمَلَائِكَةِ، فَاحْذَرْ أَنْ تَنْزِلَ عَنْ دَرَجَةِ الْبَهَائِمِ وَالْحِمَادَاتِ إِلَى مَرَاتِبِ الْعُقَارِبِ وَالْحَيَّاتِ وَالسَّبَاعِ الضَّارِيَاتِ، فَإِنْ رَضِيتَ لِنَفْسِكَ

(١) - قال تعالى في حقه: ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِرٌ﴾ [فاطر: ٣٢].

(٢) - قال تعالى في حقه: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

(٣) - قال الله تعالى في حقه: ﴿وَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥ - ١٦].

(٦) - أي العبد فخير فاعل. وفي نسخة: (ينالهم) وعلى هذه النسخة فخيره مفعول ثان. (مراقبي

العبودية ص ٣٣).

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

النُّزُولِ مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ، فَلَا تَرْضَى لَهَا بِالْهَوِيِّ ^(١) إِلَى أَسْفَلِ (سَافِلِينَ) ^(٢)، فَلَعَلَّكَ تَنْجُو كَفَافًا ^(٣) لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ.

فَعَلَيْكَ فِي بَيَاضِ نَهَارِكَ أَنْ لَا تَشْتَغَلَ إِلَّا بِمَا يَنْفَعُكَ فِي مَعَادِكَ أَوْ مَعَاشِكَ، الَّذِي لَا تَسْتَغْنِي عَنِ الْاِسْتِعَانَةِ بِهِ عَلَى (مَعَادِكَ) ^(٤).

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنِ الْقِيَامِ بِحَقِّ دِينِكَ مَعَ مُحَالَطَةِ النَّاسِ وَكُنْتَ لَا تَسْلَمُ، فَالْعُزْلَةُ أَوْلَى لَكَ، فَعَلَيْكَ بِهَا، فَفِيهَا النِّجَاةُ وَالسَّلَامَةُ، فَإِنْ كَانَتْ الْوَسَائِسُ فِي الْعُزْلَةِ تُجَادِبُكَ إِلَى مَا لَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى قَمْعِهَا بِوَطَائِفِ الْعِبَادَاتِ، فَعَلَيْكَ بِالنُّومِ، فَهُوَ أَحْسَنُ أَحْوَالِكَ وَأَحْوَالِنَا، إِذَا عَجَزْنَا عَنِ الْغَنِيمَةِ رَضِينَا بِالسَّلَامَةِ فِي الْهَرِيمَةِ.

فَأَحْسَنُ بِحَالٍ ^(٥) مَنْ سَلَامَةُ دِينِهِ فِي تَعْطِيلِ حَيَاتِهِ، إِذِ النَّوْمُ أَحْوُ الْمَوْتِ، وَهُوَ تَعْطِيلُ الْحَيَاةِ، وَالتَّحَاقُّ بِالْحِمَادَاتِ ^(٦).

(١) - أي: السقوط.

(٢) - في نسخة: (السافلين).

(٣) - أي: مقدار حاجتك من غير نقص ولا زيادة.

(٤) - في نسخة: (معادك أو معاشك).

(٥) - قال الإمام محمد نوري الجاوي في مراقبي العبودية (ص ٣٤): قول: أحسن، فعل تعجب، فعل ماض ويحيته على صورة الأمر. وقوله: (بحال) فاعل والباء زائدة لتحسين اللفظ لأن مجيء المرفوع بعد صورة الأمر قبيح ويدل على ذلك ما في بعض النسخ: فما أحسن حال من سلامة دينه في تعطيل حياته، أي: خسة حال من ذكر أمر يتعجب منه. وعلى هذه النسخة فقوله: حال مفعول. وحمل شيخنا يوسف السنبلاوي على أن قوله في النسخة الأولى فأحسن فعل أمر فكان قوله: بحال معمول له، فالباء للملابسة والمعنى: ارض بالأمر الخسيس أي: الحقير متلبساً بحال من ذكر.

(٦) - قال في مراقبي العبودية (ص ٣٤): وذكر أبو طالب المكي خلافاً في اليقظة المجردة عن سائر العبادات من الذكر وغيره والنوم الذي ليس للتقوى على طاعة الله تعالى، وليس لأجل ترك معصية فليل: اليقظة أفضل من ذلك النوم لأنه تقض وقيل: النوم أولى لأنه قد يرسى فيه الله تعالى أو النبي أو الصالحين وأما النوم الذي قد طلب السلامة ونية قيام الليل فهو قرية.

آداب الاستعداد لسائر الصلوات

يُنْبَغِي أَنْ تَسْتَعِدَّ (لصلاة الظهر قبل الزوال، فتقدم^(١) القيلولة^(٢)) إِنْ كَانَ لَكَ قِيَامٌ فِي اللَّيْلِ، أَوْ سَهَرٌ فِي النَّهَارِ، فَإِنَّ فِيهَا مَعُونَةً عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، كَمَا أَنَّ فِي السَّحُورِ مَعُونَةً عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ^(٣)، وَالْقِيلُولَةُ مِنْ غَيْرِ قِيَامٍ بِاللَّيْلِ (كَالسَّحُورِ)^(٤) مِنْ غَيْرِ صِيَامٍ بِالنَّهَارِ، (فَإِذَا قُلْتَ)^(٥) فَاجْتَهِدْ أَنْ تَسْتَقِظَ قَبْلَ الزَّوَالِ، وَتَتَوَضَّأَ، وَتَحْضُرَ الْمَسْجِدَ وَتُصَلِّيَ تَجِيَّةَ الْمَسْجِدِ، وَتَنْتَظِرَ الْمُؤَذِّنَ تَجِيَّةً، ثُمَّ تَقُومُ فَتُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ عَقِبَ الزَّوَالِ^(٦)، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطَوِّئُهُنَّ وَيَقُولُ: «هَذَا وَقْتُ تَفْتُحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ. فَاجِبُ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِيهِ عَمَلٌ صَالِحٌ»^(٧).

وَهَذِهِ الْأَرْبَعُ قَبْلَ الظُّهْرِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، فَفِي الْخَيْرِ أَنْ: «مَنْ صَلَّاهُنَّ فَأَخْسَنَ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ، صَلَّى مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِلَى اللَّيْلِ»^(٨).

ثُمَّ صَلَّ الْفَرَضَ مَعَ الْإِمَامِ، ثُمَّ صَلَّ بَعْدَ الْفَرَضِ رَكَعَتَيْنِ^(٩)، فَهُمَا مِنَ الرُّوَاتِبِ الثَّابِتَةِ. وَلَا تَشْتَغِلْ إِلَى الْعَصْرِ إِلَّا بِتَعَلُّمٍ عِلْمٍ، أَوْ إِعَانَةٍ مُسْلِمٍ، أَوْ قِرَاءَةِ قُرْآنٍ، أَوْ سَخِيٍّ فِي مَعَاشٍ (لِتَسْتَعِينِ)^(١٠) بِهِ عَلَى دِينِكَ، ثُمَّ صَلَّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْعَصْرِ، (فَهِيَ)^(١١) سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ الْعَصْرِ»^(١٢). فَاجْتَهِدْ أَنْ يَنَالَكَ دُعَاؤُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَشْتَغِلْ بَعْدَ الْعَصْرِ إِلَّا بِمِثْلِ مَا سَبَقَ قَبْلَهُ.

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ أَوْقَاتِكَ مُهْمَلَةً، فَتَشْتَغِلْ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا اتَّفَقَ كَيْفَ اتَّفَقَ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَحَاسِبَ نَفْسَكَ، وَتُرْتَّبَ أَوْزَاكَ وَوُظَائِفَكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَتُعَيِّنَ لِكُلِّ وَقْتٍ شُغْلًا لَا تَتَعَدَّاهُ وَلَا (تُؤْتِرُ)^(١٣) فِيهِ سِوَاهُ، فَبِذَلِكَ تَظْهَرُ بَرَكَةُ الْأَوْقَاتِ.

(١) - في نسخة: (قبل الزوال لصلاة الظهر تقدم).

(٢) - أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٨) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقِيلُ». ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٢٥٦) وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: كثير بن مروان، وهو كذاب. أقول: قال شيخنا في تحقيقه له: وفيه أيضاً: معاوية بن يحيى الصديقي، ضعيف.

(٣) - روى ابن ماجه (١٦٩٣) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استعينوا بطعام السحر على صيام النهار والقيلولة على قيام الليل».

(٤) - في نسخة: (كالتسحر).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - بتسليمه واحدة، ومنهجه الشافعي أنها مثنى مثنى كسائر النوافل. (مراقي العبودية ص ٣٤).

(٧) - أخرجه أحمد (٤١١/٣) والترمذي (٤٧٨) عن عبد الله بن السائب رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي أربعاً بعد أن تزول الشمس قبل الظهر، وقال: «إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء، فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح».

(٨) - قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١٩٤/١): حديث: «من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن...». ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغاً من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة. قال الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣٣٦/٣): وفي المصنف لأبي بكر بن أبي شيبه، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن بن بديل قال: حدثني أبطن الناس بعبد الله بن مسعود أنه كان يصلي في بيته إذا زالت الشمس أربع ركعات يطيل فيهن فإذا تجاوز المؤذنون خرج فجلس في المسجد حتى تقام لصلاة.

(٩) - جاء أنه يصلي بعدها أربعاً لا ركعتين وذلك فيما أخرجه أبو داود (١٢٦٩) عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حُرِّمَ عَلَى النَّارِ».

(١٠) - في نسخة: (تستعين).

(١١) - في نسخة: (وهي).

(١٢) - أخرجه الترمذي (٤٣٠) وأبو داود (١٢٧١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(١٣) - في نسخة: (تودع) أي: تجعل.

فَأَمَّا إِذَا تَرَكْتَ نَفْسَكَ سُدًى مُهْمَلًا إِهْمَالَ الْبَهَائِمِ لَا تَذَرِي بِمَاذَا تَشْتَغِلُ فِي كُلِّ وَقْتٍ فَيَنْقَضِي أَكْثَرُ أَوْقَاتِكَ ضَائِعًا، وَأَوْقَاتُكَ عُمْرُكَ، وَعُمْرُكَ رَأْسُ مَالِكَ، وَعَلَيْهِ تَجَارَتُكَ، وَبِهِ وَصُولُكَ إِلَى نَعِيمِ دَارِ الْآبِدِ فِي جَوَارِ اللَّهِ تَعَالَى، فَكُلُّ نَفْسٍ مِنْ أَنْفَاسِكَ جَوْهَرَةٌ لَا قِيَمَةَ لَهَا، إِذْ لَا بَدَلَ لَهَا، فَإِذَا قَاتَ فَلَا عَوْدَ لَهُ.

فَلَا تُكُنْ كَالْحَمَقَى الْمَغْرُورِينَ، الَّذِينَ يَفْرَحُونَ كُلَّ يَوْمٍ بِزِيَادَةِ أَمْوَالِهِمْ مَعَ نُقْصَانِ أَعْمَارِهِمْ، فَأَيُّ خَيْرٍ فِي مَالٍ يَزِيدُ، وَعُمْرٍ يَنْقُصُ؟ وَلَا تَفْرَحْ إِلَّا بِزِيَادَةِ عِلْمٍ، أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ، فَإِنَّهُمَا رَفِيقَاكَ يَصْحَبَانِكَ فِي الْقَبْرِ، حَيْثُ يَخْلُفُ عَنْكَ أَهْلُكَ وَمَالُكَ وَوَلَدُكَ وَأَصْدِقَاؤُكَ^(١).

ثُمَّ إِذَا اصْفَرَّتِ الشَّمْسُ، فَاجْتَهِدْ أَنْ تَعُودَ إِلَى الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْغُرُوبِ، وَتَشْتَغِلْ بِاتِّسَابِ الْإِسْتِغْفَارِ، فَإِنَّ فَضْلَ هَذَا الْوَقْتِ كَفَضْلِ مَا قَبْلَ الطُّلُوعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

وَأَقْرَأْ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ: ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا﴾، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾، و﴿الْمُعَوِّذَتَيْنِ﴾.

وَلَتَغْرُبْ عَلَيْكَ الشَّمْسُ وَأَنْتَ فِي الْإِسْتِغْفَارِ، فَإِذَا سَمِعْتَ الْأَذَانَ فَاجِبُهُ وَقُلْ بَعْدَهُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِنْدَ إِقْبَالِ لَيْلِكَ وَإِدْبَارِ نَهَارِكَ وَحُضُورِ صَلَاتِكَ وَأَصْوَاتِ دُعَاتِكَ^(٢)، أَنْ تُؤْتِيَنِي مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ^(٣)»^(٤). وَالِدُعَاءُ كَمَا سَبَقَ.

(١) - كقول الشاعر:

تزدود قريناً من فَعَالِكَ إِنَّمَا قَرِينُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَعْمَلُ

(٢) - جاء في الترمذي (٣٥٨٩) وأبو داود (٥٣٠) عن أم سلمة رضي الله عنها بلفظ: «علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول عند أذان المغرب: اللهم هَذَا إِقْبَالُ لَيْلِكَ وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ وَأَصْوَاتُ دُعَاتِكَ فَاعْفُ رُبِّي».

(٣) - جاء زيادة في نسخة: (وَالْفَضِيلَةَ وَالشَّرَفَ وَالذَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ، وَابْتَعَثَهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ، إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ).

ثُمَّ صَلِّ الْفَرَضَ بَعْدَ جَوَابِ الْمُؤَذِّنِ وَالْإِقَامَةِ^(١)، وَصَلِّ (بَعْدَهُ)^(٢) قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ (رَكْعَتَيْنِ)^(٣)، فَهُمَا رَاتِبَةُ الْمَغْرِبِ، وَإِنْ صَلَّيْتَ بَعْدَهُمَا أَرْبَعًا (تَطِيلُهُنَّ)^(٤) فَهِيَ أَيْضًا سُنَّةٌ. وَإِنْ أَمَكَنَّكَ أَنْ تَتَوَيَّ الْأَعْيَافَ إِلَى الْعِشَاءِ (وَر)^(٥) تُحْيِي مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ (بِالْصَّلَاةِ فَافْعَلْ)^(٦)، فَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ ذَلِكَ مَا لَا يُحْصَى^(٧)، وَهِيَ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ^(٨) لِأَنَّهَا أَوَّلُ (نَشْأَةٍ)^(٩)، وَهِيَ صَلَاةُ الْأَوَائِينَ^(١٠)، وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَوْلِهِ

(٤) - أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه كان إذا سمع المؤذن يقيم الصلاة يقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، صل على محمد وآلِ سوله يوم القيامة».

(١) - أي: وبعد ركعتين خفيفتين فهما قبل المغرب سنة غير مؤكدة كما صححه النووي. (مراقي العبودية ص ٣٦).

(٢) - في نسخة: (بعده ركعتين).

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - في نسخة: (تطيلها).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - في نسخة: (بصلاة).

(٧) - أخرج الترمذي (٣٧٨١) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ فَصَلَّى إِلَى الْعِشَاءِ».

(٨) - لقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّهِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ [الزمل: ٦]. وقال الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير (١٧٥/٣٠) قال: روى ابن أبي مليكة، قال: سألت ابن عباس وابن الزبير عن ناشئة الليل، فقال: الليل كله ناشئة. وقال زين العابدين رضي الله عنه: ناشئة الليل ما بين المغرب إلى العشاء، وهو قول سعيد بن جبير والضحاك والكسائي، قالوا: لأن ناشئة الليل هي الساعة التي منها يتبدىء سواد الليل.

(٩) - في نسخة: (نشأته).

(١٠) - عن زيد بن أرقم أنه رأى قوماً يصلون من الضحى، فقال: لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال».

تَعَالَى: ﴿تَتَحَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] فَقَالَ: «هِيَ الصَّلَاةُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَتَيْنِ^(١)، (فَإِنَّهَا تَذْهَبُ بِمَلَاعَاتِ النَّهَارِ)^(٢) وَتَهْذُبُ آخِرَهُ». (وَالْمَلَاعَاتُ)^(٣) جَمْعُ مَلْعَاةٍ، وَهِيَ مِنَ اللَّغْرِ. فَإِذَا دَخَلَ وَقْتُ الْعِشَاءِ، فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الْفَرَضِ إِحْيَاءَ لِمَا بَيْنَ الْأَذَانَيْنِ فَفَضَّلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ، وَفِي الْخَبَرِ أَنَّ: «الدُّعَاءَ (بَيْنَ)^(٤) الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ»^(٥).

أخرجه مسلم (٧٤٨). وانظره في الجامع الصغير (٥٠٩٧) بتحقيق شيخنا وزاد نسبته للإمام أحمد عن زيد بن أرقم، ولد: عبد بن حميد وسمويه عن عبد الله بن أبي أوفى.

(١) - قال السيوطي في الدر المنثور (١٧٥/٥): أخرج ابن أبي شيبة وأبو داود ومحمد بن نصر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه، عن أنس رضي الله عنه في قوله: ﴿تَتَحَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ قالوا: كانوا ينتظرون ما بين المغرب والعشاء يصلون. وقال أيضاً: وأخرج عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد الزهد وابن عدي وابن مردويه عن مالك بن دينار رضي الله عنه قال: سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿تَتَحَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ قال: كان قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأولين يصلون المغرب ويصلون بعدها إلى عشاء الآخرة فنزلت هذه الآية فيهم.

(٢) - في نسخة: (إنها تذهب بملعيات أول النهار).

(٣) - في نسخة: (والمفعيات).

(٤) - في نسخة: (ما بين).

(٥) - أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٤٢٥ و ٤٥٦) وابن السني في عمل اليوم والليلة: (١٠٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأخرجه الترمذي (٢١٢ و ٣٥٩٤) وأبو داود (٥٢١) بزيادة: (ما بين). وبقية: (وزاد أنس راوي الحديث: فماذا تقول يا رسول الله؟ قال: «سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة»).

وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٦٧) وابن حبان (١٦٩٦) بلفظ: عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدعاء بين الأذنين والإقامة يُستجاب، فادعوا».

ثُمَّ صَلِّ الْفَرَضَ، وَصَلِّ الرَّائِبَةَ رَكَعَتَيْنِ، وَأَقْرَأْ فِيهِمَا سُورَةَ: ﴿أَلَمْ السَّجْدَةِ﴾ وَ﴿تَبَارَكَ﴾ أَلْمَلِكُ، أَوْ سُورَةُ ﴿يَس﴾ وَ﴿الدُّحَانُ﴾، فَذَلِكَ مَا نُورِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَفِي الْخَبَرِ مَا يَدُلُّ عَلَى عَظِيمِ فَضْلِهَا. ثُمَّ صَلِّ الْوُتْرَ بَعْدَهَا ثَلَاثًا بِتَسْلِيمَتَيْنِ أَوْ بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِيهَا سُورَةَ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وَ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَالْإِخْلَاصَ وَالْمُعَوِّذَيْنِ^(١).

فَإِنْ كُنْتَ عَازِماً عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، فَأَخِّرِ الْوُتْرَ لِيَكُونَ آخِرَ صَلَاتِكَ بِاللَّيْلِ وَتَرَأُ^(٢). ثُمَّ اشْتَغِلْ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَذَاكِرَةٍ عِلْمٍ أَوْ مُطَالَعَةِ كِتَابٍ، وَلَا تَشْتَغِلْ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ فَيَكُونُ ذَلِكَ حَاطَةً أَعْمَالِكَ قَبْلَ نَوْمِكَ، (فَإِنَّمَا)^(٣) الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا^(٤).

(١) - أخرج أبو داود (١٤٢٤) والترمذي (٤٦٣) وابن ماجه (١١٧٣) عن عبد العزيز بن جريج رحمه الله تعالى قال: سألتنا عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «كان يقرأ في الأولى بـ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ وفي الثانية ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وفي الثالثة بـ﴿قل هو الله أحد﴾ والمعوذتين». وصححه الحاكم (٣٠٥/١) ووافقه الذهبي وهو كما قال.

(٢) - أخرج البخاري في صحيحه (٩٩٨) عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوا آخر صلواتكم بالليل وتراً».

(٣) - في نسخة: (فإن).

(٤) - أخرج ابن ماجه (٤١٩٩) وابن حبان (٣٣٩) بإسناد حسن، عن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بخواتيمها، كالوعاء إذا طاب أعلاه طاب أسفلُهُ، وإذا خَبِثَ أعلاه خَبِثَ أسفلُهُ».

وأخرج ابن حبان في صحيحه (٣٤٠) عن عائشة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا».

آداب النَّوْمِ

فَإِذَا أَرَدْتَ النَّوْمَ، فَابْسُطْ فِرَاشَكَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، وَتَمَّ عَلَى يَمِينِكَ كَمَا يُضْحَعُ الْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ^(١).

وَاعْلَمْ: أَنَّ النَّوْمَ مِثْلُ الْمَوْتِ، وَالْقِطْعَةُ مِثْلُ الْبُعْثِ، وَلَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبِضُ رُوحَكَ فِي لَيْلَتِكَ، فَكُنْ مُسْتَعِدًّا لِلِقَائِهِ؛

١- بِأَنْ تَنَامَ عَلَى ظَهْرِكَ.

٢- وَتَكُونَ وَصِيَّتُكَ مَكْتُوبَةً تَحْتَ (وَسَادَتِكَ)^(٢).

٣- وَتَنَامَ تَائِبًا مِنَ الذُّنُوبِ مُسْتَغْفِرًا، عَازِمًا عَلَى أَنْ لَا تَعُودَ إِلَى مَعْصِيَةٍ^(٣).

٤- وَاعْزِمِ عَلَى الْخَيْرِ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ إِنْ بَعَثَكَ اللَّهُ تَعَالَى، وَتَذَكَّرْ أَنَّكَ سَتُضْحَعُ فِي اللَّحْدِ كَذَلِكَ وَحِيدًا قَرِينًا، لَيْسَ مَعَكَ إِلَّا عَمَلُكَ، وَلَا تُجْزَى إِلَّا بِسَعْيِكَ.

(١) - أخرج البخاري (٦٢٦) والنسائي (١٧٦١) عن عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ بِالْأَوَّلَى مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ بَعْدَ أَنْ يَتِمَّ الْفَجْرُ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّ الْأَيْمَنِ».

(٢) - في نسخة: (رَأْسِكَ). أخرج ابن ماجة (٢٧٠٠) بإسناد ضعيف، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المَحْرُومُ مِنْ حُرْمٍ وَصِيَّتُهُ». وَأُخْرِجَ أَيْضًا (٢٧٠١) بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ عَلَى وَصِيَّةٍ، مَاتَ عَلَى سَبِيلٍ وَسَنَةٍ. وَمَاتَ عَلَى تَقَى وَشَهَادَةٍ. وَمَاتَ مَغْفُورًا لَهُ».

وَأُخْرِجَ أَيْضًا (٢٧٠٢) عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا حَقَّ أَمْرِي، مُسْلِمٌ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ، وَلَهُ شَيْءٌ يَوْصِي بِهِ، إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ».

(٣) - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ، وَإِنْ كَانَتْ عِدْدُ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَإِنْ كَسَانَتْ عِدْدُ رَمْلِ عَالِجٍ، وَإِنْ كَانَتْ عِدْدُ أَيَّامِ الدُّنْيَا». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٩٧)

٥- وَلَا تَسْتَجْلِبِ النَّوْمَ تَكَلُّفًا يَتَمَهَّدُ (الْفُرُش)^(١) الْوُطَيْيَّةَ، فَإِنَّ النَّوْمَ تَعْطِيلٌ (لِلْحَيَاةِ)^(٢)، إِلَّا إِذَا كَانَتْ يَقْطُتُكَ وَتَبَالَا عَلَيْكَ، فَتَوُتُكَ سَلَامَةً لِدِينِكَ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً، فَلَا يَكُنْ نَوْمُكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَكْثَرَ مِنْ ثَمَانِ سَاعَاتٍ، فَيَكْفِيكَ إِنْ عِشْتَ مِثْلًا سِتِّينَ سَنَةً أَنْ تُضَيِّعَ مِنْهَا عِشْرِينَ سَنَةً، وَهُوَ ثُلُثُ عُمْرِكَ.

٦- وَأَعِدَّ عِنْدَ النَّوْمِ سِوَاكَ وَطَهُورَكَ^(٣).

٧- وَاعْزِمِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ أَوْ عَلَى الْقِيَامِ قَبْلَ الصُّبْحِ، (فَرَكَعَتَانِ)^(١) فِي حَوْفِ اللَّيْلِ كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْبَرِّ، فَاسْتَكْبِرْ مِنْ كُنُوزِكَ يَوْمَ فَرَقَكَ، فَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكَ كُنُوزُ الدُّنْيَا إِذَا مِتَ.

٨- وَقُلْ عِنْدَ نَوْمِكَ: «بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتَ جَنَبِي، وَبِاسْمِكَ أَرْفَعُهُ، فَاعْفُ رُبِّي ذَنْبِي، اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ (تَبْعُثُ)^(٢) عِبَادَكَ، اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَحْيَا وَأَمُوتُ، أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، (أَفْضِرْ عَنِّي الدِّينَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ)^(٣)، اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَتَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنَّ أَمَتَهَا فَاعْفُ لَهَا، وَإِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ

(١) - في نسخة: (الفرش).

(٢) - في نسخة: (الحياة).

(٣) - أخرج مسلم (٢٢١ و ٥٣٠ و ٥٣١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنا نعد له - تعني: رسول الله صلى الله عليه وسلم - سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه، فيتسوك، ويتوضأ، ويصلي تسع ركعات.

(٤) - في نسخة: (وركعتان).

(٥) - في نسخة: (تجمع).

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ (في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) ^(١)، اللَّهُمَّ أَقْضِنِي فِي أَحَبِّ السَّاعَاتِ إِلَيْكَ،
وَاسْتَعْمِلْنِي بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْكَ. (لِتَقْرَبَنِي) ^(٢) إِلَيْكَ زُلْفَى، وَتُبْعِدْنِي عَنْ سُخْطِكَ
بَعْدًا، أَسْأَلُكَ فَتُعْطِيَنِي، وَأَسْتَغْفِرُكَ فَتَغْفِرَ لِي، وَأَدْعُوكَ فَتَسْتَجِيبَ لِي» ^(٣).

ثُمَّ اقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ^(٤)، وَالْإِخْلَاصِ
وَلُمُعَوِّذَيْنِ ^(٥)، (وَتَبَارَكَ) ^(٦) الْمَلِكُ ^(٧).

وَلْيَأْخُذْكَ النَّوْمُ وَأَنْتَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَعَلَى الطَّهَارَةِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عُرِجَ بِرُوحِهِ إِلَى
الْعَرْشِ، وَكُتِبَ مُصَلِّيًا إِلَى أَنْ يَسْتَيْقِظَ.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (حتى تقربني).

(٣) - أخرجه الترمذي (٣٣٩٨) وابن ماجه (٣٨٧٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٨٩٠) وابن السني (٧٦٥) بلفظ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قام أحدكم عن فراشه من الليل ثم عاد إليه فليفضه بصفته إزاره ثلاث مرات، فإنه لا يدرى ما خلفه عليه، فإذا اضطجع فليقل: بسمك اللهم وضعت جني، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن رددتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

(٤) - عن أبي مسعود البديري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الآياتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه». قال عبد الرحمن: فلقيت أبا مسعود وهو يطوف بالبيت فسألته فحدثني. أخرجه البخاري (٤٠٠٨).

(٥) - عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات. أخرجه البخاري (٥٠١٧).

(٦) - في نسخة: (وسورة تبارك).

(٧) - أخرج أحمد (٣/٣٤٠) والترمذي (٢٨٩٤ و ٣٤٠١) والدارمي (٣٤١٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٧٠٦ - ٧٠٩) وابن السني (٦٧٥) عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ: ﴿أَمْ، تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ﴾.

فَإِذَا اسْتَيْقَظْتَ فَارْجِعْ إِلَى مَا عَرَفْتَكَ أَوَّلًا، وَدَارِمِ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ بَقِيَّةَ عُمْرِكَ، فَإِنَّ شَقَّتَ عَلَيْكَ الْمُدَاوِمَةُ فَاصْبِرْ صَبْرَ الْمَرِيضِ عَلَى مَرَارَةِ الدَّوَاءِ اانتظاراً لِلشِّفَاءِ، وَتَفَكَّرْ فِي قِصَرِ عُمْرِكَ، وَإِنْ عِشْتَ مَثَلًا: مِئَةَ سَنَةٍ فَهِيَ قَلِيلَةٌ بِالإِضَافَةِ إِلَى مُقَامِكَ ^(١) فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَهِيَ أَبَدُ الْآبَادِ.

وَتَأَمَّلْ أَنَّكَ كَيْفَ تَحْمَلُ الْمَشَقَّةَ وَالذَّلَّ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا شَهْرًا أَوْ سَنَةً رَجَاءً أَنْ تَسْتَرِيحَ بِهَا عِشْرِينَ سَنَةً مَثَلًا، فَكَيْفَ لَا تَحْمَلُ ذَلِكَ أَيَّامًا قَلِيلًا رَجَاءً الْإِسْتِرَاحَةِ أَبَدَ الْآبَادِ.

وَلَا تُطَوِّلْ أَمَلَكَ فَيَنْقُلَ عَلَيْكَ عَمَلُكَ ^(٢)، وَقَدَّرْ قُرْبَ الْمَوْتِ، وَقُلْ فِي نَفْسِكَ: (إِنِّي أَنَحْمَلُ) ^(٣) الْمَشَقَّةَ الْيَوْمَ فَلَعَلِّي أَمُوتُ اللَّيْلَةَ، وَأَصْبِرُ اللَّيْلَةَ، (فَلَعَلِّي) ^(٤) أَمُوتُ غَدًا، فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَهْجُمُ ^(٥) فِي وَقْتٍ مَخْصُوصٍ، وَحَالٍ مَخْصُوصٍ، وَسِنٍّ مَخْصُوصٍ، فَلَا بُدَّ مِنْ هُجُومِهِ، فَلَا اسْتِعْدَادَ لَهُ أَوَّلَى مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ لِلدُّنْيَا، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَبْقَى فِيهَا إِلَّا مُدَّةً يَسِيرَةً، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجْلِكَ إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ أَوْ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ.

فَقَدَّرْ هَذَا فِي قَلْبِكَ كُلَّ يَوْمٍ، وَكَلَّفْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ يَوْمًا فَيَوْمًا، فَإِنَّكَ لَوْ قَدَّرْتَ الْبَقَاءَ خَمْسِينَ سَنَةً، وَالزَّمَنَةَ الصَّبْرَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، نَفَرْتَ وَاسْتَصْعَبْتَ عَلَيْكَ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ فَرَحْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ فَرَحًا لَا آخِرَ لَهُ، وَإِنْ سَوَفْتَ وَتَسَاهَلْتَ جَاءَكَ الْمَوْتُ فِي وَقْتٍ لَا تَحْتَسِبُهُ، وَتَحَسَّرْتَ تَحَسُّرًا لَا آخِرَ لَهُ،

وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى ^(٦)

وَعِنْدَ الْمَوْتِ يَأْتِيكَ (الْخَيْرُ الْبَقِيَّة) ^(٧) ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَ بَعْدِ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨].

(١) - أي: إقامتك.

(٢) - وتسوف بالعمل نفسك.

(٣) - في نسخة: (إني أحتمل).

(٤) - في نسخة: (لعلني).

(٥) - أي: لا يدخل.

(٦) - السُّرَى: سير أول الليل. انظر بقية البيت في مجمع الأمثال للميداني رقم (٢٣٨٢).

(٧) - في نسخة: (خير العقبى).

وَإِذَا أَرَشَدْنَاكَ إِلَى تَرْتِيبِ الْأَوْرَادِ، فَلْتَذْكُرْ لَكَ كَيْفِيَّةَ الصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ، وَأَدَابَهُمَا وَأَدَابِ الْقُدُورَةِ وَالْجُمُعَةِ^(١).

آدَابُ الصَّلَاةِ

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ طَهَارَةِ (الْحَدَثِ وَطَهَارَةِ الْحَيْثِ)^(٢) فِي الْبَدَنِ^(٣) وَالْقِيَابِ وَالْمَكَانِ وَمِنْ سَتْرِ أَنْعُورَةٍ مِنَ السَّرَّةِ إِلَى الرُّكْبَةِ، فَاسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ^(٤) قَائِمًا (مُزَاجِحًا)^(٥) بَيْنَ قَدَمَيْكَ بِحَيْثُ لَا تَضُمُّهُمَا، وَاسْتَوِ قَائِمًا (وَاقِرًا)^(٦) ﴿قُلْ أَعْرِضْ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ نَحْصُنًا بِهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. وَأَخْضِرْ قَلْبَكَ (مَا أَنْتَ فِيهِ)^(٧) وَفَرِّغْ مِنْ (الْوَسْوَاسِ)^(٨): وَانْظُرْ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ تَقُومُ وَمَنْ تَنَاجِي؟ وَاسْتَحْ أَنْ تَنَاجِيَ مَوْلَاكَ بِقَلْبٍ غَافِلٍ وَصَدْرٍ مَشْحُونٍ بِوَسْوَاسِ الدُّنْيَا وَخَبَائِثِ الشَّهَوَاتِ.

وَاعْلَمْ: (أَنَّهُ)^(٩) تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى سِرِّيرَتِكَ وَنَاطِرٌ إِلَى قَلْبِكَ، فَإِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ صَلَاتِكَ بِقَدْرِ خُشُوعِكَ وَخُضُوعِكَ، وَتَوَاضُعِكَ وَتَضَرُّعِكَ، وَأَعْبَدُهُ فِي صَلَاتِكَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

فَإِنْ لَمْ يَخْضُرْ قَلْبُكَ، وَلَمْ تَسْكُنْ جَوَارِحُكَ، (لِقُصُورِ)^(١) مَعْرِفَتِكَ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَدِّرْ أَنْ رَحَلًا صَالِحًا مِنْ وَجْهِهِ أَهْلُ بَيْتِكَ يَنْظُرُ إِلَيْكَ لِيَعْلَمَ كَيْفَ صَلَاتِكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْضُرُ قَلْبُكَ، وَتَسْكُنُ جَوَارِحُكَ، ثُمَّ ارْجِعْ إِلَى نَفْسِكَ (وَقُلْ)^(٢): يَا نَفْسَ السُّوءِ أَلَا (تَسْتَحِينِ)^(٣) مِنْ خَالِقِكَ وَمَوْلَاكَ؟! إِذَا قَدَّرْتَ إِطْلَاعَ عَبْدٍ ذَلِيلٍ مِنْ عِبَادِهِ (عَلَيْكَ)^(٤) وَلَيْسَ بِيَدِهِ (ضَرْكٌ وَلَا نَفْعٌ)^(٥)، خَشَعَتْ جَوَارِحُكَ، وَحَسُنَتْ صَلَاتُكَ، ثُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمِينَ أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ، وَلَا تَحْشَعِينَ لِعَظَمَتِهِ، أَهْوُ تَعَالَى عِنْدَكَ أَقْلٌ مِنْ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ؟ فَمَا أَشَدَّ طُغْيَانَكَ وَجَهْلَكَ؟ وَمَا أَعْظَمَ عِدَاوَتَكَ لِنَفْسِكَ؟.

(وَعَالِجِ)^(٦) قَلْبَكَ بِهَذِهِ الْحِيلِ^(٧)، فَعَسَاهُ أَنْ يَخْضُرَ مَعَكَ فِي صَلَاتِكَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا مَا عَقَلْتَ مِنْهَا، وَأَمَّا مَا أَتَيْتُ بِهِ مَعَ الْغَفْلَةِ وَالسُّهُوِّ، فَهُوَ إِلَى الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّكْفِيرِ أَخْرَجَ^(٨).

فَإِذَا خَضِرَ قَلْبُكَ، فَلَا تَتْرُكْ الْإِقَامَةَ، وَإِنْ كُنْتَ وَخَدَكَ. وَإِنْ انتَظَرْتَ حُضُورَ (جَمَاعَةٍ)^(٩)، فَأَذِنْ ثُمَّ أَقِمْ، فَإِذَا أَقَمْتَ فَأَنْوِ، وَقُلْ فِي قَلْبِكَ: أُوْدِّي فَرَضَ الظُّهْرِ لِلَّهِ تَعَالَى،

(١) - في نسخة: (فهذا لقصور).

(٢) - في نسخة: (فقل).

(٣) - في نسخة: (تستحي).

(٤) - في نسخة: (اطلع عليك).

(٥) - في نسخة: (نفعلك ولا ضرك).

(٦) - في نسخة: (فعالج).

(٧) - وهي: الخلق في تدبير الأمور.

(٨) - لأن في صلاتك خللاً لعدم حضور قلبك فالخشوع في الصلاة ولو في جزء منها واجب لكنه

ليس شرطاً لصحة الصلاة كما أفاده شيخنا أحمد النحراوي. (مراقي العبودية ص ٤٣).

(٩) - في نسخة: (جماعة غيرك).

(١) - في نسخة: (القدرة والجماعة والجمعة).

(٢) - في نسخة: (الحيث وطهارة الحدث).

(٣) - حتى داخل الفم والأنف والعين والأذن.

(٤) - أي: عينيها مطلقاً، في القرب يقيناً، وفي البعد ظناً. (مراقي العبودية ص ٤١).

(٥) - في نسخة: (مفرجاً).

(٦) - في نسخة: (ثم اقرأ).

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٨) - في نسخة: (الوسواس).

(٩) - في نسخة: (أن الله).

وَلْيَكُنْ ذَلِكَ حَاضِرًا فِي قَلْبِكَ عِنْدَ تَكْبِيرِكَ، (وَلَا) ^(١) تَعْرُوبُ عَنْكَ النِّيَّةُ قَبْلَ الْفَرَاغِ مِنَ التَّكْبِيرِ ^(٢).

وَأَرْفَعُ يَدَيْكَ عِنْدَ التَّكْبِيرِ بَعْدَ إِرْسَالِهِمَا أَوَّلًا إِلَى (حَذَرٍ) ^(٣) مُنْكَبِتِكَ وَهُمَا مَبْسُوطَتَانِ، وَأَصَابِعُهُمَا مَنُشُورَةٌ، وَلَا تَتَكَلَّفُ ضَمَمَهَا وَلَا (تَفْرِيجَهَا) ^(٤)، (بِحَيْثُ) ^(٥) تُحَاذِي بِإِبْهَامَيْكَ شَحْمَتِي أُذُنَيْكَ (وَبِرُؤُوسِ) ^(٦) أَصَابِعِكَ أَعْلَى أُذُنَيْكَ (وَبِكُفَيْكَ) ^(٧) مُنْكَبِتِكَ، فَإِذَا اسْتَقَرَّتَا فِي مَقَرِّهِمَا فَكَبِّرْ، ثُمَّ أَرْسِلْهُمَا بِرِفْقٍ، وَلَا تَدْفَعْ يَدَيْكَ عِنْدَ الرَّفْعِ وَالْإِرْسَالِ إِلَى قَدَامٍ دَفْعًا، وَلَا إِلَى خَلْفٍ رَفْعًا، وَلَا تَنْفُضْهُمَا بَعِينًا وَلَا شِمَالًا، فَإِذَا أَرْسَلْتَهُمَا فَاسْتَأْنِفْ رَفْعَهُمَا إِلَى صَدْرِكَ، وَأَكْرِمِ الْيُمْنَى بِوَضْعِهَا عَلَى (الْيُسْرَى) ^(٨). وَأَنْشُرْ أَصَابِعَ الْيُمْنَى عَلَى طُولِ ذِرَاعِكَ الْيُسْرَى، وَأَقْبِضْ بِهَا عَلَى كُرْعِهَا.

وَقُلْ بَعْدَ التَّكْبِيرِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» ^(٩). ثُمَّ اقْرَأْ: «وَجْهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا مُسْلِمًا،

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ» ^(١٠).

ثُمَّ قُلْ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» ^(١١)، ثُمَّ اقْرَأْ الْفَاتِحَةَ ^(١٢) بِتَشْدِيدِهَا، وَاجْتَهِدْ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الضَّادِ وَالظَّاءِ فِي قِرَاءَتِكَ فِي الصَّلَاةِ، وَقُلْ آمِينَ ^(١٣)، وَلَا تَصِلْهُ بِقَوْلِكَ: «وَلَا الضَّالِّينَ» وَصَلًا.

وَاجْهَرْ بِالْقِرَاءَةِ فِي الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ أَغْنِي فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَأْمُومًا، وَاجْهَرْ بِالتَّائِمِينَ.

وَاقْرَأْ فِي الصُّبْحِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ مِنَ السُّورِ (الطُّوَالِ مِنْ) ^(١٤) الْمُفْصَلِ ^(١٥)، وَفِي الْمَغْرِبِ مِنْ قِصَارِهِ، وَفِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْعِشَاءِ مِنْ أَوْسَاطِهِ، نَحْوُ: «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ» وَمَا قَارَبَهَا مِنَ السُّورِ، وَفِي الصُّبْحِ فِي السَّفَرِ: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ» وَ«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ». وَلَا تَصِلْ آخِرَ السُّورَةِ (بِتَكْبِيرٍ) ^(١٦) الرُّكُوعِ، وَلَكِنْ أَفْصَلْ بَيْنَهُمَا بِمِقْدَارٍ: «سُبْحَانَ اللَّهِ».

(١) - في نسخة: (لا).

(٢) - لأنه الواجب عند الشافعي والأكمل عند إمام الحرمين.

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - في نسخة: (تفريقها). قال الإمام محمد نووي الجاري في مراقي العبودية (ص ٤٤): بل اتركها على مقتضى طبيعتها... لكن قال ابن حجر كشيخ الإسلام، ويسن كشف الكفين ونشر الأصابع وتفريقها وسطًا.

(٥) - في نسخة: (وارفع يديك بحيث).

(٦) - في نسخة: (ورؤوس).

(٧) - في نسخة: (وتحاذي بكفيك).

(٨) - في نسخة: (الشمال).

(٩) - أخرجه الطيالسي (٩٤٧). وأبو داود (٧٦٤) وابن ماجه (٨٠٧) وابن خزيمة (٤٦٨). ابن حبان في صحيحه (١٧٨٠ و ٢٦٠١) عن جبير بن مطعم. وذكره النووي في الأذكار رقم: (١١٨).

(١٠) - أخرجه أحمد (٩٥/١ و ١٠٢ و ١١٩) ومسلم (٧٧١). وأبو داود: (٧٦٠) والترمذي (٣٤٢٠) والنسائي (٨٩٦) عن علي رضي الله عنه.

(١١) - أخرج أحمد (٨٥/٤) والبيهقي في السنن الكبرى (٣٥/٢) عن جبير بن مطعم قال: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل القراءة في الصلاة: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه».

(١٢) - أخرج ابن حبان (٤٥٧) موارد. وابن خزيمة (٤٩٠) بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفتح الكتاب».

(١٣) - أخرج البخاري (٧٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أمّن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه».

(١٤) - في نسخة: (طوال).

(١٥) - وأول المفصل: الحجرات وآخره النبا، وطواله كسورة ق والمرسلات.

(١٦) - في نسخة: (بتكبيرة).

وَكُنْ فِي جَمِيعِ قِيَامِكَ مُطَوِّقًا قَاصِرًا نَظَرَكَ عَلَى مُصَلَّاتِكَ، فَذَلِكَ أَجْمَعُ لِهَمِّكَ وَأَحْدَرُ لِحُضُورِ قَلْبِكَ^(١)، وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْتَفِتَ بَعِيدًا وَشِمَالًا فِي صَلَاتِكَ.

ثُمَّ كَثِّرْ لِلرُّكُوعِ، وَارْفَعْ يَدَيْكَ كَمَا سَبَقَ، وَمُدِّ التَّكْبِيرِ إِلَى انْتِهَاءِ الرُّكُوعِ، ثُمَّ ضَعْ رَاخِئِكَ عَلَى رُكْبَتَيْكَ وَأَصَابِعَكَ مَنشُورَةً، وَأَنْصِبْ رُكْبَتَيْكَ، وَمُدِّ ظَهْرَكَ وَغُنْطَكَ وَرَأْسَكَ مُسْتَوِيًا (كَالصَّفِيْحَةِ)^(٢) الْوَاحِدَةِ، وَجَافِ مِرْفَقَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ، وَالْمَرْأَةُ لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ بَلْ تَضُمُّ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَقُلْ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ (ثَلَاثًا)»^(٣) «(٤)». وَإِنْ كُنْتَ مُتَفَرِّدًا فَالزِّيَادَةُ إِلَى (سَبْعٍ وَعَشْرٍ)^(٥) حَسَنٌ.

ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، وَارْفَعْ يَدَيْكَ قَائِلًا: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»^(٦). فَإِذَا اسْتَوَيْتَ قَائِمًا فَقُلْ: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»^(٧).

وَإِنْ كُنْتَ فِي فَرِيضَةِ الصُّبْحِ فَأَقْرَأِ الْقُنُوتَ فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فِي اعْتِدَالِكَ مِنَ الرُّكُوعِ^(٨).

(١) - قال الإمام محمد نووي الجاوي في مراقي العبودية (ص ٤٥): نعم السنة أن يقصر نظره على مسبحته ما دامت مرتفعة بعد أن يشير بها عند قوله: إلا الله في التشهد ولو مستورًا وتلك منحنية متوجهة للقبلة ويستمر كذلك إلى القيام من التشهد الأول أو السلام في التشهد الأخير.

(٢) - في نسخة: (كالصفيحة). والصفحة: اللوح.

(٣) - في نسخة: (ومحمده).

(٤) - أخرجه أبو داود (٨٨٦) والترمذي (٢٦١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قال أحدكم: سبحان ربي العظيم ثلاثاً فقد تم ركوعه».

(٥) - في نسخة: (السمع والعشر).

(٦) - أخرجه البخاري (٧٩٥) ومسلم (٣٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سمع الله لمن حمده، حين يرفع صلبه من الركوع، ثم يقول وهو قائم: ربنا لك الحمد».

(٧) - أخرجه مسلم (٤٧٦) وأبو داود (٨٤٦) والترمذي (٣٥٤١) عن علي وابن أبي أوفى رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رفع رأسه قال: «سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد، مِلءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلءَ الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ».

ثُمَّ اسْجُدْ مُكَبِّرًا غَيْرَ رَافِعِ الْيَدَيْنِ، وَضَعْ أَوَّلًا عَلَى الْأَرْضِ رُكْبَتَيْكَ ثُمَّ يَدَيْكَ ثُمَّ جَنْبَيْكَ مَكْشُوفَةً، وَضَعْ أَنْفَكَ مَعَ الْجَبْهَةِ، وَجَافِ مِرْفَقَيْكَ عَنْ جَنْبَيْكَ، وَأَوَّلُ بَطْنِكَ عَنْ فَخْذَيْكَ، وَالْمَرْأَةُ لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ، وَضَعْ يَدَيْكَ عَلَى الْأَرْضِ حَذْوِ مَكْبَيْتِكَ، وَلَا تَفْرُشْ ذِرَاعَيْكَ عَلَى الْأَرْضِ، وَقُلْ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»^(١) ثَلَاثًا أَوْ سَبْعًا أَوْ عَشْرًا إِنْ كُنْتَ مُتَفَرِّدًا.

ثُمَّ (ارْفَعْ)^(٢) رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ مُكَبِّرًا حَتَّى تَعْتَدِلَ جَالِسًا، وَاجْلِسْ عَلَى رِجْلِكَ الْيُسْرَى وَأَنْصِبْ قَدَمَكَ الْيُمْنَى، وَضَعْ يَدَيْكَ عَلَى فَخْذَيْكَ وَالْأَصَابِعَ مَنشُورَةً، وَقُلْ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَارْزُقْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي وَاعْفُ عَنِّي»^(٣).

ثُمَّ اسْجُدْ سَجْدَةً ثَانِيَةً كَذَلِكَ، ثُمَّ اعْتَدِلْ جَالِسًا (لِلْاسْتِرَاحَةِ)^(٤) فِي كُلِّ رَكْعَةٍ لَا تَسْتَهْدُ عَقِبَهَا.

ثُمَّ تَقُومُ وَتَضَعُ الْيَدَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا تُقَدِّمُ إِحْدَى رِجْلَيْكَ فِي حَالَةِ الارتفاعِ، وَابْتَدِئْ بِتَكْبِيرِ الارتفاعِ عِنْدَ الْقُرْبِ مِنْ حَدِّ جَلْسَةِ الاسْتِرَاحَةِ، وَمُدَّهَا إِلَى (انْتِصَافِ)^(٥) الارتفاعِ إِلَى (قِيَامِكَ)^(٦)، وَلِتَكُنْ هَذِهِ الْجَلْسَةُ جَلْسَةً حَقِيقَةً مُحْتَظَّةً^(٧).

(٨) - عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر: «اللهم اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَفِي شَرِّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يَقْضِي عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكَ رَبُّنَا وَتَعَالَيْتَ». أخرجه أبو داود (١٤٢٥ و ١٤٢٦) والترمذي (٤٦٤) والنسائي (٢٤٨/٣). وابن ماجه (١١٧٨). والحاكم (١٧٢/٣).

(١) - أخرجه أبو داود (٨٨٦) والترمذي (٢٦١) وابن ماجه (٨٩٠) عن ابن مسعود، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سجد أحدكم فليقل: سبحان ربي الأعلى ثلاثاً وذلك أدناه». وقال بهاء الدين المقدسي في العدة شرح العمدة (ص ٩٤): رواه الأثرم والترمذي.

(٢) - في نسخة: (ترفع).

(٣) - أخرجه أبو داود (٨٥٠) والترمذي (٢٨٤) وابن ماجه (٨٩٨) والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٢/٢) والحاكم (٢٦٢/١ و ٢٧١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) - في نسخة: (جلسة الاستراحة).

وَصَلَّ الرَّكْعَةَ الثَّانِيَةَ كَالأُولَى وَأَعَدَّ التَّعَوُّدَ فِي الْإِيتِدَاءِ.

ثُمَّ (اجْلِسْ) ^(١) فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ لِتَشْهَدِ الْأَوَّلَ، وَضَعَ الْيَدَ الْيُمْنَى فِي (جُلُوسِ التَّشْهَدِ) ^(٢) عَلَى الْفَخِذِ الْيُمْنَى مَقْبُوضَةً الْأَصَابِعِ إِلَّا الْمُسَبِّحَةَ وَالْإِبْهَامَ فَتَرْسِلُهُمَا، (وَأَنْشُرْ مُسَبِّحَةَ) ^(٣) يَمَنَّاكَ عِنْدَ قَوْلِكَ: «إِلَّا اللَّهُ»، لَا عِنْدَ قَوْلِكَ: «لَا إِلَهَ»، وَضَعَ الْيَدَ الْيُسْرَى مَنْشُورَةً الْأَصَابِعِ عَلَى الْفَخِذِ الْيُسْرَى، وَاجْلِسْ عَلَى رِجْلِكَ الْيُسْرَى فِي هَذَا التَّشْهَدِ كَمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ، وَفِي التَّشْهَدِ الْآخِرِ مُتَوَرِّكًا.

وَأَسْتَكْمِلُ الدُّعَاءَ الْمَعْرُوفَ الْمَأْثُورَ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاجْلِسْ فِيهِ عَلَى وَرِكَ الْأَيْسَرِ، وَضَعْ رِجْلَكَ الْيُسْرَى خَارِجَةً مِنْ تَحْتِكَ، وَأَنْصِبْ الْقَدَمَ الْيُمْنَى.

ثُمَّ قُلْ بَعْدَ الْفَرَاعِ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ» ^(٤) مَرَّتَيْنِ مِنَ الْحَاثِيَيْنِ، وَالتَّفَتِ بِحَيْثُ يَرَى بَيَاضَ خَدَّيْكَ مِنْ جَانِبَيْكَ.

وَأَنْزِلِ الْخُرُوجَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَأَنْزِلِ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَلَى جَانِبَيْكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْمُسْلِمِينَ.

وَهَذِهِ هَيْئَةُ صَلَاةِ الْمُنْفَرِدِ.

(٥) - فِي نَسَخَةِ: (مُتَصَف).

(٦) - فِي نَسَخَةِ: (الْقِيَام).

(٧) - أَي: سَرِيعَةً، فَلَا يَجُوزُ تَطْوِيلُهَا كَالْجُلُوسِ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ كَمَا قَالَ ابْنُ حَجَرٍ. (مِرَاقِي الْعِبَادَةِ ص ٤٦).

(١) - فِي نَسَخَةِ: (تَجَلَّس).

(٢) - فِي نَسَخَةِ: (جُلُوسٌ لِلتَّشْهَدِ الْأَوَّلِ).

(٣) - فِي نَسَخَةِ: (وَأَشْرَحَ مَحْبِصَةً).

(٤) - أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ (٩٩٧) عَنْ وَائِلِ بْنِ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَعَنْ شِمَالِهِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ.

وَعِمَادُ الصَّلَاةِ: الْخُشُوعُ ^(١)، وَخُضُوعُ الْقَلْبِ، مَعَ الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ (بِأَنفِ).

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: كُلُّ صَلَاةٍ لَا يَحْضُرُ فِيهَا الْقَلْبُ فَهِيَ إِلَى الْعُقُوبَةِ أَسْرَعُ.

وَقَالَ (رَسُولُ اللَّهِ) ^(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ فَلَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْهَا سُدُسُهَا وَلَا عَشْرُهَا، وَإِنَّمَا يُكْتَبُ لِلْعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ بِقَدْرِ مَا عَقَلَ مِنْهَا» ^(٣).

(١) - ذَكَرَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ: (٢٨١٣) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَوَّلُ شَيْءٍ يَرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ حَتَّى لَا تَرَى فِيهَا حَاشِعًا». قَالَ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَاسْنَادُهُ حَسَنٌ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهْدِ: (١١٩) وَالتَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٩٣٤٢) عَنْ الْأَعْمَشِ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا صَلَّى كَانَهُ ثَوْبٌ مُلْتَقَى. قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْمَجْمَعِ (٢٨١٦): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَرِجَالُهُ مَوْتَقُونَ وَالْأَعْمَشُ لَمْ يَدْرِكْ ابْنَ مَسْعُودٍ.

(٢) - فِي نَسَخَةِ: (بِالْفَهْم).

(٣) - مَا بَيْنَ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسَخَةِ.

(٤) - لَمْ أَجِدْهُ بِلَفْظِ الْمَصْنُفِ. وَإِنَّمَا جَاءَ فِيمَا أَخْرَجَ أَحْمَدُ (٣٢١/٤) وَالْحَمِيدِيُّ (١٤٥) وَأَبُو دَاوُدَ (٧٩٦) وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٥٢٥). عَنْ عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كَتَبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ، تَسْعَاهَا، ثَمْنُهَا، سَبْعَاهَا، سُدُسُهَا، خَمْسُهَا، رُبْعُهَا، ثَلَاثُهَا، نِصْفُهَا».

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ (٣١٩/٤) وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٥٢٤) أَنَّ عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي، وَلَعَلَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا عَشْرُهَا، أَوْ تَسْعَاهَا، أَوْ ثَمْنُهَا، أَوْ سَبْعَاهَا، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْعَدَدِ».

وَأَخْرَجَ الطَّبَالَسِيُّ (٦٥٠) وَابْنُ حِبَانَ (١٨٨٩) أَنَّ عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَخَفَفَهُمَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ، أَرَأَيْكَ قَدْ خَفَفْتَهُمَا، قَالَ: إِنِّي بَادَرْتُ بِهِمَا الْوَسْوَاسَ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ، وَلَعَلَّهُ لَا يَكُونَ لَهُ مِنْهَا إِلَّا عَشْرُهَا، أَوْ تَسْعَاهَا، أَوْ ثَمْنُهَا، أَوْ سَبْعَاهَا، أَوْ سُدُسُهَا» حَتَّى أَتَى عَلَى الْعَدَدِ. قَالَ أَبُو حَاتِمٍ ابْنُ حِبَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: هَذَا إِسْنَادٌ يَوْهَمُ مِنْ لَمْ يَحْكَمْ صِنَاعَةُ الْعِلْمِ أَنَّهُ مُنْفَصِلٌ غَيْرُ مُتَصِلٍ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ عَمْرَ

آداب الإمامة والقُدوة

يُنْبَغِي لِلإِمَامِ:

- ١- أَنْ يُخَفِّفَ الصَّلَاةَ، قَالَ أَنَسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا صَلَّيْتُ خَلْفَ أَحَدٍ صَلَاةً أَخَفَّ وَلَا أَتَمَّ مِنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(١).
- ٢- وَلَا يُكَبِّرُ مَا لَمْ يَفْرَغِ الْمُؤَذِّنُ مِنَ الْإِقَامَةِ، وَمَا لَمْ (تُسَوِّ) ^(٢) الصُّفُوفُ.
- ٣- وَيَرْفَعُ الإِمَامُ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرَاتِ، وَلَا يَرْفَعُ الْمَأْمُومُ صَوْتَهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُسْمَعُ نَفْسَهُ.
- ٤- وَيُنَوِّي الإِمَامُ الإِمَامَةَ لِنَيْالِ الْفَضْلِ، (فَإِذَا) ^(٣) لَمْ يَنْوَ صَحَّتْ صَلَاةُ الْقَوْمِ إِذَا نَوَوْا الْإِقْبَادَ بِهِ، وَتَأَلَّوْا فَضْلَ الْقُدْوَةِ.

٥- وَيُسِرُّ بِدُعَاءِ الْاسْتِفْتَاخِ ^(٤) وَالتَّعَوُّذِ كَالْمُنْفَرِدِ، وَيَجْهَرُ بِالْفَاتِحَةِ وَالسُّورَةِ فِي جَمِيعِ الصُّبْحِ (وَأَوَّلَيْ) ^(٥) الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَكَذَلِكَ الْمُنْفَرِدُ، وَيَجْهَرُ بِقَوْلِهِ: «آمِينَ» فِي الْجَهْرِيَّةِ ^(٦) وَكَذَلِكَ الْمَأْمُومُ، وَيَقْرَأُ ^(٧) الْمَأْمُومُ تَأْمِينُهُ بِتَأْمِينِ الإِمَامِ مَعًا، لَا تَعْقِيبًا لَهُ.

بن أبي بكر سمع هذا الخبر عن جده عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، عن عمار بن ياسر، على ما ذكره عبيد الله بن عمر، لأن عمر بن أبي بكر لم يسمعه من عمار على ظاهره.

وأخرج ابن ماجه (٤٢٠٠) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن العبد إذا صلى في العلانية فأحسن، وصلى في السر فأحسن - قال الله عز وجل: هذا عبدي حقاً».

(١) - أخرجه البخاري (٧٠٨) ومسلم (١٩٠).

(٢) - في نسخة: (تُسَوِّ).

(٣) - في نسخة: (فإن).

(٤) - وهو: «وجه وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيئاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين. لا شريك له وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين». وفي رواية: «وأنا من المسلمين».

(٥) - في نسخة: (وأوليي).

٦- وَبَسَّكَتُ الإِمَامُ سَكَنَةً عَقِبَ الْفَاتِحَةِ لِيُقْرَبَ إِلَيْهِ نَفْسَهُ، وَيَقْرَأُ الْمَأْمُومُ الْفَاتِحَةَ فِي الْجَهْرِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّكَنَةِ، لِيَتِمَّكَنَ مِنَ الاسْتِمَاعِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الإِمَامِ، وَلَا يَقْرَأُ الْمَأْمُومُ السُّورَةَ فِي الْجَهْرِيَّةِ إِلَّا إِذَا لَمْ يَسْمَعْ صَوْتَ الإِمَامِ.

٧- وَلَا يَزِيدُ الإِمَامُ عَلَى (ثَلَاثِ) ^(١) فِي تَسْبِيحَاتِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ.

٨- وَلَا يَزِيدُ فِي التَّشْهِيدِ الْأَوَّلِ بَعْدَ قَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ» ^(٢).

٩- وَيَقْتَصِرُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأَخِيرَتَيْنِ عَلَى الْفَاتِحَةِ، وَلَا يُطَوِّلُ عَلَى الْقُرْآنِ.

١٠- وَلَا يَزِيدُ دُعَاءَهُ ^(٣) فِي التَّشْهِيدِ الْأَخِيرِ عَلَى قَدْرِ تَشْهِيدِهِ وَصَلَاتِهِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٦) - قال الإمام النووي في الأذكار (ص ٧٥): ويستحب التأمين في الصلاة للإمام والمأموم والمفرد، ويجهر به الإمام والمفرد في الصلاة الجهرية، والصحيح أيضاً أن المأموم يجهر به، سواء كان الجمع قليلاً أو كثيراً.

ويستحب أن يكون تأمين المأموم مع تأمين الإمام لا قبله ولا بعده، وليس في الصلاة موضع يستحب أن يقرن فيه قول المأموم بقول الإمام إلا في قوله: «آمين»، وأما باقي الأقوال فيتأخر قول المأموم.

(٧) - بضم الراء على الألفصح وقد تكسر. (مراقي العبودية ص ٤٨).

(١) - في نسخة: (الثلاثة).

(٢) - قال الإمام النووي في الأذكار (ص ٩٤)، ولا تجب الصلاة على آل النبي صلى الله عليه وسلم فيه على المذهب الصحيح المشهور لكن تُسْتَحَبُّ. قال بعض أصحابنا: تجب، والأفضل أن يقول: «اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد». أخرجه البخاري (٦٣٥٧) ومسلم (٤٠٦) وأبو داود (٩٧٦) والترمذي (٤٨٣) والنسائي (٤٧/٣) وابن ماجه (٩٠٤) والدارمي (١٣١٦). والطيالسي (١٠٦١) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه.

١١- وَيَنْوِي الْإِمَامُ عِنْدَ التَّسْلِيمِ ^(١) السَّلَامَ عَلَى الْقَوْمِ، وَيَنْوِي الْقَوْمَ بِتَسْلِيمِهِمْ جَوَابَهُ.
 ١٢- وَيَلْتَبِثُ الْإِمَامُ سَاعَةً بَعْدَ مَا يَفْرُغُ مِنَ السَّلَامِ، وَيَقْبِلُ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ ^(٢)، وَلَا يَلْتَفِتُ إِنْ كَانَ خَلْفَهُ (نِسَاءً) ^(٣) لِيَنْصَرِفَ أَوَّلًا.
 ١٣- وَلَا يَقُومُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ حَتَّى يَقُومَ الْإِمَامُ، وَيَنْصَرِفَ الْإِمَامُ حَيْثُ شَاءَ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ شِمَالِهِ، وَالْيَمِينُ أَحَبُّ إِلَيْهِ ^(٤).

١٤- وَلَا يَخْصُصُ الْإِمَامُ نَفْسَهُ بِالِدُّعَاءِ ^(٥) فِي قُرْتِ الصُّبْحِ، بَلْ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اهْدِنَا» ^(٦)، وَيَجْهَرُ بِهِ، وَيُؤَمِّنُ الْقَوْمَ، وَلَا يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ ^(٧) إِذْ لَمْ يُلْتَبِثْ (ذَلِكَ) ^(٨) فِي الْأَخْبَارِ، وَيَقْرَأُ الْمَأْمُومُ بَقِيَّةَ الْقُرْتِ مِنْ قَوْلِهِ: «إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يَقْضِي عَلَيْكَ» ^(٩).

(٣) - من هذه الأدعية ما أخرجه البخاري (١٣٧٧) ومسلم (٥٥٨) وأبو داود (٩٨٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ فَلْيَتَوَضَّعْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْخَلْقِ وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ». قَالَ ابْنُ عِلَّانَ (٧/٣) قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضُ: اسْتَعَاذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَعَ أَنَّهُ عَصِمَ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ لِيَلْتَزِمَ خَوْفَ اللَّهِ وَالْإِفْتِقَارَ إِلَيْهِ وَالْإِقْتِدَاءَ بِهِ، وَلَا يَمْتَنِعُ تَكَرُّرُ الطَّلَبِ مَعَ تَحَقُّقِ الْإِجَابَةِ، إِذْ فِيهِ تَحْصِيلُ الْحَسَنَاتِ وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ، وَلِيَبِينَ لَهُمْ صِفَةُ الدُّعَاءِ فِي الْجُمْلَةِ.

(١) - قال الإمام النووي في الأذكار (ص ٩٨): قال القاضي أبو الطيب الطبري من أصحابنا وغيره: إذا سلم الإمام فالمأْمُوم بالخيار إن شاء سلم في الحال، وإن شاء استدام الجلوس للدعاء وأطال ما شاء. والله أعلم.

(٢) - قال شيخ الإسلام: ولو مكث بعد الصلاة لذكر دعاء فالأفضل جعل يمينه إليهم ويساره إلى الخراب للاتباع. (مراقي العبودية ص ٤٨).

(٣) - في نسخة: (النساء).

(٤) - اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم لأنه كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ يَجِبُ التَّيَامُنَ مَا اسْتَطَاعَ: فِي طَهْوَرِهِ، وَتَعَلُّهِ، وَتَرَجُلِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ». أخرجه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه. انظر الجامع الصغير (٧٠٢٠) بتحقيق شيخنا.

١٥- وَلَا يَقِفُ الْمَأْمُومُ وَحْدَهُ بَلْ يَدْخُلُ الصَّفَّ، أَوْ يَجُرُّ إِلَى نَفْسِهِ غَيْرَهُ.
 ١٦- وَلَا يَنْبَغِي لِلْمَأْمُومِ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى الْإِمَامِ فِي أَعْمَالِهِ أَوْ يُسَاوِيَهُ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَخَّرَ (عَنْهُ) ^(١)، وَلَا يَهْوِي (لِلرُّكُوعِ) ^(٢) إِلَّا إِذَا انْتَهَى الْإِمَامُ إِلَى حَدِّ الرُّكُوعِ، وَلَا يَهْوِي لِلْسُّجُودِ مَا لَمْ تَصِلْ جِهَةُ الْإِمَامِ إِلَى الْأَرْضِ.

(٥) - أخرج أحمد (٢٥٠/٥) وأبو داود (٩٠) والترمذي (٢٥٧) عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ لَا يَجِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَهُنَّ: لَا يُؤْمِنُ رَجُلٌ قَوْمًا فَيُخَصُّ نَفْسَهُ بِالِدُّعَاءِ دُونَهُمْ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُمْ، وَلَا يَنْظُرُ فِي قَعْرِ بَيْتٍ قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ....».

(٦) - «اللهم اهْدِنِي فيمن هديت...» أخرجه أبو داود (١٤٢٥ و ١٤٢٦) والترمذي (٤٦٤) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما. وقد تقدم ذكره.

(٧) - أخرج البيهقي في السنن الكبرى (٢١١/٢) عن أنس رضي الله عنه قال: «وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمًا صَلَّى الْعِدَّةَ رَفَعَ يَدَيْهِ يَدْعُو لَهُمْ».

أما في غير القنوت فقد أخرج البخاري (٦٣٤١) عن أبي موسى رضي الله عنه: دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه ورأيت بياض يديه.

وأخرج أبو داود (١٤٩٢) بإسناد ضعيف، عن السائب بن يزيد، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا فرفع يديه مسح وجهه بيديه.

(٨) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٩) - وذلك من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما المتقدم الذي أخرجه أبو داود (١٤٢٥ و ١٤٢٦) والترمذي (٤٦٤) والنسائي (٢٤٨/٣). «فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يَقْضِي عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذُلُّ مِنَ الْوَالِيَةِ، تَبَارَكَ رَبُّنَا وَتَعَالَى».

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (إلى الركوع).

آذَابُ الْجُمُعَةِ^(١)

اعْلَمُ: أَنَّ الْجُمُعَةَ (عِيدُ الْمُؤْمِنِينَ)^(٢)، وَهُوَ يَوْمٌ شَرِيفٌ خَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ مُبَهَّمَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا حَاجَةً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا^(٣).

١ - فاستبعد لها مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ بِنَتْفِيفِ الثِّيَابِ، وَبِكَثْرَةِ التَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ، فَإِنَّهَا سَاعَةٌ تُوَازِي فِي الْفَضْلِ سَاعَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ^(٤).

وَأَنَّهُ صَوْمُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، لَكِنْ مَعَ (الْخَمِيسِ أَوْ السَّبْتِ)^(٥)، إِذْ جَاءَ فِي (إِفْرَادِهَا)^(٦) نَهْيٌ^(٧).

٢ - فَإِذَا طَلَعَ عَلَيْكَ الصُّبْحُ فَاغْتَسِلْ، فَإِنَّ: «غُسْلَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ»^(٨)، أَي: ثَابِتٌ مُؤَكَّدٌ.

(١) - بضم الميم وهي لغة الحجاز وبفتحها هي لغة تميم والسكون لغة عقيل وهذه اللغات إذا كان المراد بالجمعة اليوم. أما إذا أريد بها الأسبوع فبالسكون لا غير كما إذا قلت: صمت جمعة أي أسبوعاً.
(٢) - في نسخة: (حجج المساكين وعيد المؤمنين).

(٣) - أخرج البخاري (٩٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يُصَلِّيُ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ».

(٤) - قال بعض السلف: إن لله تعالى فضلاً سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل إلا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة.

(٥) - في نسخة: (السبت أو الخميس).

(٦) - في نسخة: (إفراده).

(٧) - أخرج البخاري (٢٠٣/٤) ومسلم (١١٤٤) وأبو داود (٢٤٢٠) والترمذي (٧٤٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يصومون أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوماً قبله أو بعده».

٣ - ثُمَّ تَرَيْنَ بِالثِّيَابِ الْبَيْضِ، فَإِنَّهَا أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى^(١)، وَاسْتَعْمَلْ مِنْ الطُّيْبِ مَا عِنْدَكَ^(٢)، وَبَالِغٌ فِي تَنْظِيفِ بَدَنِكَ بِالْحَلَقِ وَالْقَصِّ وَالتَّقْلِيمِ وَالسَّوَالِ^(٣) وَسَائِرِ أَنْوَاعِ النِّظَافَةِ وَتَطْيِيبِ الرُّاحَةِ^(٤).

٤ - ثُمَّ بَكَرْ إِلَى الْجَامِعِ وَاسْعَ (إِلَيْهِ)^(٥) عَلَى الْهَيْئَةِ وَالسَّكِينَةِ فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَاحَ (إِلَى الْجُمُعَةِ)^(٦) فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشاً (أَقْرَن)^(٧)، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا (قَرَّبَ)^(٨) دَجَاجَةً^(٩)، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا (قَرَّبَ)^(١٠) بَيْضَةً، (فَإِذَا)^(١١) خَرَجَ الْإِمَامُ طُوِيتِ الصُّحُفُ

(٨) - أخرجه البخاري (٨٧٩) ومسلم (٨٤٦) وأبو داود (٣٤١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(١) - فقد أخرج أحمد (٣٢٨/١) وأبو داود (٣٨٧٨) والترمذي (٩٩٤) عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البسوا من ثيابكم البيض، فإنها من خير ثيابكم....».

(٢) - أخرج أحمد (٤٣٨/٥ و ٤٤٠) والدارمي (١٥٤٩) والبخاري (٨٤٣) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر، ويذهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام، إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى».

(٣) - أخرج مسلم (٨٤٦) والطيالسي (٢٢١٦) عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «غسل الجمعة على كل محتلم. وسواك. وأن يمس طيباً». أنظر العدة شرح العمدة (ص ١٤١).

(٤) - قال الشافعي: من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله. (مراقي العبودية ص ٥٠).

(٥) - في نسخة: (إليها).

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٨) - في نسخة: (أهدى).

(٩) - بتلخيص الدال: د، د، و.

(١٠) - في نسخة: (أهدى).

(١١) - في نسخة: (قال: فإذا).

وَرَفَعَتِ الْأَفْلاَاحُ، وَاجْتَمَعَتِ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ الْمِنْبَرِ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»^(١)، وَيُقَالُ: إِنَّ النَّاسَ فِي قُرْبِهِمْ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى قَدَرِ بُكُورِهِمْ إِلَى الْجُمُعَةِ.

٥- ثُمَّ إِذَا دَخَلَتِ الْجَامِعُ فَاطْلُبِ الصِّفِّ الْأَوَّلَ^(٢).

٦- (فَإِذَا)^(٣) اجْتَمَعَ النَّاسُ فَلَا تَخْطُ رِقَابَهُمْ^(٤).

٧- وَلَا تَمَرَّ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ^(٥)، وَاجْلِسْ بِقُرْبِ حَائِطٍ أَوْ أُسْطُوَانَةٍ^(٦) حَتَّى لَا يَمُرُوا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَلَا تَقْعُدْ حَتَّى تُصَلِّيَ التَّحِيَّةَ، (وَالْأَحْسَنُ)^(٧): أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ

(١) - أخرجه البخاري (٨٨١) وأبو داود (٣٥١) وانظره في سنن الترمذي باختصار السند (٥٠٣) وابن ماجه (١٠٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ أوله: «من اغتسل يوم الجمعة، غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنة». ولفظ في نهايته: «فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

(٢) - ويكره أن يؤثر غيره بالصف الأول. فقد أخرج أبو داود (٦٧٩) وابن حزيمة (١٥٥٩) وابن حبان (٢١٥٦) عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال قوم يتأخرون عن الصف الأول حتى يخلفهم الله في النار».

وأخرج الطيالسي (٧٤١) وأحمد (٣٠٤/٤) والدارمي (٢٨٩/١) وابن حزيمة (١٥٥١) وابن حبان (٢١٥٧) عن البراء قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا، فيمسح عواتقنا وصلورنا ويقول: «لا تختلف صفوفكم فتختلف قلوبكم، إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول».

(٣) - في نسخة: (فإن).

(٤) - أخرج الترمذي (٥١٣) عن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم». وانظره في الجامع الصغير (٨٦٠٤) بتحقيق شيخنا. وزاد نسبه إلى الإمام أحمد وابن ماجه. وهو حديث ضعيف.

(٥) - أخرج البخاري (٥١٠) عن أبي جهيم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه». وانظره في الجامع الصغير (٧٥٢٣) بتحقيق شيخنا.

(٦) - أي: عمود.

(٧) - في نسخة: (وحسن). قال في مراقي العبودية (ص ٥١): أي: مندوب كما قاله الفاكهي.

تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ (بَعْدَ الْقَائِمَةِ: الْإِخْلَاصَ)^(١) خَمْسِينَ (مَرَّةً)^(٢)، فَبِی الْخَيْرِ: «مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ يَرَى لَهُ»^(٣)، وَلَا تَتْرُكِ التَّحِيَّةَ وَإِنْ كَانَ الْإِمَامُ يَخْطُبُ^(٤).

وَمِنَ السُّنَّةِ أَنْ تَقْرَأَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتِ سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَالْكَهْفِ وَطَةَ وَيَسَ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَسُورَةُ يَسَ وَالْدُّخَانَ وَالْمِ السَّجْدَةِ، وَسُورَةُ الْمَلِكِ، وَلَا تَدْعُ قِرَاءَةَ هَذِهِ السُّورَةِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ^(٥)، فَبِیهَا فَضْلٌ كَثِيرٌ، وَمَنْ لَمْ يُحْسِنْ ذَلِكَ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ، (وَأَكْثَرُ مِنْ)^(٦) الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ خَاصَّةً^(٧).

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (مرة سورة الإخلاص).

(٣) - قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١٨٧/١): أخرجه الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر. وهو غريب جداً.

(٤) - جاء سَلْيُكَ العُظْمَانِي يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فجلس فقال له: «يا سليك قم فاركع ركعتين وتجوّز فيهما» ثُمَّ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا». أخرجه مسلم (٨٧٥).

أخرج الحميدي (١٢٢٣) وأحمد (٣٠٨/٣) والدارمي (١٥٦٣) والبخاري (١٥/٢) ومسلم (١٤/٣) وابن ماجه (١١١٢) عن جابر بن عبد الله قال: دخل رجل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فقال: أصليت؟ قال: لا. قال: قم فصلِّ الركعتين». وأخرج أحمد (٣٦٩/٣) والدارمي (١٥٥٩) والبخاري (٧١/٢) ومسلم (١٤/٣) عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، أَوْ قَدْ خَرَجَ، فَلْيَصِلْ رَكَعَتَيْنِ».

(٥) - تقدم ذكر دليل ذلك.

(٦) - في نسخة: (واكثر).

(٧) - ذكر الميمني في الجمع (٣٠٢٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ فِي اللَّيْلِ الزَّهْرَاءِ وَالْيَوْمِ الْأَزْهَرِ، فَإِنْ صَلَاتُكُمْ تَعْرُضُ عَلَيَّ». قال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: عبد المنعم بن بشر الأنصاري، وهو ضعيف. وله شواهد تقوى به. وانظره في الجامع الصغير بتحقيق شيخنا (١٤١٧).

وَمَهْمَا خَرَجَ الْإِمَامُ فَاقْطَعَ الصَّلَاةَ وَالْكَلَامَ، وَاشْتَغَلَ بِجَوَابِ الْمُؤَذِّنِ ثُمَّ بِاسْتِمَاعِ الْخُطْبَةِ وَالِاتِّعَاطِ بِهَا^(١)، وَدَعَ الْكَلَامَ رَأْسًا فِي الْخُطْبَةِ^(٢)، فَفِي الْحَبَرِ أَنَّ: «مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ وَالْإِمَامِ يَخْطُبُ أَنْصِتْ^(٣) فَقَدْ لَغَا، وَمَنْ لَغَا فَلَا جُمُعَةَ لَهُ»^(٤)، أَيْ: لِأَنَّ قَوْلَهُ: «أَنْصِتْ» كَلَامٌ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَنْهَى غَيْرُهُ بِالْإِشَارَةِ لَا بِاللَّفْظِ.

ثُمَّ اقْتَدِ بِالْإِمَامِ كَمَا سَبَقَ، فَإِذَا فَرَغْتَ وَسَلَّمْتَ فَأَقْرَأِ الْفَاتِحَةَ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَالْإِحْلَاصَ سَبْعًا وَالْمُعَوِّذَيْنِ سَبْعًا (سَبْعًا)^(٥)، فَذَلِكَ يَعْصِمُكَ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ الْآخَرَى^(٦)، وَيَكُونُ حِرْزًا^(٧) لَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَقُلْ بَعْدَ ذَلِكَ: «اللَّهُمَّ يَا غَنِيَّ يَا حَمِيدُ،

(١) - قال في مراقي العبودية (ص ٥٢): وقال الوفاي: ويجب على كل من كان في صلاة تخفيفها عند صعود الخطيب المنبر وجلسه عليه فإطالة الصلاة كإشائها. اهـ. لكن إنشاء الصلاة قبل جلوسه وبعد شروعه في الصعود لا يحرم أما بعد جلوسه فيحرم ولا تنعقد الصلاة مطلقاً عدا ركعتي التحية إجماعاً كما في حاشية الإقناع.

(٢) - عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال يوم الجمعة والإمام يخطب: أنصت فقد لغا». انظره في سنن الترمذي باختصار السند (٥١٧).

وذكر الهيثمي في الجمع (٣١٢٣) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له: أنصت، ليس له جمعة». قال: رواه أحمد والبخاري والطبراني في الكبير، وفيه: بحال بن سعيد، وقد ضعفه الناس، ووثقه النسائي في رواية.

(٣) - في نسخه: (أو صه).

(٤) - أخرجه البخاري (٩٣٤) ومسلم (٨٥١) بلفظ: «إذا قلت لصاحبك..». وأخرجه أبو داود (١١١٢) والنسائي (١٤٠١) والترمذي (٥١٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرج أبو داود (١٠٥١) عن علي بن أبي طالب من حديث طويل: أنه قال: «من قال يوم الجمعة لصاحبه: أنصت فقد لغا، ومن لغا فليس له في جمعة تلك شيء».

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - أخرج ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٧٥) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ بعد صلاة الجمعة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ سبع مراتٍ، أعاده الله عز وجل من السوء إلى الجمعة الأخرى».

يَا مُتَبَدِّئُ يَا مُعِيدُ، يَا رَحِيمُ يَا وَدُودُ، أَغْنِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِطَاعَتِكَ عَنْ مَعْصِيَتِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»^(١).

ثُمَّ صَلِّ بَعْدَ الْجُمُعَةِ رَكْعَتَيْنِ^(٢) أَوْ أَرْبَعًا^(٣) أَوْ سِتًّا^(٤) مَثْنَى مَثْنَى، فَكُلُّ ذَلِكَ مَرْوِيٌّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ.

قال الحافظ ابن حجر: سنده ضعيف. وينبغي أن يقيد بما بعد الذكر المأثور في الصحيح، وله شاهد من مرسل مكحول، أخرجه سعيد بن منصور في السنن عن فرج بن فضالة عنه، وزاد في أوله: «فاتحة الكتاب»، وفي آخره: «كفر الله عنه ما بين الجمعتين، وكان معصوماً» وفرج ضعيف.

(٧) - أي: وقاية.

(١) - لم أحده بلفظ المصنف. وإنما جاء بلفظ مختلف. أخرج أحمد (١٥٣/١) والترمذي (٣٥٥٨) والحاكم (٥٣٨/١) عن علي رضي الله عنه، أن مكاتبا جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعني، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو كان عليك مثل جبل ديناً أداه عنك؟ قال: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، وأغنني بفضلك عن سواك». وذكره الإمام النووي في الأذكار (٣٨٣ و ١٢٣٤).

(٢) - أخرج أحمد (١٠٣/٢) وأبو داود (١١٢٧ و ١١٢٨) والنسائي (١١٣/٣) وابن ماجه (١١٣٠) وابن خزيمة (١٨٣٦) عن نافع قال: كان ابن عمر يُطِيلُ الصلاة قبل الجمعة، ويصلي بعدها ركعتين في بيته، ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك.

وأخرج أبو داود (١١٣٠ و ١١٣٣) عن ابن عمر قال: كان إذا كان بمكة فصلى الجمعة. تقدم فصلى ركعتين، ثم تقدم فصلى أربعاً، وإذا كان بالمدينة، صلى الجمعة، ثم رجع إلى بيته، فصلى ركعتين ولم يصل في المسجد، فقيل له: فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك.

ذكر الهيثمي في الجمع (٣١٨٨) عن أبي هريرة قال: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لا أدعهن في سفر ولا حضر... وركعتين بعد الجمعة...». وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون.

وروى البزار بإسنادٍ ضعيف جداً، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي قبل الجمعة ركعتين وبعدها ركعتين. انظر فتح الباري (٣٤١/٢) وانظر مجمع الزوائد (٤٢٥/٢) مما يستدرك من الزوائد.

ثُمَّ لَا زِمَ الْمَسْجِدَ إِلَى الْمَغْرِبِ أَوْ إِلَى الْعَصْرِ، وَكُنْ حَسَنَ الْمُرَاقِبَةِ لِلْسَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ فَإِنَّهَا مُبَهَّمَةٌ فِي جَمِيعِ الْيَوْمِ فَعَسَاكَ أَنْ تَذَرَكَهَا وَأَنْتَ خَاشِعٌ لِلَّهِ (تَعَالَى مُتَذَلِّلٌ) ^(١) مُتَضَرِّعٌ. وَلَا تَخْضُرْ فِي الْجَامِعِ مَجَالِسَ الْحَلَقِ ^(٢)، وَلَا مَجَالِسَ الْقُصَّاصِ بَلْ مَجْلِسَ الْعِلْمِ النَّافِعِ، وَهُوَ الَّذِي يَزِيدُ فِي خَوْفِكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُنْقِصُ مِنْ رَغَبِكَ فِي الدُّنْيَا، فَكُلُّ عِلْمٍ لَا يَذْعُوكَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ فَالْجَهْلُ أَعْوَدُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ^(٣).

(٣) - أخرج مسلم (٨٨١) وأبو داود (١١٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً».

(٤) - قال في مراقي العبودية (ص ٥٢): كما رواه علي وعبد الله بن عباس. قلت: لم أجد في مسنديهما ما يُشير إلى ذلك. والله أعلم.

قال السبكي في طبقات الشافعية (٢٨٧/٦): قال ابن الصلاح: من تفردت الغزالي أنه ذكر في بداية الهداية في سنة الجمعة بعدها أن له أن يصلها ركعتين، وأربعاً، وستاً، قال: فأبعد في ستٍّ وثُتدَّ. وقال النووي: روى الشافعي بإسناده في كتاب علي وابن مسعود عن علي رضي الله عنه أنه قال: من كان منكم مصلياً بعد الجمعة فليصل بعدها ست ركعات....

(١) - ما بين: () زيادة من نسخه.

(٢) - للنهي الوارد في ذلك فقد أخرج ابن ماجة (١١٣٣) عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُحَلَّقَ في المسجد يوم الجمعة قبل الصلاة» بإسناد لا بأس به.

(٣) - أخرج الطيالسي (٢٠٠٧) وابن أبي شيبة (١٨٧/١٠) وأحمد (١٩٢/٣) وأحمد (٢٥٥) وابن حبان (٨٣) عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، وعَمَلٍ لا يرفع، وقلبٍ لا يخشع، وقولٍ لا يسمع».

وأخرج ابن أبي شيبة (١٨٥/١٠) وابن حبان في صحيحه (٨٢) عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم إني أسألك علماً نافعاً، وأعوذ بك من علمٍ لا ينفع».

وَأَكْثَرَ الدُّعَاءِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ^(١)، وَعِنْدَ الزَّوَالِ، وَعِنْدَ الْغُرُوبِ، وَعِنْدَ الْإِقَامَةِ، وَعِنْدَ صُغُودِ الْخُطِيبِ الْمُبْتَدِئِ، وَعِنْدَ قِيَامِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ، فَيُوشِكُ أَنْ تَكُونَ السَّاعَةُ الشَّرِيفَةُ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ.

وَأَجْتَهِدْ أَنْ تَصَدِّقَ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِمَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ، فَتَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالصُّومِ وَالصَّدَقَةِ وَالْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ وَالْاعْتِكَافِ وَالرِّبَاطِ ^(٢)، وَاجْعَلْ هَذَا الْيَوْمَ مِنَ الْأُسْبُوعِ خَاصَّةً لِآخِرَتِكَ فَعَسَا أَنْ يَكُونَ كَفَّارَةً لِبَقِيَةِ الْأُسْبُوعِ.

(١) - أخرج ابن السني (١٤٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه: أنه جعل له من يرقب له طلوع الشمس، فلما أخرجه بطلوعها قال: «الحمد لله الذي وهب لنا هذا اليوم، وأقالنا فيه عثراتنا».

(٢) - في سبيل الله تعالى.

آداب الصيام

لَا يَنْبَغِي أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى صَوْمِ رَمَضَانَ فَتَتْرَكَ التَّجَارَةَ بِالنَّوَافِلِ وَكَسْبَ الدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ فِي الْفَرَادَيْسِ^(١)، فَتَتَحَسَّرَ^(٢) إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الصَّائِمِينَ - كَمَا تَنْظُرُ إِلَى (الْكُوكَبِ الدُّرِّيِّ)^(٣) - وَهُمْ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ.

وَالْأَيَّامُ الْفَاضِلَةُ الَّتِي شَهِدْتَ الْأَخْبَارَ بِشَرَفِهَا وَفَضْلِهَا^(٤)، وَبِحَزَالَةِ الثَّوَابِ فِي صِيَامِهَا: يَوْمَ عَرَفَةَ لِغَيْرِ (الْحَاجِّ)^(٥)، وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ^(٦)، وَالْعَشْرُ الْأَوَّلُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ^(٧)، وَالْعَشْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الْمُحَرَّمِ^(٨)، وَرَجَبُ^(٩)، وَشَعْبَانُ^(١٠)، وَصَوْمُ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ مِنْ

(١) - جمع فردوس، وهي أعلى الجنة وأوسطها. وقال كعب: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. (مراقي العبودية ص ٥٤).

(٢) - أي: فتتلهف.

(٣) - في نسخة: (الكوكب الدرّي).

(٤) - في نسخة: (بفضلها وشرفها).

(٥) - في نسخة: (الحجاج). أخرج مسلم (١١٦٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ».

وما ذكر ابن حجر في تلخيص الحبير (٢٢٦/٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة. وقال: متفق عليه من حديث أم الفضل ومن حديث ميمونة.

(٦) - أخرج مسلم (١١٦٢) عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ». وانظر تلخيص الحبير (٢٢٦/٢).

(٧) - أخرج البخاري (٩٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما العمل في أيام أفضل منها في هذا العشر». قالوا: ولا الجهاد؟ قال: «ولا الجهاد، إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء».

الْفَضَائِلِ^(١)، وَهِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ (وَالْمُحَرَّمِ)^(٢) وَرَجَبُ، وَاحِدُ فَرْدٍ وَثَلَاثَةُ سَرَدٍ، وَهَذِهِ فِي السَّنَةِ^(٣).

(٨) - أخرج أحمد (٣٠٣/٢ و ٣٢٩) ومسلم (١١٦٣) وابن ماجه (١٧٤٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل».

(٩) - ذكر الهيثمي في المجمع: (٥١٥٢) عن خرشة بن الحر قال: رأيت عمر بن الخطاب يصرب أكف الرجال في صوم رجب حتى يضعونها في الطعام، ويقول: رجب وما رجب، إنما رجب شهر كان يعظمه أهل الجاهلية، فلما جاء الإسلام ترك. قال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه: الحسن بن حيلة ولم أجد من ذكره، وبقي رجاله ثقات.

(١٠) - أخرج البخاري (١٩٦٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان.

وذكر الهيثمي في المجمع: (٥١٥٩) عن أبي أمامة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصل شعبان برمضان. قال: رواه الطبراني في الكبير (٧٧٥٠) ورجاله ثقات. قلت: فيه: سويد بن عبد العزيز: لين الحديث.

(١) - أخرج أبو داود (٢٤٢٨) والنسائي في الكبرى (تحفة ٥٢٤٠). وابن ماجه (١٧٤١) والمزي في تهذيب الكمال (٣٠٣/٣٥) عن مجيبة الباهلية، عن أبيها أو عمها: أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انطلق فعاد إليه بعد سنة وقد تغيرت حاله وحيته، فقال: يا رسول الله أما تعرفني؟ قال: «ومن أنت؟» قال: أنا الباهلي الذي جئتكم عام أول. قال: «فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة؟». قال: ما أكلت طعاماً منذ فارقتك إلا لبيل. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولم عذبت نفسك؟» صم شهر الصبر، ومن كل شهر يوماً. قال: زدني فإن بي قوة. قال: «صم من كل شهر يومين». قال: زدني فإن بي قوة. قال: «صم ثلاثة أيام من كل شهر». قال: زدني فإن بي قوة. قال: «صم من الحُرْمِ وَأَتْرُكْ». يقولها ثلاثاً.

(٢) - في نسخة: (ومحرم).

(٣) - قال في مراقي العبودية (ص ٥٤): وأفضلها الصوم بعد رمضان المحرم ثم رجب ثم الحجة ثم القعدة ثم شعبان، ونظم البحرمي ترتيب الأفضلية في الشهور فقال:

وَأَمَّا فِي الشَّهْرِ: فَأَوَّلُ الشَّهْرِ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ^(١)، وَالْأَيَّامُ الْبَيْضُ، وَهِيَ: الثَّلَاثَةُ عَشَرَ وَالرَّابِعُ عَشَرَ وَالْخَامِسُ عَشَرَ^(٢).

وَأَمَّا فِي الْأُسْبُوعِ: فَيَوْمُ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ^(٣) وَالْجُمُعَةِ^(٤).

فَتُكْفَرُ ذُنُوبُ الْأُسْبُوعِ بِصَوْمِ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ.

وَذُنُوبُ الشَّهْرِ تُكْفَرُ بِالْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ وَالْيَوْمِ الْأَوْسَطِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْأَيَّامِ الْبَيْضِ.

وَتُكْفَرُ ذُنُوبُ السَّنَةِ بِصِيَامِ هَذِهِ الْأَيَّامِ وَالْأَشْهُرِ الْمَذْكُورَةِ.

وَلَا تَطْنُ إِذَا صُمْتَ أَنَّ الصَّوْمَ هُوَ: تَرْكُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْوِقَاعِ فَقَطْ، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ»^(٥). بَلْ تَمَامُ

وأفضل الشهور بالإطلاق شهر الصيام فهو ذو السباق

فشهر ربنا هو اغرم فرجب فالحجة المعظم

فثقله فبعده شعبان وكل ذا جاء به البيان

(١) - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثَ، صِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكَعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أَوْتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ». أخرجه البخاري (١٩٨١).

وقال ابن حجر: ويسن صوم أيام السود خوفاً من ظلمة الذنوب وهي: السابغ أو الثامن وتاليه، فإن بدأ بالثامن ونقص الشهر صام أول تاليه وحينئذ يقع صومه عن أول الشهر أيضاً فإنه يسن صوم ثلاثة أول كل شهر.

(٢) - أخرج الترمذي بإسناد حسن (٧٦١) عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا صمت في الشهر ثلاثاً، فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة».

(٣) - أخرج الترمذي (٧٤٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الإثنين والخميس.

وأخرج الترمذي (٧٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم.

(٤) - لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يصم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده» أخرجه البخاري (١٨٨٤) ومسلم (١١٤٤)

(الصَّوْمُ)^(١) بِكَفِّ الْحَوَارِجِ كُلِّهَا (مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَغَيْرِهِمَا)^(٢) عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ تَعَالَى.

بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تُحَفَظَ:

١- الْعَيْنَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْمَكَارِهِ.

٢- وَاللِّسَانَ عَنِ النَّطْقِ بِمَا لَا يَغْنِيكَ^(٣).

٣- وَالْأَذْنَ عَنِ السَّمْعِ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ (تَعَالَى)^(٤)، فَإِنَّ الْمُسْتَمَعَ شَرِيكُ الْقَائِلِ وَهُوَ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ.

٤- وَكَذَلِكَ تَكْفُفُ جَمِيعُ الْحَوَارِجِ كَمَا تَكْفُفُ الْبُطْنُ وَالْفَرْجُ، فَبِئْسَ الْخَبِيرُ: «خَمْسٌ يُفْطَرْنَ الصَّائِمَ: الْكَذِبُ، وَالغِيبَةُ، وَالنَّمِيمَةُ^(٥)، وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ^(٦)، وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ»^(٧).

(٥) - أخرجه أحمد (٤٤١/٢) رقم (٩٦٩١) والدارمي (٣٠١/٢) عن أبي هريرة بهذا اللفظ ولكن بدون قوله: (والمعطش) وزاد: «وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر».

وأخرجه ابن ماجه (١٦٩٠) عن أبي هريرة أيضاً بلفظ: «رب صائم». وليس فيه: «والمعطش» وبقية كما في رواية أحمد والدارمي.

(١) - في نسخة: (الصيام).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - بما لا يعينك، أي بما لا يهملك، والذي يهمل الإنسان ما يتعلق بسلامته في المعاد وبضرورة حياته في معاشه فيما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستور عورته ويعف فرجه (مراقي العبودية ص ٥٥).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - في نسخة: (واليمين الكاذبة).

(٦) - قال في مراقي العبودية (ص ٥٥): ومذهب الشافعي وأصحابه: أن هذه تبطل ثواب الصوم لا نفس الصوم، ومعنى يفترون الصائم: أي يذهبن ثواب الصائم كما يذهب الفطر في النهار الصيام.

(٧) - أخرجه الديلمي في الفردوس (٢٩٧٩) وابن أبي حاتم في علل الحديث: (١٤٧/٢) وابن الجوزي في الموضوعات: (١٩٦/٢) والزيلعي في نصب الراية: (٤٨٣/٢) من حديث أنس بن مالك

وَقَالَ (صلى الله عليه وسلم)^(١): «إِنَّمَا الصَّوْمُ جُنَّةٌ^(٢)، فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَفْسُقُ وَلَا يَجْهَلُ، فَإِنْ أَمَرُوْا قَاتِلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ»^(٣).

ثُمَّ اجْتَنِبْ أَنْ تُفْطِرَ عَلَى طَعَامٍ حَلَالٍ.

وَلَا تَسْتَكْبِرْ فَتَزِيدَ عَلَى مَا تَأْكُلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ، (فَلَا)^(٤) فَرْقَ إِذَا اسْتَوَيْتَ مَا تَعْتَادُ أَنْ تَأْكُلَهُ (دُفْعَتَيْنِ فِي دَفْعَةٍ وَاحِدَةٍ)^(٥)، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ كَسْرُ شَهْوَتِكَ وَتَضْعِيفُ قُوَّتِكَ لِتَقْوَى بِهِمَا عَلَى التَّقْوَى.

فَإِذَا أَكَلْتَ (عَشِيَّةً مَا)^(٦) تَدَارَكْتَ بِهِ مَا فَاتَكَ (ضَحْوَةً)^(٧) فَلَا فَائِدَةَ فِي صَوْمِكَ وَقَدْ ثَقُلْتَ عَلَيْكَ مَعْدَنُكَ، وَمَا (وَعَاءً)^(٨) أَبْغَضَ إِلَى اللَّهِ (تَعَالَى)^(٩) مِنْ بَطْنٍ مُلِئَ مِنْ حَلَالٍ فَكَيْفَ إِذَا (مُلِئَ)^(١٠) مِنْ حَرَامٍ؟

رضي الله عنه بلفظ: «خمس يفطرون الصائم، وينقضن الوضوء...». وقال: هذا حديث موضوع. وقال ابن معين: سعيد كذاب.

(١) - في نسخة: (رسول الله صلى الله عليه وسلم).

(٢) - أي: وقاية من المعاصي.

(٣) - لم أحده بلفظ المصنف. أخرج البخاري (١٨٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام حنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن أمرؤ قاتله أو شاتم فليقل: إني صائم...». وأخرج النسائي (٢٢٣٤) عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصيام حنة من النار، فمن أصبح صائماً فلا يجهل يومئذ، وإن أمرؤ جهل عليه فلا يشتمه ولا يسبه، وليقل: إني صائم...». وانظره في الجامع الصغير (٥٢٢٤) بتحقيق شيخنا وهو حديث صحيح.

(٤) - في نسخة: (لأجل صيامك، فلا).

(٥) - في نسخة: (دفعه أو دفعتين).

(٦) - في نسخة: (عيش ما فاتك فقد).

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٨) - في نسخة: (من وعاء).

(٩) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(١٠) - في نسخة: (كان).

فَإِذَا عَرَفْتَ مَعْنَى الصَّوْمِ فَاسْتَكْبِرْ مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ أَسَاسُ الْعِبَادَاتِ وَمِفْتَاحُ الْقُرْبَاتِ^(١).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَثْمَالِهَا إِلَّا سَبْعَ مِثْقَالٍ ضَعِيفٍ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(٢).

وَقَالَ صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»^(٣)، يَقُولُ اللَّهُ (تَعَالَى عَزَّ مِنْ قَائِلٍ)^(٤): إِنَّمَا يَذُرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي فَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»^(٥).

(١) - لقوله صلى الله عليه وسلم: «لكل شيء باب وباب العبادة الصوم». ذكره العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢٣٢/١) وإخفاف السادة المتقين: (١٩٢/٤). عن أبي الدرداء بسند ضعيف.

(٢) - أخرج ابن حبان في صحيحه (٣٤١٦) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: كل حسنة عملها ابن آدم جزية بها عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف إلا الصيام، فهو لي وأنا أجزي به، الصيام حنة، فمن كان صائماً، فلا يرفث ولا يجهل، فإن أمرؤ شتمه أو آذاه، فليقل: إني صائم».

وأخرج ابن أبي شيبة (٥/٣) وأحمد (٤٤٣/٢ و ٤٧٧) ومسلم (١١٥١) وابن ماجه (١٦٣٨) وابن حبان (٣٤٢٤) عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلى سبع مئة ضعف، يقول الله: إلا الصوم، فهو لي وأنا أجزي به...».

(٣) - أخرج أحمد (٢٧٣/٢) والبخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١) (١٦٣) وابن حبان (٣٤٢٣) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فهو لي وأنا أجزي به، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك...».

وأخرج النسائي (١٦٢/٤ - ١٦٣) وابن حبان (٣٤٢٢) عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، والصيام لي وأنا أجزي به، وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

قال الإمام الماوردي: المعنى: أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم، أي: يقرب إليه أكثر من تقريب المسك إليكم. (مراقي العبودية ص ٥٦).

(٤) - في نسخة: (عز وجل).

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرِّيسَانُ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ»^(١).

فَهَذَا (الْقَدْرُ)^(٢) مِنْ شَرْحِ الطَّاعَاتِ (يَكْفِيكَ)^(٣) مِنْ بَدَايَةِ الْهِدَايَةِ، فَإِذَا احْتَجَّتْ إِلَى الرُّكَاةِ (وَالْحَجِّ)^(٤) أَوْ إِلَى مَزِيدٍ (لِشَرْحِ)^(٥) الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فَاطْلُبْهُ مِمَّا أَوْرَدْنَاهُ فِي (كِتَابِنَا)^(٦): إِحْيَاءُ عُلُومِ الدِّينِ.

(٥) - أخرجه البخاري (١٨٩٤) عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل... والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه من أجله، الصيام لي وأنا أجزي به، والخسنة بعشر أمثالها».

وفي رواية عند ابن حبان (٣٤٢٤) عن أبي هريرة: «... إلا الصوم، فهو لي وأنا أجزي به، يدع الطعام من أجله، والشراب من أجله، وشهوته من أجله، وأنا أجزي به...».

(١) - أورد هذه الرواية المصنف في الإحياء . انظر المغني عن حمل الأسفار (٢٣٢/١). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (١٩١/٤). وأبو نعيم في تاريخ أصفهان (٢٥/٢ و ٢٧٠).

وأخرجه البخاري (١٨٩٦) ومسلم (١١٥٢) عن سهل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة باباً يقال له الريسان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم...».

(٢) - في نسخة: (القدر يكفيك).

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - في نسخة: (وإلى الحج).

(٥) - في نسخة: (شرح).

(٦) - في نسخة: (كتاب).

القِسْمُ الثَّانِي

في

اجْتِنَابِ الْمَعَاصِي^(١)

(١) - وفي ذلك أحوال للناس في فعل الطاعات واجتناب المعاصي، وقد قال الإمام الماوردي في دب الدنيا والدين (ص ١٥٦ - ١٥٩): ثم ليس يخلو حال الناس فيما أمروا به ونُهِوا عنه، من فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، من أربعة أحوال:

فمنهم من يستجيب إلى فعل الطاعات، ويكف عن ارتكاب المعاصي، وهذا أكمل أحوال أهل الدين، وأفضل صفات المتقين، فهذا يستحق جزاء العاملين، وثواب المطيعين. روى محمد بن عبد الملك المدائني، عن زافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذنب لا يُسَى، والبر لا يلبى، والديان لا يموت، فكما شئت، فكما تدين يدان». وقديماً قيل: كل يحصد ما يزرع، ويُحزى بما يصنع. بل قالوا: زرع يومك حصاد غدك.

ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات، ويُقصد على ارتكاب المعاصي، وهي أحببت أحوال المكلفين، وشر صفات المتعبدين، فهذا يستحق عذاب اللاهي عن فعل ما أمر به من طاعته، وعذاب المجترى على ما أقدم عليه من معاصيه، وقد قال ابن شبرمة: عجبت لمن يحتمي من الطيبات مخافة الداء، كيف لا يحتمي من المعاصي مخافة النار؟ فأخذ ذلك بعض الشعراء فقال:

جسمك قد أفنيت به الحمي دهرأ من البارد والحار

وكان أولى بك أن تحتمي من المعاصي حذر النار

وقال ابن شبرمة: إنا نظرننا فوجدنا الصبر على طاعة الله تعالى أهون من الصبر على عذاب الله تعالى. وقال آخر: اصبروا عباد الله على عمل لا غنى بكم عن ثوابه، واصبروا عن عمل لا صبر لكم على عقابه. وقيل للفضيل بن عياض: رضي الله عنك. فقال: كيف يرضى عني ولم أرضه!

ومنهم من يستجيب إلى فعل الطاعات، ويُقدم على ارتكاب المعاصي، فهذا يستحق عذاب المجترى؛ لأنه تورط بغلبة الشهوة على الإقدام على المعصية، وإن سلم من التقصير في فعل الطاعة. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أقلعوا عن المعاصي قبل أن يسأحكم الله، فيدعكم هتاً بتاً». اهت: الكسر، والبت: القطع - ولذلك قال بعض العلماء: أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه، ولم تزل الشبهة يقينه.

(اعْلَمْ: أَنَّ (الدَّيْنِ) ^(١) شَطْرَانِ:

أَحَدُهُمَا: تَرَكُ الْمَنَاهِي.

وَالْآخَرُ: فِعْلُ الطَّاعَاتِ.

وقال حماد بن زيد: عجبت لمن يحتمي من الأطعمة لمضراتها، كيف لا يحتمي من الذنوب لمعراتها. وقال بعض الصلحاء: أهل الذنوب مرضى القلوب. وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله: ما أعجب الأشياء؟ فقال: قلب عرف الله عز وجل ثم عصاه. وقال بعض الألباء: يدل بالطاعة العاصي، وينسى عظم المعاصي. وقال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: أيما أحب إليك؟ رجل قليل الذنوب قليل العمل، أو رجل كثير الذنوب كثير العمل؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا أعذل بالسلامة شيئاً. وقيل لبعض الزهاد: ما تقول في صلاة الليل؟ فقال: خف الله بالنهار، ونم بالليل. وسمع بعض الزهاد رجلاً يقول لقوم: أهلككم النوم. فقال: بل أهلككم البقطة. وقيل لأبي هريرة رضي الله عنه: ما التقوى؟ فقال: أحزرت في أرض فيها شوكة؟ فقال: نعم. فقال: كيف كنت تصنع؟ فقال: كنت أتوقى، قال: فتوق الخطايا. وقال عبد الله بن المبارك:

أيضمن لي فتي ترك المعاصي وأرهنه الكفالة بالخلاص

أطاع الله قوم فاستراحوا ولم يتجرعوا غصص المعاصي

ومنهم من يمتنع من فعل الطاعات، ويكف عن ارتكاب المعاصي، فهذا يستحق عقاب اللاهي عن دينه، المنذر بقلة يقينه. روى أبو إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كانت ضحفت موسى عليه السلام كلها عبثاً: عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يصحك، وعجبت لمن أيقن بالقدر ثم يتعب، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها، ثم يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالموت ثم يفرح، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل».

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اجتهدوا في العمل، فإن قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصي». وهذا واضح المعنى؛ لأن الكف عن المعاصي ترك، وهو أسهل، وعمل الطاعات فعل، وهو أثقل؛ ولذلك لم يبع الله تعالى ارتكاب المعصية بعذر، ولا بغير عذر؛ لأنه ترك، والترك لا يعجز المذنب عنه، وإنما أباح ترك الأعمال بالأعذار؛ لأن العمل قد يعجز المذنب عنه.

وقال بكر بن عبد الله: رحم الله امرأ كان قوياً، فأعمل قوته في طاعة الله تعالى، أو كان ضعيفاً فكف عن معصية الله تعالى....

(١) - في نسخة: (للدين).

وَتَرَكُ الْمَنَاهِي هُوَ الْأَشَدُّ، فَإِنَّ الطَّاعَاتِ يَقْدِرُ عَلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ، وَتَرَكُ الشَّهَوَاتِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ، (فَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ) ^(١) صلى الله عليه وسلم: «الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ هَوَاهُ» ^(٢) (٣).

وَأَعْلَمْ: أَنَّكَ إِنَّمَا تَعْصِي اللَّهَ بِحَوَارِجِكَ، وَإِنَّمَا هِيَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَأَمَانَةٌ لَدَيْكَ، فَاسْتَعِزَّتْكَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ غَايَةُ الْكُفْرَانِ، وَخِيَانَتُكَ فِي أَمَانَةٍ (اسْتَوْدَعَكَهَا) ^(٤) اللَّهُ غَايَةَ الطُّغْيَانِ، فَأَعْصَاؤُكَ (رَعَايَاكَ) ^(٥) فَانْظُرْ كَيْفَ تَرْعَاهَا، فَ«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» ^(٦).

(١) - في نسخة: (ولذلك قال).

(٢) - أخرجه أحمد (٢١/٦) عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن، من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب». وصححه ابن حبان (٢٥) والحاكم (١٠/١، ١١).

وأخرج أحمد (١٥٤/٣) عن أنس بن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «المؤمن من أمنه الناس، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر السوء...».

وأخرج ابن ماجة (٣٩٣٤) أن فضالة بن عبيد حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب».

وأخرج أحمد (٢١/٦ و ٢٢) عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب».

(٣) - ما بين: () قد أوردتها الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء (٣٣٨/١٩) ضمن ترجمة المصنف.

(٤) - في نسخة: (أودعكها).

(٥) - في نسخة: (رعاؤك).

(٦) - أخرجه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وبقية: «الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت

وَأَعْلَمَ: أَنْ جَمِيعَ أَعْضَائِكَ سَتَشْهَدُ عَلَيْكَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ^(١) بِلِسَانٍ طَلِقٍ ذَلِكِ^(٢) تَقْضُحُكَ بِهِ عَلَى (رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ)^(٣).

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]. وَقَالَ (اللَّهُ)^(٤) تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

فَاحْفَظْ: (يَا مُسْكِنُ)^(٥) جَمِيعَ بَدَنِكَ (مِنَ الْمَعَاصِي)^(٦) وَخُصُوصًا أَعْضَاءَكَ السَّبْعَةَ. فَإِنَّ جَهَنَّمَ: ﴿لَهَا سَبْعُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]. وَلَا يَتَعَيَّنُ لِيْلِكَ الْأَبْوَابِ إِلَّا مَنْ عَصَى اللَّهَ (تَعَالَى)^(٨) بِهَذِهِ الْأَعْضَاءِ السَّبْعَةِ، وَهِيَ: الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ وَاللِّسَانُ وَالْبَطْنُ وَالْفَرْجُ وَالْيَدُ وَالرَّجُلُ.

أَمَّا الْعَيْنُ: فَإِنَّمَا حِفَّتْ لَكَ لِيَتَهَيَّيَ بِهَا فِي الظُّلُمَاتِ، وَتَسْتَوِيَنَّ بِهَا فِي الْحَاجَاتِ، وَتَنْظُرَ بِهَا إِلَى عَجَائِبِ مَلَكُوتِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَتَغَيَّرَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ^(٩). فَاحْفَظْهَا عَنْ (أَرْبَعِ)^(١٠):

زوجها ومسئولة عن رعيته، والخدام راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته». قال: وحسبت أن قد قال: «والرجل راعٍ في مال أبيه ومسؤول عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته».

(١) - أي: أمانتها.

(٢) - أي: فصيح عذب المنطق.

(٣) - في نسخة: (ملاؤ من الخلق).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٧) - أي: معلوم.

(٨) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٩) - أي: الدلالات الواضحات على وحدانية الله تعالى.

(١٠) - في نسخة: (ثلاث أو أربع). وقد وردت أحاديث كثيرة تحذر من الزلل لأنها تؤدي بصاحبها إلى النار فقد أخرج أحمد (٢/٢٩١ و ٣٩٢ و ٤٤٢) والبخاري في الأدب المفرد (٢٨٩)

١- أَنْ تَنْظُرَ بِهَا إِلَى غَيْرِ مُحَرَّمٍ.

٢- أَوْ إِلَى صُورَةٍ مَلِيحَةٍ (أَوْ لَا)^(١) بِشَهْوَةِ نَفْسٍ.

٣- أَوْ تَنْظُرَ بِهَا إِلَى مُسْلِمٍ بَعِيْنٍ الْإِحْقَارِ.

٤- أَوْ تَطْلُعَ بِهَا عَلَى عَيْبِ مُسْلِمٍ.

وَأَمَّا الْأُذُنُ: فَاحْفَظْهَا عَنْ أَنْ تُصْغِيَ بِهَا إِلَى الْبِدْعَةِ، أَوْ الْغَيْبَةِ، أَوْ الْفُحْشِ، أَوْ الْخَوْضِ فِي الْبَاطِلِ، أَوْ ذِكْرِ مَسَاوِيءِ النَّاسِ، فَإِنَّمَا خُلِقَتْ لِكَ لِتَسْمَعَ بِهَا كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحِكْمَةَ أَوْلِيَائِهِ، وَتَتَوَصَّلَ بِاسْتِفَادَةِ الْعِلْمِ بِهَا إِلَى الْمُلْكِ الْمُتِمِّمِ وَالنِّعَمِ الدَّائِمِ (فِي جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)^(٢).

فَإِذَا أَصْغَيْتَ بِهَا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَكَارِهِ صَارَ مَا كَانَ لَكَ عَلَيْكَ وَانْقَلَبَ مَا كَانَ سَبَبَ فُوزِكَ سَبَبَ هَلَاكِكَ، (وهذا)^(٣) غَايَةُ الْخُسْرَانِ، وَلَا تَفْتَنَّ أَنْ الْإِثْمَ يَخْتَصُّ بِهِ الْقَاتِلُ ذُوْنَ الْمُسْتَمْعِ، فَبِئْسَ الْخَبَرُ أَنْ: «الْمُسْتَمْعُ شَرِيْكَ الْقَاتِلِ وَهُوَ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ»^(٤).

و (٢٩٤) وابن ماجة (٤٢٤٦) والترمذي (٢٠٠٤) عن أبي هريرة قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم: ما أكثر ما يدخل الجنة؟ قال: التقوى وحسن الخلق. وسئل ما أكثر ما يدخل النار؟ قال: الأجووفان: الفم والفرج.

وأخرج أحمد (٢/٣١٧) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا أدرك لا محالة. فالعين زينتها النظر ويصدقها الإعراض، واللسان زينته النطق، والقلب التمني، والفرج يصدق ما تم ويكذب.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - في نسخة: (فهذه).

(٤) - قال العجلوني في كشف الخفاء: (٢٣٢٣) ذكره الغزالي في الإحياء، ولم يخرجوه العراقي. لكن رواد الطبراني من حديث ابن عمر مرفوعاً: «أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغيبة، وعن الاستماع إلى الغيبة». ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣١٢٢). وورد أيضاً: «من اغتیب عنه أخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أذله الله تعالى في الدنيا والآخرة». وفي التنزيل: ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢].

وَأَمَّا اللِّسَانُ: فَإِنَّمَا خُلِقَ لَكَ يُتَكَبَّرُ بِهِ ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَتِلَاوَةُ كِتَابِهِ، وَتَرْشِيدَ بِهِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى طَرِيقِهِ، وَتُظْهِرَ بِهِ مَا فِي ضَمِيرِكَ مِنْ حَاجَاتِ دُنْيَاكَ وَدُنْيَاكَ. فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ فِي غَيْرِ مَا خُلِقَ لَهُ فَقَدْ كَفَرْتَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، وَهُوَ أَغْلَبُ أَعْضَائِكَ عَالِيكَ وَعَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ، وَلَا يَكْبُ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى مَنَاجِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ^(١)، فَاسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ بِغَايَةِ قُوَّتِكَ حَتَّى لَا يَكْبُكَ فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ، فَنُفِيَ الْخَيْرُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لِيُضْحِكَ بِهَا أَصْحَابَهُ، فَيَهْوِي بِهَا فِي قَعْرِ جَهَنَّمَ سَعِينَ خَرِيفًا»^(٢). (رَوَاهُ أَنَّهُ^(٣)) قِيلَ شَهِيدٌ فِي الْمَعْرَكَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ قَائِلٌ: هَيْبًا لَهُ (الْجَنَّةُ)^(٤)، فَقَالَ (النَّبِيُّ)^(٥) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَذُرُّكَ؟ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَغْنِيهِ، وَيَبْخُلُ بِمَا لَا يُغْنِيهِ»^(٦).

وانظره في المقاصد الحسنة: (١٠٣٦) وتمييز الطبيب من الخبيث (١٢٩٤) ومختصر المقاصد الحسنة: (٩٥٤) وأسنن المطالب (١٥٩١)

(١) - أخرجه أحمد (٢٣٠/٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٤٥) والترمذي (٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجة (٣٩٧٣). وابن حبان (٢١٤) عن معاذ بن جبل من حديث طويل. وانظره في (الأربعين النووية) حديث رقم: (٢٩).

(٢) - أخرج ابن حجر في المطالب العالية (٣٢٢٣) القطعة الأولى من الحديث عن ابن مسعود رفعه قال: قال صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها من حوله...». وأخرج الترمذي (٢٣١٤) وابن ماجة (٣٩٧٠) وابن حبان (٥٧٠٦) عن أبي هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يرى بها بأساً يهوي بها في النار سبعين خريفاً».

وأخرج أحمد (٣٧٨/٢ - ٣٧٩) والبخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨) وابن حبان (٥٧٠٧) عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب».

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - في نسخة: (بالجنة).

(٥) - في نسخة: (رسول الله).

فَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْ ثَمَانِيَةٍ:
الْأَوَّلُ: الْكَذِبُ^(١).

(٦) - قال السيوطي في الدر المنثور (١٩٦/٦): أخرج الترمذي والبيهقي عن أنس رضي الله عنه، أن رجلاً توفي فقالوا: أبشر بالجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولا تدرون فعله قد تكلم بما لا يعنيه أو بخل بما لا ينفعه». ولفظه في الترمذي (٢٣١٦) في الزهد (عارضة الأحوذى (١٩٦/٩): «توفي رجل من أصحابه فقال -يعني رجل-: أبشر بالجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أولا تدري فعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه». وقال: حديث غريب. وأخرج البيهقي من وجه آخر عن أنس رضي الله عنه قال: أصيب رجل يوم أحد فجاءت امرأة فقال: يا بني لتهنك الشهادة، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه».

وأخرج أبو يعلى (٦٦٤٦) عن أبي هريرة قال: قُتل رجلٌ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فبكت عليه باكياً، فقالت: واشهيداه، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مه ما يدريك أنه شهيد، ولعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويبخل بما لا ينقصه». قال الميمني في الجمع (١٨١٨٠): رواه أبو يعلى، وفيه: عصام بن طلق، وهو ضعيف.

وأخرج أبو يعلى (٤٠١٧) عن أنس قال: استشهد رجلٌ منا يوم أحد، فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع، فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت: هنيئاً لك يا بني الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويمنع مالا يضره». قال الميمني في الجمع (١٨١٨١): رواه أبو يعلى، وفيه: يحيى بن يعلى الأسلمي، وهو ضعيف. وقال شيبان في تحقيقه للجمع: وفيه أيضاً: انقطاع، سليمان الأعمش، لم يدرك أنساً.

(١) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٤١٢ - ٤١٣): [ذم الكذب]: قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ثُمَّ نَبْهَلُ فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١٠٥]. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال للحسن بن علي رضي الله عنهما: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الكذب ريبة، والصدق طمأنينة». وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «رحم الله امرأً أصْلَحَ من لسانه، وأقصر من عنانه، وأزهد طريق الحق مقوله، ولم يعود الخطئ مفصله». وروى صفوان بن سليم قال: «قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: أليكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قيل: أليكون بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: أليكون

كذاباً؟ قال: لا». وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢]: أي: لا تخلطوا الصدق بالكذب. وقيل في منشور الحكم: الكذاب لص؛ لأنَّ اللص يسرق مالك، والكذاب يسرق عقلك. وقال بعض الحكماء: الخرس خير من الكذب، وصدق اللسان أول السعادة. وقال بعض البلغاء: الصادق مصان جليل، والكاذب مهان ذليل. وقال بعض الأدباء: لا سيف كالحق. ولا عون كالصدق. وقال بعض الشعراء:

وما شيء إذا فكرت فيه بأذهب للمروءة والجمال
من الكذب الذي لا خير فيه وأبعد بالبهاء من الرجال

والكذب جماع كل شر، وأصل كل ذم، لمسوء عواقبه، وخيب نتائجها؛ لأنه ينتج النسيمة، والنسيمة تنتج البغضاء، والبغضاء تولد إلى العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة، ولذلك قيل: من قلَّ صدقه قل صديقه. والصدق والكذب يدخلان الأخبار الماضية، كما أن الوفاء والخلف يدخلان المواعيد المستقبلية؛ فالصدق هو الإحسان عن الشيء على ما هو عليه، والكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، ولكل واحد منهما دواع، فدواعي الصدق لازمة، ودواعي الكذب عارضة؛ لأن الصدق يدعو إليه عقل موجب، وشرع مؤكد؛ فالكذب يمنع منه العقل، ويصد عنه الشرع؛ ولذلك جاز أن تستفيض الأخبار الصادقة؛ حتى تصير متواترة، ولم يجوز أن تستفيض الأخبار الكاذبة؛ لأن اتفاق الناس في الصدق والكذب إنما هو لاتفاق الدواعي؛ فدواعي الصدق يجوز أن يتفق الجمع الكثير عليها، حتى إذا نقلوا حراً، وكانوا عدداً يتنفي عن مثلهم المواطأة، وقع في النفس صدقه، لأن الدواعي إليه نافعة، واتفاق الناس في الدواعي النافعة ممكن، ولا يجوز أن يتفق العدد الكثير الذي لا يمكن مواطأة مثلهم على نقل خبر يكون كذباً؛ لأن الدواعي إليه غير نافعة، وربما كانت ضارة، وليس في جاري العادة أن يتفق الجمع الكثير على دواع غير نافعة؛ ولذلك جاز اتفاق الناس على الصدق؛ لجواز اتفاق دواعيهم، ولم يجوز أن يتفقوا على الكذب لامتناع اتفاق دواعيهم...

وقال (ص ٤١٥ - ٤١٧): [دواعي الكذب]: وأما دواعي الكذب: فمنها اجتلاب النفع، واستدفاع الضر؛ فيرى أن الكذب أسلم وأغنى، فيرخص لنفسه فيه اغتراراً بالخدع، واستشفافاً للطمع، وربما كان الكذب أبعد لما يؤمل، وأقرب لما يخاف، لأن القبيح لا يكون حسناً، والشر لا يصير خيراً، وليس يحمي من الشوك العنب، ولا من الكرم الخنظل. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «تقروا الصدق، وإن رأيتم أن فيه الهلكة، فإن فيه النجاة، وتجنبوا الكذب، وإن رأيتم أن فيه النجاة، فإن فيه الهلكة». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لأن يضعني الصادق - وقلما يضع - أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب، وقلما يفعل. وقال بعض الحكماء: الصدق منجيك وإن خفته،

فاحفظ منه لسانك في الجد والهزل، ولا تعود نفسك الكذب هزلاً (فبدعوك إلى الكذب)^(١) في الجد، والكذب من أمهات الكبائر. ثم إنك إذا عرفت بذلك سقطت عدالتك، (والثقة بقولك)^(٢)، وتزدريك الأعين وتحقرك، وإذا أردت أن تعرف فبح الكذب من نفسك، فانظر إلى كذب غيرك وإلى نفرة نفسك عنه، واستحقارك لصاحبه، واستقبحاك لما جاء به، وكذلك فافعل في جميع غيوب نفسك، فإنك لا تدري فبح غيوبك من نفسك بل من غيرك، فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لا محالة، فلا ترض لنفسك ذلك.

الثاني: الخلف في الوعد.

فإنك أن تعد بشيء ولا تفى به، بل ينبغي أن يكون إحسانك إلى الناس فعلاً بلا قول، فإن اضطرت إلى الوعد فإنك أن تخلف إلا لعجز أو ضرورة، فإن ذلك من أمارات

والكذب مردبك وإن أنته. وقال الجاحظ: الصدق والوفاء توأمان، والصبر والحلم توأمان، فيهن تمام كل دين، وصلاح كل دنيا، وأضدادهن سبب كل فرقة، وأصل كل فساد. ومنها: أن يؤثر أن يكون حديثه مستعذباً، وكلامه مستطرفاً، فلا يجد صدقاً يعذب، ولا حديثاً يستظرف، فيستحلي الكذب الذي ليست غرائبه معوزة، ولا طرائفه معجزة. وهذا النوع أسوأ حالاً مما قبل؛ لأنه يصدر عن مهانة النفس، ودناءة المهمة. وقد قال الجاحظ: لم يكذب أحد قط إلا لصغر قدر نفسه عنده. وقال ابن المقفع: لا تنهون بإرسال الكذبة من الهزل، فإنها تسرع إلى إبطال الحق. ومنها: أن يقصد بالكذب التشفي من عدوه، فيسمه ويصمه بقبائح يخترعها عليه، ويصفه بفضائح ينسبها إليه، ويرى أن معرفة الكذب غنم، وأن إرسالها في العدو سهم وسم، وهذا أسوأ حالاً من النوعين الأولين؛ لأنه قد جمع بين الكذب المعروف بالشر المضر، ولذلك ورد الشرع برّد شهادة العدو على عدوه. ومنها: أن تكون دواعي الكذب قد تراءفت عليه حتى ألفها، فنصار الكذب له عادة، ونفسه إليه منقاد، حتى لو رام مجانبه الكذب عسر عليه؛ لأن العادة طبع ثان. وقد قالت الحكماء: من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه. وقيل في منشور الحكم: لا يلزم الكذب شيء إلا غلب عليه.

(١) - في نسخة: (فيتداعى إلى الجد).

(٢) - في نسخة: (وانتنفى قولك).

النِّفَاقِ وَخَبَائِثِ الْأَخْلَاقِ، قَالَ (النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ^(١): «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ» ^(٢).
الثَّالِثُ: (الْغِيْبَةُ، فَاحْفَظْ لِسَانَكَ عَنْهَا) ^(٣)،
وَالْغِيْبَةُ أَشَدُّ مِنْ ثَلَاثَيْنِ زَنْبَةً فِي الْإِسْلَامِ ^(٤)، كَذَلِكَ وَرَدَ فِي الْخَيْرِ.

(١) - في نسخة: (عليه الصلاة والسلام).

(٢) - أخرجه أحمد (٥٣٦/٢) رقم (١٠٩٢٥) عن أبي هريرة بلفظ أوله: «ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم...».

أخرج البخاري (٨٤/١) ومسلم (٥٨) وأبو داود (٤٦٨٨) الترمذي (٢٦٣٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق، حتى يدعها: إذا وعد أخلف، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

وذكر الهيثمي في المجمع (٤١٨) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أعلام المنافقين: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اتهمته حانك».

ومن علامات المنافقين ما أخرجه أحمد (٧٩١٣) والبخاري (٨٥) عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن للمنافقين علامات يعرفون بها، تحببهم لعنة، وطعامهم نهب، وغنيمتهم غلول، لا يقربون المساجد إلا هجرأ، ولا يأتون الصلاة إلا دبرأ، مستكبرين إلا بالقول، لا يألون ولا يؤلفون، ضئيب بالليل، ضئيب بالنهار». وقال يزيد: «سحب بالنهار». قال الهيثمي (٤١١): رواه أحمد والبخاري، وفيه: عبد الملك بن قدامة الحمصي، وثقه يحيى بن معين وغيره، وضعفه الدارقطني وغيره.

(٣) - في نسخة: (حفظ اللسان من الغيبة).

(٤) - ذكر الهيثمي في المجمع (١٣١٢٨) عن جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الغيب أشد من الزنا». فقيل: وكيف؟ قال: «الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه». قال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: عباد بن كثير الثقفي، وهو متروك.

وانظره في علل الحديث لابن أبي حاتم (٢٤٧٤). ومشكاة المصابيح (٤٨٧٤ و ٤٨٧٥) والدر المنثور (٩٧/٦).

وَمَعْنَى الْغِيْبَةِ: أَنْ تَذْكُرَ إِنْسَانًا بِمَا يَكْرَهُهُ ^(١) لَوْ سَمِعَهُ، فَأَنْتَ مُعْتَابٌ طَائِفٌ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا، وَإِلَّاكَ وَغِيْبَةُ الْقُرْآنِ الْمُرَائِيْنِ ^(٢)، وَهُوَ أَنْ تُفْهِمَ الْمُقْصُودَ مِنْ غَيْرِ تَصْرِيحٍ فَتَقُولَ: أَصْلَحَهُ اللَّهُ فَقَدْ (سَأَنِي) ^(٣)، وَغَمَنِي مَا جَرَى عَلَيْهِ، فَتَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَنَا وَإِيَّاهُ، فَإِنْ هَذَا جَمَعَ بَيْنَ خَبِيْثَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: الْغِيْبَةُ (إِذَا حَصَلَ بِهِ) ^(٤) التَّفْهِيمُ.

وَالْآخَرُ: تَرْكِيْبَةُ النَّفْسِ وَالنَّشَاءِ عَلَيْهَا بِالتَّحْرِجِ وَالصَّلَاحِ.

وَلَكِنْ إِنْ كَانَ مَقْصُودُكَ مِنْ قَوْلِكَ: أَصْلَحَهُ اللَّهُ الدُّعَاءُ، فَاذْغُ لَهُ فِي السَّرِّ، وَإِنْ اغْتَمَمْتَ بِسَبِّهِ، فَعَلَامَتُهُ: أَنَّكَ لَا تُرِيدُ فَضِيْحَتَهُ وَإِظْهَارَ عَيْبِهِ، وَفِي إِظْهَارِكَ الْغَمِّ بِعَيْبِهِ إِظْهَارُ تَعَبِيْبِهِ.

وَيَكْفِيْكَ زَاجِرًا عَنِ الْغِيْبَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيْهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، فَقَدْ شَبَّهَ اللَّهُ بِأَكْلِ لَحْمِ الْمَيْتَةِ، فَمَا أَجْدَرُكَ أَنْ تَحْتَرِزَ مِنْهَا.

وَيَعْنُكَ عَنِ غِيْبَةِ الْمُسْلِمِينَ أَمْرٌ لَوْ تَفَكَّرْتَ فِيهِ، وَهُوَ: أَنْ تَنْظُرَ فِي نَفْسِكَ هَلْ فِيكَ عَيْبٌ ظَاهِرٌ أَوْ بَاطِنٌ، وَهَلْ أَنْتَ مُقَارِفٌ مَعْصِيَةٌ سِرًّا أَوْ جَهْرًا؟.

فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ عَجْزَهُ عَنِ التَّنَزُّهِ عَمَّا نَسَبَتْهُ إِلَيْهِ كَعَجْزِكَ، وَعُذْرُهُ كَعُذْرِكَ ^(٥)، وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ تُفْتَضَحَ وَتُذَكَّرَ عَيْبُوكَ، فَهُوَ أَيْضًا يَكْرَهُهُ، فَإِنْ سَرَتْهُ

(١) - أخرج أبو داود (٤٨٧٤) والترمذي (١٩٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكر أحدكم أخاه بما يكره، فقال رجل: أرايت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته». [والبهت: الكذب والافتراء على الإنسان].

(٢) - وهو أحببت أنواع الغيبة.

(٣) - في نسخة: (أسأني).

(٤) - في نسخة: (إذ بها حصل).

سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْكَ غُيُوبَكَ، وَإِنْ فَضَحَتْهُ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكَ أَلْسِنَةَ حِدَادٍ^(١) يُمَزِّقُ عِرْضَكَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَفْضَحُكَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وإِنْ نَظَرْتَ إِلَى ظَاهِرِكَ وَبَاطِنِكَ فَلَمْ تَطْلُعْ (فِيهِمَا)^(٢) عَلَى عَيْبٍ (و)^(٣) نَقَصٍ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا، فَاعْلَمْ: أَنَّ جَهْلَكَ بِغُيُوبِ نَفْسِكَ أَفْبَحُ أَنْوَاعِ الْحِمَاقَةِ، وَلَا عَيْبَ أَعْظَمَ مِنَ الْخُفْيِ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِكَ خَيْرًا لَبَصَّرَكَ بِغُيُوبِ نَفْسِكَ، فَرُؤْيُكَ نَفْسَكَ يَعْينُ الرِّضَا غَايَةَ غَبَاؤِكَ وَجَهْلِكَ، ثُمَّ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فِي ظَنِّكَ فَاشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهِ وَلَا تُفْسِدْهُ بِتَلَبُّبِ النَّاسِ وَالتَّمَتُّمُضِ (بِأَعْرَاضِهِمْ)^(٤)، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْغُيُوبِ^(٥).

الرَّابِعُ: الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ وَمُنَاقَشَةُ النَّاسِ فِي الْكَلَامِ.

فَذَلِكَ فِيهِ إِذْدَاءٌ لِلْمُخَاطَبِ وَتَجْهِيلٌ لَهُ وَطَعَنٌ فِيهِ، وَفِيهِ ثَنَاءٌ عَلَى النَّفْسِ وَتَرْكِيَةٌ لَهُمَا بِمَزِيدِ الْفُطْنَةِ وَالْعِلْمِ، ثُمَّ هُوَ مُشَوِّشٌ لِلْعَيْشِ، فَإِنَّكَ لَا تُمَارِي سَفِيهًا إِلَّا وَيُؤْذِيكَ، وَلَا تُمَارِي حَكِيمًا إِلَّا وَيَقْبِلُكَ وَيَحْقِدُ عَلَيْكَ. وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَرَكَ

الْمِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي رِضَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ»^(١).

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْدَعَكَ الشَّيْطَانُ وَيَقُولَ لَكَ: أَطْهَرُ الْحَقِّ وَلَا تَدَاوِ فِيهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَبَدًا يَسْتَجِرُّ الْحُمَقَى إِلَى الشَّرِّ فِي مَعْرِضِ الْخَيْرِ، فَلَا تَكُنْ ضَحْكَةً^(٢) لِلشَّيْطَانِ فَيَسْخَرُ بِكَ، فَإِظْهَارُ الْحَقِّ حَسَنٌ مَعَ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْكَ، وَذَلِكَ بِطَرِيقِ النَّصِيحَةِ فِي الْخُفْيَةِ لَا بِطَرِيقِ الْمُمَارَةِ.

وَلِلنَّصِيحَةِ: صِفَةٌ وَهَيْئَةٌ، وَيُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى تَلَطُّفٍ، وَإِلَّا صَارَتْ فَضِيحَةً، (وَكَانَ)^(٣) فَسَادَهَا أَكْثَرَ مِنْ صَلَاحِهَا، وَمَنْ خَالَطَ مُتَفَقِّهَةَ الْعَصْرِ غَلِبَ عَلَى طَبْعِهِ الْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ، وَعَسَرَ عَلَيْهِ الصَّمْتُ، إِذْ أُلْقِيَ إِلَيْهِمْ عُلَمَاءُ السُّوءِ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْمُنَاجَاةِ وَالْمُنَاقَشَةِ هُوَ الَّذِي يَتِمَّدُ بِهِ، فَعَرَّ مِنْهُمْ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ الْمِرَاءَ سَبَبُ الْمَقْتِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الْخَلْقِ.

الْحَابِسُ: تَرْكِيَةُ النَّفْسِ^(٤).

(فَقَدْ)^(٥) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ^(٦): مَا الصَّدَقُ الْقَبِيحُ؟ فَقَالَ: ثَنَاءُ الْمَرْءِ عَلَى نَفْسِهِ.

(٥) - أي: ككثرة عيوبك وذنوبك كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك.

(١) - قال تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ [الأحزاب: ١٩].

(٢) - في نسخة: (فيها).

(٣) - في نسخة: (أو).

(٤) - في نسخة: (في أعراضهم).

(٥) - قال عمر رضي الله عنه: عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم والغيبة وذكر الناس فإنه داء. واعلم أن سوء الظن حرام مثل القول فكما يحرم أن تحدث غيرك بمساوئ إنسان يحرم أن تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن به. قال الله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]. (مراقي العبودية ص ٦٢).

(١) - أخرجه الترمذي (١٩٩٤) عن أنس رضي الله عنه بلفظ: «من ترك الكذب وهو باطل بني له في رضى الجنة، ومن ترك المراء وهو حق، بني له في وسطها، ومن حسن خلقه، بني له في أعلاها». واللفظ القريب المذكور في جامع الأصول (١٢٥٧/٢).

وأخرجه أبو داود (٤٨٠٠) بإسناد حسن عن أبي أمامة، بلفظ: «أنا زعيم ببیت في رضى الجنة لمن ترك المراء، وإن كان خفياً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب، وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه».

(٢) - قال في مراقي العبودية: أي: كثير الضحك.

(٣) - في نسخة: (وصار).

(٤) - أي: مدحها بالطهارة عن الدناءة.

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

فَإِيَّاكَ أَنْ تَتَعَوَّدَ ذَلِكَ، وَاعْلَمْ: أَنَّ ذَلِكَ يُنْقَضُ مِنْ قَدْرِكَ عِنْدَ النَّاسِ، وَيُوجِبُ مَقْتِكَ عِنْدَ اللَّهِ (تعالى) (١)، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ ثَنَاءَكَ عَلَى نَفْسِكَ لَا يَزِيدُ فِي قَدْرِكَ عِنْدَ غَيْرِكَ فَانْظُرْ إِلَى أَقْرَانِكَ (٢) إِذَا أَثْنَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْفَضْلِ وَالْجَاهِ وَالْمَالِ، (كَيْفَ) (٣) يَسْتَكْبِرُهُ قَلْبُكَ عَلَيْهِمْ وَيَسْتَقْبِلُهُ طَبْعُكَ، وَكَيْفَ تَذْمُهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَارَقْتَهُمْ؟ فَاعْلَمْ: أَنَّهُمْ أَيْضاً فِي حَالِ تَرْكِيكَ لِنَفْسِكَ يَذْمُونَكَ فِي قُلُوبِهِمْ نَاجِراً وَسَيُظْهِرُونَهُ بِالنِّسْبَةِ إِذَا فَارَقْتَهُمْ.

السَّادِسُ: اللَّعْنُ.

فَإِيَّاكَ أَنْ تَلْعَنَ شَيْئاً مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حَيَوَانَ أَوْ طَعَامٍ أَوْ إِنْسَانٍ بَعِيْهِ. وَلَا تَقْطَعْ بِشَهَادَتِكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِشِرْكٍ أَوْ كُفْرٍ أَوْ نِفَاقٍ، فَإِنَّ الْمُطْلَعِ عَلَى السَّرَائِرِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، فَلَا تَدْخُلْ بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَاعْلَمْ: أَنَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُقَالُ لَكَ: لِمَ لَمْ تَلْعَنْ فَلَاناً وَلِمَ سَكَتَ عَنْهُ، بَلْ لَوْ لَمْ تَلْعَنْ إِبْنِيسَ طَوَّلَ عُمْرُكَ وَلَمْ تَشْغَلْ لِسَانَكَ بِذِكْرِهِ لَمْ تُسْأَلْ عَنْهُ وَلَمْ تُطَالَبْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا لَعَنْتَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى طَوَّلَتْ (بِهِ وَسُئِلْتَ عَنْهُ) (٤)، وَلَا تَذْمَنْ شَيْئاً مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَذْمُ الطَّعَامَ الرَّدِيءَ قَطُّ، بَلْ كَانَ إِذَا اشْتَهَى شَيْئاً أَكَلَهُ، وَإِلَّا تَرَكَهُ.

النَّاسِخُ: الدُّعَاءُ عَلَى الْخَلْقِ.

(فَاحْفَظْ) (١) لِسَانَكَ عَنِ الدُّعَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ ظَلَمَكَ فَكَيْلُ أَمْرِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ الْمَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى ظَالِمِهِ حَتَّى يَكَاِفَنَّهُ، ثُمَّ يَنْقُي» (٢) لِلظَّالِمِ فَضْلٌ عِنْدَهُ يُطَالِبُهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣).

وَطَوَّلَ بَعْضُ النَّاسِ لِسَانَهُ عَلَى الْحَجَّاجِ فَقَالَ بَعْضُ السُّلَفِ (٤): إِنَّ اللَّهَ (لَيَنْتَقِمُ) (٥) لِلْحَجَّاجِ مِمَّنْ (تَعَرَّضَ) (٦) لَهُ بِلِسَانِهِ، كَمَا يَنْتَقِمُ مِنَ الْحَجَّاجِ لِمَنْ ظَلَمَهُ.

الثَّانِي: الْمُزَاخَ وَالسُّخْرِيَّةَ وَالاسْتِهْزَاءَ بِالنَّاسِ.

فَاحْفَظْ لِسَانَكَ مِنْهُ فِي الْجِدِّ وَالْهَزْلِ، فَإِنَّهُ يَرِيْقُ مَاءُ الْوَجْهِ وَيُسْقِطُ الْمَهَابَةَ وَيَسْتَجِرُ الْوَحْشَةَ وَيُوْذِي الْقُلُوبَ، وَهُوَ مَبْدَأُ اللَّحَاجِ وَالْغَضَبِ وَالتَّصَارُمِ، وَيَغْرِسُ الْحَقْدَ فِي الْقُلُوبِ، فَلَا تُمَازِحْ أَحَدًا، (فَإِنَّ) (٧) مَا زَحَوَكَ فَلَا (تُجِبُهُمْ) (٨) وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخْوَضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ (٩)، وَكُنْ مِنَ الَّذِينَ إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (١٠).

(١) - في نسخة: (احفظ).

(٢) - في نسخة: (يكون).

(٣) - انظره في المعنى عن حمل الأسفار: (١٢٢/٣) وقال: لم أقف له على أصل. وإتحاف السادة المتقين: (٤٩٣/٧). والفوائد المجموعة: (٢١١). وتذكرة الموضوعات: (١٨٤).

وأخرج الترمذي (٣٥٥٢) عن عائشة رضي الله عنها قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا على من ظالمه فقد انتصر».

(٤) - الصالح وهو الإمام محمد بن سيرين إمام المعبرين نهياً عن تطويل الكلام على الحجاج. (مراقي العبودية ص ٦٤).

(٥) - في نسخة: (ينتقم).

(٦) - في نسخة: (يتعرض).

(٧) - في نسخة: (وإن).

(٨) - في نسخة: (تجبه).

(٩) - لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠]. وقوله: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(٦) - أي: الواضعين الشيء في محله.

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - أي: الذين هم أهل زمان واحد.

(٣) - في نسخة: (وكيف).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

فَهَذِهِ مَجَامِعُ آفَاتِ اللِّسَانِ.

وَلَا يُعِينُكَ عَلَيْهِ إِلَّا الْعَزَلَةُ^(١) (أَوْ)^(٢) مِلَازِمَةُ انْصَمَتْ إِلَّا بِقَدْرِ الصَّرُورَةِ، فَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ انْصَدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ (تَعَالَى)^(٣) عَنْهُ يَضَعُ حَجَرًا فِي فِيهِ لِيَمْنَعَهُ ذَلِكَ مِنْ انْكَلَامٍ بَعْدَ صُرُورِهِ، وَيُنْبِئُهُ إِلَى لِسَانِهِ وَيَقُولُ: هَذَا الَّذِي أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ كُلَّهَا^(٤)، فَاحْتَرَزَ مِنْهُ (بِجَهْلِكَ)^(٥)، فَإِنَّهُ أَقْرَى أَسْبَابِ هَلَاكِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَأَمَّا الْبَطْنُ: فَاحْفَظْهُ مِنْ تَنَاوُلِ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ، وَاحْرِصْ عَلَى طَلَبِ الْحَلَالِ، فَإِذَا وَجَدْتَهُ فَاحْرِصْ عَلَى أَنْ تَقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى مَا دُونَ الشُّبْهِ، فَإِنَّ الشُّبْهَ يُفْسِدُ الْقَلْبَ وَيُفْسِدُ الذَّهْنَ، وَيَبْطِلُ الْحِفْظَ، وَيَقْلِبُ الْأَعْضَاءَ عَنِ الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ، وَيُفَوِّي الشُّبْهَاتِ، وَيَنْصُرُ جُنُودَ الشَّيْطَانِ.

وَالشُّبْهُ مِنْ الْحَلَالِ مَبْدَأُ كُلِّ شَرٍّ^(٦) فَكَيْفَ مِنَ الْحَرَامِ؟.

(١٠) - نقولنه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغْوِ مَرُوا كِرَامًا﴾ الفرقان: [٧٢].
ومتمثلاً بقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [النقص: ٥٥].

(١) - فقد جاء في العزلة: ما أخرجه الطبراني في الصغير (٣٢١) عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ انْقَطَعَ إِلَى اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ كُلَّ مَوْنَةٍ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، وَمَنْ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨١٨٩): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه: إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل، وهو ضعيف، وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال: يغرب ويخطئ ويخالف، وبقية رجاله ثقات.

(٢) - في نسخة: (و).

(٣) - ما بين: () نقص من المطبوع.

(٤) - أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٣/١).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - أخرج أحمد (١٣٢/٤) الترمذي (٢٣٨٠) والنسائي في الكبرى: (٨٨). عن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مَلَأَ آدَمِيَّ عِشَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتِهِ يَتَمَنَّى صَلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَتَلْتِ لُطْعَامَهُ، وَتَلْتِ لُشْرَابَهُ، وَتَلْتِ لِنَفْسِهِ».

وَطَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَالْعِبَادَةُ وَالْعِلْمُ مَعَ أَكْلِ الْحَرَامِ كَالْبِنَاءِ عَلَى السَّرْحَيْنِ، فَإِذَا قِيعَتْ فِي النَّسْنَةِ بِقَعْنِصِ حَشِينٍ، وَفِي الْيَسْرِ وَاللَّيْلِ بِرَغِيفَيْنِ مِنَ الْخُشْكَارِ^(١)، وَتَرَكْتَ التَّلَذُّذَ بِأَطْيَبِ الْأَذْمِ، لَمْ يُعْزِزْكَ مِنَ الْحَلَالِ مَا يَكْفِيكَ وَالْحَلَالُ كَثِيرٌ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَيَقَّنَ بَوَاطِنَ الْأُمُورِ، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَحْتَزَرَ مِمَّا تَعْلَمُ أَنَّهُ حَرَامٌ، أَوْ تَظُنَّ أَنَّهُ حَرَامٌ، ظَنًّا حَصَلَ مِنْ عِلَامَةٍ نَاجِزَةٍ، (مَقْرُونَةٌ بِالْمَالِ)^(٢).

أَمَّا الْمَعْلُومُ فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا الْمَظْنُونُ بِعِلَامَةٍ، فَهُوَ مَالُ السُّلْطَانِ وَعُمَالِهِ، وَمَالُ مَنْ لَا كَسْبَ لَهُ إِلَّا مِنَ النَّبَاحَةِ أَوْ بَيْعِ الْخَمْرِ أَوْ الرِّبَا أَوْ الْمَزَامِيرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آلَاتِ اللّٰهِ الْمُحَرَّمَاتِ، (فَإِنَّ)^(٣) مَنْ عَلِمَتْ أَنَّ أَكْثَرَ مَالِهِ حَرَامٌ قَطْعًا فَمَا تَأْخُذُهُ مِنْ يَدِهِ، وَإِنْ أُمُكِّنَ أَنْ يَكُونَ حَلَالًا نَادِرًا فَهُوَ حَرَامٌ، لِأَنَّهُ الْغَالِبُ عَلَى الظَّنِّ^(٤).

وَمِنْ الْحَرَامِ الْمَحْضِي مَا يُؤْكَلُ مِنَ الْأَوْقَافِ مِنْ غَيْرِ شَرْطِ الْوَأَقِفِ، فَمَنْ لَمْ يَشْتَغِلْ بِالتَّفَقُّهِ، فَمَا يَأْخُذُهُ مِنَ الْمَذَارِسِ حَرَامٌ، وَمَنْ ارْتَكَبَ مَعْصِيَةً تَرُدُّ بِهَا شَهَادَتُهُ، فَمَا يَأْخُذُهُ بِاسْمِ الصُّوْفِيَّةِ مِنْ وَقْفٍ أَوْ غَيْرِهِ حَرَامٌ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَدَاحِلَ الشُّبْهَاتِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فِي كِتَابِ مُفْرَدٍ مِنْ كِتَابِ إَحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ^(٥)، فَعَلَيْكَ بِطَلَبِهِ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْحَلَالِ وَطَلَبَهُ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ.

(١) - أي: الخبز الأسمر.

(٢) - في نسخة: (مقدرة بالمثال).

(٣) - في نسخة: (حتى).

(٤) - قال في مراقي العبودية (ص ٦٧): قال الشيرازي في الفتوحات الوهبية نقلًا عن مختصر إحياء علوم الدين: ومن جملة التشابه أن يكون الشيء مما قد اشترى في الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام لا أن يكون تسلم الطعام قبل دفع ثمنه بطيب قلب وأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال بالإجماع ولا ينقلب بأداء المال في مقابلته من الحرام حراماً بل غايته أنه لا تبرا ذمته فكأنه لم يقض الثمن فلا يحرم ما أكله.

(٥) - (٨٨/٢) فراجع هناك.

وَأَمَّا الْفُرُجُ: فَاحْفَظْهُ عَنْ كُلِّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى، وَكُنْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٦].

وَلَا تَصِلْ إِلَى حِفْظِ الْفُرْجِ إِلَّا بِحِفْظِ الْعَيْنِ عَنِ النَّظَرِ، وَحِفْظِ الْقَلْبِ عَنِ الْفِكْرِ، وَحِفْظِ الْبُطْنِ عَنِ الشُّبْهَةِ، وَعَنِ الشَّيْءِ، فَإِنَّ هَذِهِ مُحَرَّكَاتٌ لِلشَّهْوَةِ وَمَغَارِسِهَا. وَأَمَّا الْيَدَيْنِ: فَاحْفَظْهُمَا عَنْ أَنْ تَضْرِبَ بِهِمَا مُسْلِمًا، (أَوْ) تَتَنَاوَلَ بِهِمَا مَالًا حَرَامًا، أَوْ تُؤْذِي بِهِمَا أَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ، أَوْ تَخُونَ بِهِمَا أَمَانَةً أَوْ وَدِيعَةً، أَوْ تَكْتَبَ بِهِمَا مَالًا يَجُوزُ النَّطْقُ بِهِ، فَإِنَّ الْقَلَمَ أَحَدُ اللَّسَانَيْنِ، فَاحْفَظْ الْقَلَمَ عَمَّا يَجِبُ حِفْظُ اللَّسَانِ عَنْهُ.

وَأَمَّا الرُّجُلَانِ: فَاحْفَظْهُمَا عَنْ أَنْ تَمْشِيَ بِهِمَا إِلَى حَرَامٍ، أَوْ تَسْعَى بِهِمَا إِلَى بَابِ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ، فَالْمَشْيُ إِلَى السُّلَاطِينِ الظُّلَمَةِ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ وَإِرْهَاقِ مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ، فَإِنَّهُ تَوَاضَعُ لَهُمْ، وَإِكْرَامُ لَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُكُمْ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣] الْآيَةِ، (وَهُوَ تَكْثِيرٌ لِسِرَادِهِمْ) (٢).

وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِسَبَبٍ طَلَبَ مَا لَهُمْ فَهُوَ سَعْيٌ إِلَى (حَرَامٍ) (٣)، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَوَاضَعَ لَغْنِي صَالِحٍ لَغْنَاهُ ذَهَبٌ ثَلَاثًا دِينُهُ» (٤). (وَهَذَا) (٥) فِي غْنِيٍّ صَالِحٍ، فَمَا ظَنُّكَ بِالْغْنِيِّ الْفَظَالِمِ؟

(١) - فِي نَسَخَةِ: (و).

(٢) - مَا بَيْنَ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسَخَةٍ.

(٣) - فِي نَسَخَةِ: (الْحَرَامِ).

(٤) - قَالَ الْعَجْلُونِي فِي كَشْفِ الْخَفَاءِ (٢٤٤٤): رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مِنْ قَوْلِهِ بِلَفْظٍ:

«مَنْ خَضَعَ لَغْنِي وَوَضَعَ لَهُ نَفْسَهُ إِعْظَامًا لَهُ وَطَعْمًا فِيمَا قَبْلَهُ ذَهَبٌ ثَلَاثًا مَرَّةً وَشَطْرَ دِينِهِ».

وَانْظُرِ الْحَدِيثَ فِي الْحَلِيقَةِ (٢٣/٨) وَالْمَقَاصِدَ الْحَسَنَةَ (١١٠٢) وَمَخْتَصَرَ الْمَقَاصِدِ الْحَسَنَةِ: (١٠١٣).

وَعَبَّازُ الطَّيْبِ مِنَ الْحَبِيثِ (١٣٧٠). وَأَسْنَى الْمَطَالِبِ (١٣٧٩).

(٥) - فِي نَسَخَةِ: (هَذَا).

وَعَلَى الْجُمْلَةِ: فَحَرِّكَاتُكَ وَسَكَنَاتُكَ بِأَعْضَائِكَ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ، فَلَا تُحَرِّكْ شَيْئًا مِنْهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَصْلًا، وَاسْتَعْمِلْهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَعْلَمْ: أَنَّكَ إِنْ قَصَّرْتَ فَعَلَيْكَ (وَبِإِلَّهِ) (١)، وَإِنْ شَمَرْتَ فَإِلَيْكَ (تَعَوَّذُ) (٢) (تَمَرُّدُ) (٣).

وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْكَ وَعَنْ عَمَلِكَ، وَإِنَّمَا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]. وَإِلَيْكَ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ لِلْعَصَاةِ، فَإِنَّ هَذِهِ كَلِمَةٌ حَقٌّ أُرِيدُ بِهَا بَاطِلٌ، وَصَاحِبُهَا مُلْقَبٌ بِالْحَمَاقَةِ يَتَلَقَّبُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي» (٤).

وَأَعْلَمْ: أَنَّ (قَوْلَكَ هَذَا يُضَاهِي قَوْلَ) (٥) مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَصِيرَ فَقِيرًا فِي عُلُومِ الدُّنْيِ (مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْرُسَ عِلْمًا) (٦) وَاشْتَغَلَ بِالْبَطَالَةِ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُفَيِّضَ عَلَى قَلْبِي مِنَ الْعُلُومِ مَا أَفَاضَهُ عَلَى قُلُوبِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ مِنْ غَيْرِ جُهْدٍ وَتَكَرُّارٍ (وَتَعْلِقُ) (٧)، وَهُوَ كَقَوْلِ مَنْ يُرِيدُ مَالًا (فَيَتْرُكُ) (٨) الْجَزَاءَةَ وَالتَّجَارَةَ (وَالْكَسْبَ) (٩) (وَيَتَعَطَّلُ) (١٠) وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ رَحِيمٌ، وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى

(١) - فِي نَسَخَةِ: (يَرْجِعُ وَبِإِلَّهِ).

(٢) - فِي نَسَخَةِ: (تَرْجِعُ).

(٣) - فِي نَسَخَةِ: (تَمَرُّدُهُ) وَفِي نَسَخَةِ: (تَمَرُّدُهُ). وَمَعْنَاهُ: أَيُّ فَائِدَةٍ تَشْمِيرُكَ.

(٤) - أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٢٤/٤) وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٤٥٩) وَابْنُ مَاجَةَ (٤٢٦٠) عَنْ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ

نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي».

(٥) - فِي نَسَخَةِ: (قَوْلِ).

(٦) - مَا بَيْنَ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسَخَةٍ.

(٧) - فِي نَسَخَةِ: (أَوْ تَعْلِقُ).

(٨) - فِي نَسَخَةِ: (فَتْرُكُ).

(٩) - فِي نَسَخَةِ: (وَالْمَكْسَبِ).

(١٠) - فِي نَسَخَةِ: (وَتَعَطَّلُ).

أَنْ يُطْلِعَنِي عَلَى كَثْرٍ مِنَ الْكُنُوزِ أَسْتَعِينِي بِهِ عَنِ الْكَسْبِ، فَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ لِيُعْضِيَ عِبَادِهِ، فَأَنْتَ إِذَا سَمِعْتَ كَلَامَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اسْتَحَقَقْتَهُمَا وَسَخِرْتَ مِنْهُمَا، وَإِنْ كَانَ مَا وَصَفَاهُ مِنْ كَرَمِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ صِدْقًا وَحَقًّا، فَكَذَلِكَ يَضْحَكُ عَلَيْكَ أَرْبَابُ الْبَصَائِرِ فِي الدُّنْيَا إِذَا طَلَبْتَ الْمَغْفِرَةَ بِغَيْرِ سَعْيٍ لَهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]. وَيَقُولُ: ﴿إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، وَيَقُولُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾^(١)، وَإِنَّ الْفَخَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الإنفطار: ١٣ - ١٤].

فَإِذَا لَمْ تَتْرُكِ السَّعْيَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْمَالِ اعْتِمَادًا عَلَى كَرَمِهِ، فَكَذَلِكَ لَا تَتْرُكِ التَّزَوُّدَ لِالْآخِرَةِ، وَلَا تَغْتَفِرِ^(٢) فَإِنَّ رَبَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحِدٌ، وَهُوَ فِيهِمَا كَرِيمٌ رَحِيمٌ، (وَلَيْسَ)^(٣) يَزِيدُ لَهُ كَرَمٌ بِطَاعَتِكَ، وَإِنَّمَا كَرَمُهُ فِي أَنْ يَسِّرَ لَكَ طَرِيقَ الْوُصُولِ إِلَى الْمُلْكِ الْمُقِيمِ (وَالنَّعِيمِ الدَّائِمِ)^(٤) الْمُخَلَّدِ، بِالصَّبْرِ عَلَى تَرْكِ الشَّهَوَاتِ أَيَّامًا قَلِيلًا، وَهَذَا نِهَآيَةُ الْكَرَمِ. فَلَا تَحْدِثْ نَفْسَكَ بِتَهْوِينِ سَاوِ الْبَطَالِينِ، (وَاقْتَدِرِ)^(٥) بِأَوَّلِي الْعَزْمِ وَالنَّهْيِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَلَا تَطْمَعِ فِي أَنْ تَحْصِدَ مَا لَمْ تَزْرَعْ، وَلَيْتَ مَنْ (صَلَّى وَصَامَ)^(٦) وَجَاهَدَ وَأَتَى غَفِرَ لَهُ.

فَهَذِهِ جُمْلَةٌ (مِمَّا)^(٧) يُبَغْيِي أَنْ تَحْفَظَ عَنْهُ جَوَارِحَ الظَّاهِرَةِ، وَأَعْمَالَ هَذِهِ الْجَوَارِحِ إِنَّمَا تَتَرَشَّعُ مِنْ صِفَاتِ الْقَلْبِ، فَإِنْ أَرَدْتَ حِفْظَ الْجَوَارِحِ فَعَلَيْكَ بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ، (وَهُوَ) تَقْوَى^(٨) الْبَاطِنِ^(٩)، وَالْقَلْبُ هُوَ الْمُضْغَةُ الَّتِي إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ (بِهَا سَائِرُ)^(١٠) الْجَسَدِ

(وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ بِهَا سَائِرُ الْجَسَدِ)^(١١)، فَاشْتَغِلْ (بِإِصْلَاحِهِ)^(١٢) لِيُصْلِحَ بِهِ جَوَارِحَكَ، (وَصَلَاحُهُ يَكُونُ بِمِلَازِمَةِ الْمُرَاقَبَةِ)^(١٣).

الْقَوْلُ فِي مَعَاصِي الْقُلُوبِ

اعْلَمْ: أَنَّ الصِّفَاتِ الْمَذْمُومَةَ فِي الْقَلْبِ كَثِيرَةٌ، (وَطَرِيقُ تَطْهِيرِ)^(١٤) الْقَلْبِ مِنْ رَذَائِلِهَا (طَوِيلٌ، وَسَبِيلُ)^(١٥) الْعِلَاجِ فِيهَا غَاطِضٌ، وَقَدْ اُنْتَدَسَ بِالْكَلْبِيَّةِ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ لِعِفْلَةِ الْخَلْقِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَاشْتِغَالِهِمْ بِرَخَائِفِ الدُّنْيَا، وَقَدْ اسْتَقْصَيْنَا ذَلِكَ كُلَّهُ فِي كِتَابِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدُّنْيَا فِي رُبْعِ الْمُهْلِكَاتِ وَرُبْعِ الْمُنْجِيَّاتِ، وَلَكِنَّا نَحْذَرُكَ الْآنَ ثَلَاثًا مِنْ خِيَاثِ الْقَلْبِ: جِيِ الْغَالِبَةِ عَلَى مُتَفَقِّهَةِ الْعَصْرِ، لِتَأْخُذَ مِنْهَا حَذْرَكَ، فَإِنَّهَا مُهْلِكَاتٌ فِي أَنْفُسِهَا، وَجِيِ أُمَهَاتٌ لِحُمْلَةٍ مِنَ الْخِيَاثِ سَوَآهَا، وَهِي: الْحَسَدُ، وَالرِّيَاءُ، وَالْعُجْبُ. فَاحْتَدِ فِي تَطْهِيرِ قَلْبِكَ مِنْهَا، فَإِنَّ قُدْرَتَ عَلَيْهَا فَتَعَلَّمَ كَيْفِيَّةَ الْحَذْرِ مِنْ بَقِيَّتِهَا مِنْ رُبْعِ الْمُهْلِكَاتِ.

(٩) - قال أحمد بن حنبل: القلوب أوعية فإذا امتلأت من الحق ظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل ظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح. (مراقي العبودية ص ٦٩).
(١٠) - ما بين: () نقص من المطبوع.

(١١) - في نسخة: (كله). يشير المصنف إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الحلال بين، وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشبهات... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب». أخرجه البخاري (٥٢ و ٢٠٥١) ومسلم (١٥٩٩) وأبو داود (٣٣٢٩ و ٣٣٣٠). وابن ماجه (٣٩٨٤). عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(١٢) - في نسخة: (بصلاحه).

(١٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(١٤) - في نسخة: (وتطهير).

(١٥) - في نسخة: (طويل، وسبب).

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - أي: لا تلن في العمل بعد شدتك.

(٣) - في نسخة: (ليس).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - في نسخة: (واقْتَدِرِ).

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٧) - في نسخة: (ما).

(٨) - في نسخة: (فهو التقوى).

فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ هَذَا فَأَنْتَ عَنْ غَيْرِهِ أَعْجَزُ، وَلَا تَظُنَّ أَنَّكَ تَسْلُمُ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ فِي تَعْلَمِ الْعِلْمِ وَفِي قَلْبِكَ شَيْءٌ مِنَ الْحَسَدِ وَالرِّيَاءِ وَالْعُجْبِ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَهْلِكَاتٌ: شَحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»^(١).

(١) - ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد (٣١٣) عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثٌ مهلكات، وثلاثٌ منجيات، وثلاثٌ كفارات، وثلاثٌ درجات، فأما المهلكات: فَشَحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ، وأما المنجيات: فالعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وحشية الله في السر والعلانية، وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة وإسباغ الوضوء في السُّبُرَاتِ، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام». قال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه: ابن هبة ومن لا يعرف. وذكر الهيثمي في المجمع (٣١٤) عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه قال: «ثلاثٌ كفارات، وثلاثٌ درجات، وثلاثٌ منجيات، وثلاثٌ مهلكات، فأما الكفارات: فإسباغ الوضوء في السُّبُرَاتِ.... وَأَمَّا الْمَهْلِكَاتُ: فَشَحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ». قال: رواه البزار والطبراني في الأوسط ببعضه وقال: «إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مِنَ الْخِيَلَاءِ»، وفيه: زائدة بن أبي الرقاد وزيد الثميري وكلاهما مختلف في الاحتجاج به.

وذكر الهيثمي في المجمع (٣١٥) عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المهلكات ثلاث: إعجاب المرء بنفسه، وشح مطاع، وهوى متبع». وانظره في الحلية (٢١٩/٣).

أَمَّا الْحَسَدُ^(١):

(١) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٤٢٤ - ٤٣٢): في ذم الحسد، اعلم أن الحسد خلقٌ ذميمٌ، مع إضراره بالبدن؛ وإفساده للدين، حتى لقد أمر الله تعالى بالاستعاذة من شره، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ شَرُّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: د]. ونهايت حال ذلك شرًا. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «دب إنيكم داء الأمم قبلكم: البغضاء والحسد، هي الحائقة؛ حائقة الدين، لا حائقة الشعر، والذي نفس محمد بيده، لا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفتشوا السلام بينكم». فأخبر صلى الله عليه وسلم بحال الحسد، وأن التحابب ينفيه، وأن السلام يبعث على التحابب، فصار السلام إذن نافيًا للحسد، وقد جاء كتاب الله تعالى بما يوافق هذا القول. وقال الله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. حكى مجاهد أنَّ معناه: ادفع بالسلام إساءة المسيء.... وقال بعض السلف: الحسد أول ذنب عُصِيَّ الله به في السماء، يعني حسد إبليس لآدم عليه السلام، وأول ذنب عُصِيَّ الله به في الأرض، يعني حسد ابن آدم لأخيه حتى قتله. وقال بعض الحكماء: من رضي بقضاء الله تعالى لم يسخطه أحد، ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد. وقال بعض البلغاء: الناس حاسدٌ ومحمودٌ، ولكل نعمة حسود. وقال بعض الأدباء: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من الحسود؛ نفس دائم، وهم لازم، وقلب هائم... ولو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خلقٌ دنيءٌ، يتوجه نحو الأكفاء والأقارب، ويختص بالمخالط والمصاحب، لكانت الزهادة عنه كرمًا، والسلامة منه مغنمًا، فكيف وهو بالنفس مُضِرٌّ، وعلى الهم مُصِرٌّ، حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف، من غير نكاية في عدو، ولا إضرار بمحمود. وقد قال معاوية رضي الله عنه: ليس في حصال الشر أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود. وقال بعض الحكماء: يكفيك من الحاسد أنه يغم في وقت سرورك. وقيل في منشور الحكم: عقوبة الحاسد من نفسه. وقال الأصمعي: قلت لأعرابي: ما أطول عُمرِكَ؟ قال: تركت الحسد فبقيت. وقال رجلٌ لشريع القاضي: إني لأحسدك على ما أرى من صبرك على الخصوم، ووقوفك على غامض الحكم. فقال: ما نفعك الله بذلك ولا ضرني. وقال عبد الله بن المعتز:

اصبر على كيد الحسو د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وحقيقة الحسد: شدة الأسي على الخيرات تكون للناس الأفاضل، وهو غير المنافسة، وربما غلط قوم فظنوا أن المنافسة في الخير هي الحسد، وليس الأمر على ما ظنوا؛ لأن المنافسة طلب التشبه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم؛ والحسد مصروف إلى الضرر؛ لأن غايته أن يعدم الأفاضل فضله، من غير أن

يصير الفضل له، فهذا الفرق بين المنافسة والحسد، فالمنافسة إذن فضيلة لأنها داعية إلى اكتساب الفضائل. والاعتداء بالأحبار الأفاضل. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المؤمن يغط، والمنافق يحسد»....

واعلم أن دواعي الحسد ثلاثة: أحدها: بغضُ المحسود، فيأسى عليه بفضيلة تظهر، أو منقبة تشكر، فيثير حسداً قد حامر بغضاً، وهذا النوع لا يكون عاماً وإن كان أضرها؛ لأنه ليس يغيض كل الناس. والثاني: أن يظهر من المحسود فضل يعجز عنه الحاسد، فيكره تقدمه فيه، واختصاصه به، فيثير ذلك حسداً لولاه لكتف عنه، وهذا أوسطها، لأنه لا يحسد الأكفاء ومن دنا، وإنما يختص بحسد من علا. وقد يمتزج بهذا النوع ضربٌ من المنافسة، ولكنها مع عجز، فلذلك صارت حسداً. والثالث: أن يكون في الحاسد شحٌ بالفضائل، ويخلُّ بالنعم، وليست إليه فيمنع منها، ولا يده فيدفع عنها، لأنها مواهب قد منحها الله من شاء، فيسخط على الله عز وجل في قضائه، ويحسد على ما منح من عطائه، وإن كانت نعم الله عز وجل عنده أكثر، ومنه عليه أظهر. وهذا النوع من الحسد أعمها وأحبها؛ إذ ليس لصاحبه راحة، ولا لرضاه غاية؛ فإن اقترن بشر وقدرة، كان بوراً وانتقاماً، وإن صادف عجزاً ومهانة كان جهداً وسقاماً. وقال عبد الحميد: المحسود من الهُم كساقى السم، فإذا سرى سمُّه، زال عنه همه.

واعلم أنه بحسب فضل الإنسان، وظهور النعمة عليه، يكون حسداً للناس له؛ فإن كثر فضله كثر حساده، وإن قل قلُّوا؛ لأن ظهور الفضل يثير الحسد، وحدث النعمة يضاعف الكمد، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «استعينوا على قضاء الحوائج بسترها، فإن كل ذي نعمة محسود». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما كانت لله على أحد نعمة إلا وجد لها حاسداً. ولو كان الرجل أقوم من القِدْح لما عدم غامراً. وقد قال الشاعر:

إن يحسبوني فإني غير لائمههم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يحسد

وربما كان الحسد منها على فضل المحسود ونقص المحسود، كما قال أبو تمام الطائي:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يُعرف طيب عرف العود

لولا التخوف للعواقب لم يزل للحاسد النعمسى على المحسود

[دواء الحسد]: فاما ما يستعمله من كان غالباً عليه الحسد، وكان طبعه إليه مائلاً، لينفي عنه ويكفاه، ويسلم من ضرره وعدواه، فأمور هي له حسم، إن صادفها عزم. منها: اتباع الدين في اجتنابه، والرجوع إلى الله عز وجل في نده وآدابه، فيقهر نفسه على مذموم خلقها، وينقلها عن لثيم طبعها.

وإن كان نقل الطباع عسيراً، لكن بالرياضة والتدريج يسهل منها ما استصعب، ويجب منها ما أتعب، وإن تقدم قول القائل: من ربه خلقه كيف يُحلي خلقه! غير أنه إذا عانى تهذيب نفسه، تظاهر بالخلق دون الخلق، ثم بالعادة يصير كالخلق. قال أبو تمام الطائي:

فلم أجِدِ الأخلاق إلا تخلفاً ولم أجد الإفضال إلا تفضلاً

ومنها: العقل الذي يستقيح به من نتائج الحسد ما لا يرضيه، ويستكتف من هجنة مساويه، فيدلل نفسه أنفة، ويقهرها حمية؛ فتدعن لرشدتها؛ وتجيب إلى صلاحها. وهذا إنما يصح لذوي النفس الأبية، والهمة العلية وإن كان ذو الهمة يجلُّ عن دناءة الحسد. وقد قال الشاعر:

أبي له نفسان: نفسٌ زكية ونفسٌ إذا ما خافت الظلم تشمس

ومنها: أن يستدفع ضرره، ويتوقى أثره، ويعلم أن مكانته في نفسه أبلغ، ومن الحسد أبعد؛ فيستعمل الحزم في دفع ما كدّه وأكمدّه؛ ليكون أطيّب نفساً، وأهنأ عيشاً. وقد قيل: العجب لغفلة الحساد، عن سلامة الأجساد! وقد قال الشاعر:

بصيرٌ بأعقاب الأمور كأنما يرى بصواب الرأي ما هو واقع

ومنها: ما يرى من نفور الناس عنه، وبعدهم منه، فيخافهم؛ إما على نفسه من عداوة، أو على عرضه من ملامة، فيتألفهم بمعالجة نفسه، ويراهم إن صلحوا أجدى نفعاً، وأخلص وداً. وقال ابن العميد:

داري جوى بجوى وليس بحازم من يستكف النار بالخلفاء

ومنها: أن يساعد القضاء، ويستسلم للمقدور؛ ولا يرى أن يغالب قضاء الله، ف يرجع مغلوباً، ولا أن يعارضه في أمره، فيرد محروماً مسلوباً ومحزوناً. وقد قال أردشير بن بابك: إذا لم يساعدنا القضاء ساعدناه. وقال محمود الوراق:

قدَّرَ الله كائناً حين يُقضى وروده

قد مضى فيك علمه وانتهى ما يريده

وأخو الحزم حزمته ليس مما يزيده

فأرد ما يكون إن لم يكن ما تريده

فإن أظفرت السعادة بأحد هذه الأسباب، وهدته المرائش إلى استعمال الصواب، سلم من سقامه، وخلص من غرامه، واستبدل بالنقص فضلاً، واعتاض من الذم حمداً، ولمن استنزل نفسه عن مذمة، وصرفها عن لامة، هو أظهر حزمًا، وأقوى عزمًا، ممن كفته النفس جهادها، وأعطته قيادها؛ ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خياركم كل مُقنٍ تواب. -

فَهُوَ مُتَشَعِّبٌ مِنَ الشَّحِّ، فَإِنَّ الْبَخِيلَ هُوَ الَّذِي يَخْلُ بِمَا فِي يَدِهِ عَلَى غَيْرِهِ.

وَالشَّحِيحُ: هُوَ الَّذِي يَخْلُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ (تَعَالَى) ^(١) - وَهِيَ فِي خَزَائِنِ قُدْرَتِهِ (تَعَالَى) ^(٢) لَا فِي خَزَائِنِهِ - عَلَى عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى، فَشَحُّهُ أَعْظَمُ.

[آفات الجسد]: وإن صدته الشقوة عن مراشده، وأصله الحرمان عن مقاصده، فانقاد للطبع اللئيم، وغلب عليه الخلق الذميم، حتى ظهر حسده، واشتد كرده، فقد باء بأربع مذام: إحداهن: حسرات الجسد، وسقام الجسد، ثم لا يجد لحسوته انتهاء، ولا يؤمل لسقامه شفاء. وقال ابن المعتز: الجسد داء الجسد. والثانية: اغتراض المنزل، والخطاط المرتبة؛ لانحراف الناس عنه، ونفورهم منه. وقد قيل في منثور الحكم: الجسد لا يسود. والثالثة: مقت الناس له، حتى لا يجد فيهم حياء، وعداوتهم له، حتى لا يرى فيهم ولياً، فيصير بالعداوة موتوراً، وبالملت مزجوراً، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «شر الناس من يغيض الناس ويغضونه». والرابعة: إسحاق الله تعالى في معارضته، واحتناء الأورار في مخالفته، إذ ليس يرى قضاء الله عدلاً، ولا نعمة من الناس أهلاً؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الجسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». وقال عبد الله ابن المعتز: الحاسد مغناط على من لا ذنب له، يخيل بما لا يملكه، طالب بما لا يجده؛ وإذا بلي الإنسان بحس هذه حاله من حساد النعم وأعداء الفضل، استعاذ بالله من شره، وتوقى مصارع كيده، وتحرز من غوائل حسده، وبعد عن ملاسته وإدانته؛ لعضل دائه، وإعواز دوائه. فقد قيل: حاسد النعمة لا يرضيه إلا زوالها. وقال بعض الحكماء: من ضر بطبعه فلا تأنس بقربه؛ فإن قلب الأعيان صعب المرام. وقال عبد الحميد: أسد تقاربه خير من حسود تراقبه. وقال محمود الوراق:

أعطيت كل الناس من نفسي الرضا إلا الحسود فإنه أعياني
ما إن لي ذنباً إليه علمته إلا تظاهر نعمة الرحمن
وأبى فما يرضيه إلا ذلّي وذهاب أموالي وقطع لساني
فمأسستين بخالقي مولى الورى يكفيني بها من الشيطان

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاث لا يسلم أحدٌ مهنً: الطيرة، وسوء الظن، والجسد؛ فإذا تطيرت فلا ترجع، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغ».

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

وَالْحَسُودُ: هُوَ الَّذِي يَشْقُ عَلَيْهِ إِنْعَامُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ قُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ عِبَادِهِ يَعْلَمُ أَوْ مَالٍ أَوْ مَحَبَّةٍ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، أَوْ حَظٌّ مِنَ الْخُطُوطِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُحِبُّ زَوَالَهَا عَنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ (بِذَلِكَ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ فَهَذَا) ^(١) مُتَّهَى الْخُشْتِ، فَلِذَلِكَ قَالَ (النَّبِيُّ) ^(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ» ^(٣).

وَالْحَسُودُ: هُوَ الْمُعَذِّبُ الَّذِي لَا يُرْحَمُ، وَلَا يَزَالُ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَا تَحْلُو قَطُّ عَنْ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِنْ أَقْرَانِهِ وَمَعَارِفِهِ مِمَّنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ حَسَبٍ، فَلَا يَزَالُ فِي عَذَابٍ دَائِمٍ فِي الدُّنْيَا إِلَى مَوْتِهِ، وَلِعَذَابٍ آخِرَةٍ أَثَدُّ وَأَكْبَرُ، بَلْ لَا يَحْصِلُ الْعَبْدُ إِلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ مَا لَمْ يُحِبَّ لِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ^(٤)، بَلْ يُنْبَغِي أَنْ يُسَاهِمَ الْمُسْلِمِينَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَالْمُسْلِمُونَ كَالْبَيْنَانِ الْوَاحِدِ يَشْدُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَكَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ اشْتَكَى سَائِرُ الْجَسَدِ ^(٥).

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَصَادِفُ هَذَا مِنْ قَلِيلٍ، فَاشْتَغَالِكَ بِطَلَبِ التَّخْلِصِ (عَنِ) ^(٦) الْهَلَاكِ أَهْمٌ مِنْ اشْتَغَالِكَ بِتَوَادِرِ الْفُرُوعِ وَعِلْمِ الْخُصُومَاتِ.
وَأَمَّا الرِّيَاءُ:

(١) - في نسخة: (من ذلك مصلحة وهذا).

(٢) - في نسخة: (رسول الله).

(٣) - أخرجه أبو داود (٤٩٠٣) وابن ماجه (٤٢١٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وبقية: «والصدقة تطفى الخطيئة، كما يطفى الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والصيام حننه من النار» وهو حديث ضعيف.

(٤) - ذكر الهيثمي في المجمع (١٣٦٦٧) عن خالد بن عبد الله القسري، عن أبيه، عن جده، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجده يزيد بن أسد: «أحب للناس ما تحب لنفسك». أخرج أحمد (٧٠/٤، ٧٠ - ٧١) والطبراني في الكبير (٢٣٨/٢٢) وأبو يعلى (٩١١).

(٥) - عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً». أخرجه البخاري (١٢٩/١) و١٦٩/٣ و١٤/٨ والترمذي (١٩٢٨) والنسائي (٧٩/٥). والحميدي (٧٧٢). وانظره في الجامع الصغير (٩١٦٩) بتحقيق شيخنا.

(٦) - في نسخة: (من).

فَهَرُ الشُّرْكَ الْخَفِيِّ، (وَهُوَ) ^(١) أَحَدُ الشُّرُكَيْنِ، وَذَلِكَ طَلَبُكَ (الْمَنْزِلَةَ) ^(٢) فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ لِتَنَالُ بِهَا الْجَاهَ وَالْجِثْمَةَ.

وَحُبُّ الْجَاهِ مِنَ الْهَوَى الْمَتَّبِعِ، وَفِيهِ هَلَكَ أَكْثَرُ النَّاسِ، فَمَا أَهْلَكَ النَّاسُ إِلَّا النَّاسُ. (وَلَوْ) ^(٣) أَنْصَفَ النَّاسَ حَقِيقَةً لَعَلِمُوا أَنَّ أَكْثَرَ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْعِبَادَاتِ فَضْلاً عَنْ أَعْمَالِ الْعَادَاتِ، لَيْسَ يَحْمِلُهُمْ عَلَيْهَا إِلَّا مُرَاءَاةُ النَّاسِ. وَهِيَ مُحِيطَةٌ لِلْأَعْمَالِ. كَمَا وَرَدَ فِي الْحَبَرِ: «إِنَّ الشَّهِيدَ يُؤْمَرُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اسْتَشْهَدْتُ فِي سَبِيلِكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يَقَالَ: فَلَا شَجَاعَ، وَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ أَجْرُكَ» ^(٤). (وَكَذَلِكَ) ^(٥) يُقَالُ لِلْعَالِمِ وَالْحَاجِّ (وَالْقَارِيءِ) ^(٦).

(١) - في نسخة: (هو).

(٢) - في نسخة: (منزلة).

(٣) - في نسخة: (فلو).

(٤) - أخرجه مسلم (١٩٠٥) والترمذي (٢٣٨٣) والنسائي (٣١٣٧) عن سليمان بن يسار قال: تفرق الناس عن أبي هريرة فقال له قائل من أهل الشام: أيها الشيخ، حدثني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: نعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أول الناس يُقْضَى لَهُمْ يوم القيامة ثلثة: رجلٌ استشهد فأُتي به فعرفه نعمة فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت ليقال: فلان جريءٌ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتي به فعرفه نعمة فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم وقرأت القرآن ليقال قارئٌ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأُتي به فعرفه نعمة فعرفها فقال: ما علمت فيها؟ قال: ما تركت في سبيل تجب - قال أبو عبد الرحمن: ولم أفهم تجب - كما أردت أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال: كذبت ولكن ليقال إنه جوادٌ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه فأُلقي في النار». وانظره في جامع الأصول (٢٦٤٥).

(٥) - في نسخة: (وكذا).

(٦) - في نسخة: (والغازي).

وَأَمَّا الْعُجْبُ ^(١) وَالْكِبَرُ ^(٢) وَالْفَخْرُ ^(٣): فَهَرُ الذَّاءِ الْغُضَالُ، وَهُوَ نَظَرُ الْعَبْدِ إِلَى نَفْسِهِ بِعَيْنِ (الْعِزِّ) ^(٤) وَالْإِسْتِعْظَامِ، (وَالِإِ) ^(٥) غَيْرِهِ بِعَيْنِ الْإِحْتِقَارِ (وَالذَّلِّ) ^(٦).

(١) - قال الإمام الماوردي في أدب الدين والدنيا (ص ٣٧٥ - ٣٧٧): وَأَمَّا الإِعْجَابُ: فيخفي الخاسن، ويظهر المساويء، ويكسب المدام، ويصد عن الفضائل. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الإعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب. وقال بُزْرَجِيهَر: النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها: التواضع. والبلاء الذي لا يرحم صاحبه منه: العُجب. وقال بعض الحكماء: عجب المرء بنفسه أحد خُصائد عقله. وليس لما يكسبه الكبر من المقت حدٌ، ولا لما ينتهي إليه العجب من الجهل غاية، حتى إنه ليطفئ من الخاسن ما انتشر، ويسلب من الفضائل ما اشتهر. وناهيك بسيرة تُحبط كل حسنة، وعمدة تهدم كل فضيلة، مع ما يثوره من حنق، ويكسبه من حقير. حكى عمر بن حفص قال: قيل للحجاج: كيف وجدت منزلك بالعراق؟ قال: خير منزل، لو كان الله بلغني قتل أربعة، فتقررت إليه بدمائهم. قيل: ومن هم؟ قال: مُقاتل بن سميع، ولي سحستان، فأتاه الناس، فأعطاهم الأموال، فلما غزل دخل مسجد البصرة، فبسط الناس له أردتهم، فمشى عليها، وقال لرجل يماشيه: مثل هذا فليعمل العاملون. وعبد الله بن زياد بن ظبيان التيمي: حزب أهل البصرة أمرٌ، فحطبت خطبة أوجز فيها، فنادى الناس من أعراس المسجد: أكثر الله فينا مثلك! فقال: لقد كلّفتم الله شططاً. ومعيد بن زُرارة: كان ذات يوم جالساً في طريق، فمرت به امرأة، فقالت له: يا عبد الله، كيف الطريق إلى موضع كذا؟ فقال: يا هُنا، مثلي يكون من عبيد الله! وأبو سَمَالِ الأسدي: أضلّ راحلته، فالتمسها الناس، فلم يجدها، فقال: والله لئن لم يرد عليّ راحلتي لا صليت له صلاة أبداً؛ فالتمسها الناس، فوجدوها، فقالوا له: قد رد الله راحلتك فصلّ، فقال: إن يميتي يمين مُصِرٍّ. فانظر إلى هؤلاء، كيف أفضى بهم العُجب إلى حمق، صاروا به نكالا في الأولين، ومثلاً في الآخرين. ولو تصور المعجب والمتكبر ما فطر عليه من جبلة، وبلي به من مهنة، خفض جناح نفسه، واستبدل لنا من عُتوه، وسكوناً من نفوره. وقال الأحنف بن قيس: عجبٌ لمن جرى في مجرى البول مرتين، كيف يتكبر؟... وأحق من كان للكبر مجانياً، وللإعجاب مبايناً، من جل في الدنيا قدره، وعظم فيها خطره، لأنه قد يستقل بعالي همته كل كثير، ويستصغر معها كل كبير. وقال محمد بن علي: لا ينبغي للشريف أن يرى شيئاً من الدنيا لنفسه خطيراً، فيكون بها تائهاً. وقال ابن السماك لعيسى بن موسى: تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك. وكان يقال: اسمان متضادان بمعنى واحد: التواضع والشرف. -

وقال (ص ٣٧٨ - ٣٧٩): [أسباب الإعجاب]: وللإعجاب أسباب: فمن أقوى أسبابه كثرة مدح المتقربين، وإطراء المتسلقين، الذين جعلوا النفاق عادةً ومكسباً، والتملق خديعةً وملعباً، فإذا وجدوه مقبولاً في العقول الضعيفة، أغروا أربابها باعتقاد كذبهم، وجعلوا ذلك ذريعة إلى الاستهزاء بهم. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلاً يركي رجلاً فقال له: «قطعت مطاء، لو سمعها ما أفلح بعدها». وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المدح ذبح. وقال ابن المقفع: قابل المدح كمداح نفسه. وقال بعض الحكماء: من رضي أن يمدح بما ليس فيه، فقد أمكن الساحر منه. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إياكم والتمادح، فإنه الذبيح، إن كان أحدكم مادحاً أحياه لا محالة، فليقل أحسب ولا أركي على الله أحداً». وقيل فيما أنزل الله عز وجل من الكتب السالفة: عجب لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح؟ وعجب لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب؟...

(٢) - قال الإمام الماوردي في أدب الدين والدنيا (ص ٣٧٣ - ٣٧٥): أما الكبر: فيكسب المقت، ويُلْهِى عن التألف، ويوغر صدور الإخوان، وحسبك بذلك سوءاً عن استقصاء ذمه، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعنه العباس: «أنهاك عن الشرك بالله والكبر؛ فإن الله يمتحنك بهما». وقال أردشير ابن بابك: ما الكبر إلا فضل حُمق، لم يدر صاحبه أين يذهب به، فيصرفه إلى الكبر، وما أشبه ما قال بالحق. وحكي أن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها، ويمشي الخيلاء، فقال: يا أبا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟ فقال المهلب: أما تعرفني؟ قال: بلى أعرفك: أولئك نطفة مذرة، وأتراك حيفة قنذرة، وحشوك فيما بين ذلك بولٌ وعذيرة. فأخذ ابن عوف هذا الكلام، فنظمه شعراً فقال:

عجبت من معجب بصورته وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غير بعد حسن صورته يصير في اللحى حيفة قنذرة
وهو على تيهه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل العذيرة

وقد كان المهلب أفضل من أن تُخدع نفسه بهذا الجواب، ولكنها زلة من زلات الاسترسال، وحظيئة من خطايا الإدلال. فأما الحمق الصريح، والجهل القبيح، فهو ما حُكي عن نافع بن جبير ابن مطعم، أنه جلس في حلقة العلاء بن عبد الرحمن الحرقفي وهو يقرئ الناس، فلما فرغ قال: أتدرون لم جئتم إليكم؟ قالوا: جئنا لتستمع، قال: لا، ولكن أردت أن أتواضع لله بالجلوس إليكم. فهل يُرجى من مثل هذا فضل، أو ينفع فيه عذل، وقد قال ابن المعتز: لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي الكمال، استعانوا بالكبر، ليعظم صغيراً، ويرفع حقيراً، وليس بفاعل.

وَيَبْجِثُهُ عَلَى اللَّسَانِ أَنْ يَقُولَ: أَنَا وَأَنَا، كَمَا قَالَ إِبْلِيسُ لِلْعَيْنِ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].
وَتَمَرَّتْهُ فِي الْمَجَالِسِ: التَّرَفُّعُ وَالتَّقَدُّمُ، وَطَلَبُ التَّصَدُّرِ (فِيهَا وَ) ^(١) فِي الْمُحَاوَرَةِ، وَالْأَسْتِنْكَافِ مِنْ أَنْ يُرَدَّ كَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وَالْمُتَكَبِّرُ: هُوَ الَّذِي إِنْ وُعِظَ أَنْفَ أَوْ وُعِظَ عَنَفٌ ^(٢)، (فَكُلُّ) ^(٣) مَنْ رَأَى نَفْسَهُ خَيْرًا مِنْ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ، بَلْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْخَيْرَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي دَارِ الْآخِرَةِ وَذَلِكَ غَيْبٌ، وَهُوَ مُوقِفٌ عَلَى الْخَاتِمَةِ، فَأَعْتَقَ ذَلِكَ فِي نَفْسِكَ أَنَّكَ

وقال (ص ٣٧٧ - ٣٧٨): وللکبر أسباب: فمن أقوى أسبابه علو اليد، ونفوذ الأمر، وقلة مخالطة الأكفاء. وحكي أن قوماً مشوا خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أبعدا عني خفي نعالكم، فإنها مفسدة لقلوب نوکی الرجال. ومشوا خلف ابن مسعود فقال: ارجعوا؛ فإنها زلة للتابع، وفئة للمتبع.

وروي قيس بن أبي حازم أن رجلاً أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، فأصابته رعدة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «هون عليك، فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد». وإنما قال ذلك صلى الله عليه وسلم حسماً لمواد الكبر، وقطعاً لذرائع الإعجاب، وكسر لأشهر النفس، وتذليلاً لسطوة الاستعلاء. ومثل ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه نادى: الصلاة جامعة؛ فلما اجتمع الناس صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أيها الناس، لقد رأيته أرمي على حالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي القبضة من الثمر والزبيب، فأظل اليوم وأي يوم؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف: والله يا أمير المؤمنين! ما زدت على أن قصرت بنفسك. فقال له عمر رضي الله عنه: ويحك يا ابن عوف! إنني خلوت، فحدثني نفسي، فقالت: أنت أمير المؤمنين، فمن ذا أفضل منك، فأردت أن أعرفها نفسها.

(٣) - في نسخة: (العزة).

(٤) - في نسخة: (ونظره إلى).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في النص.

(٣) - في نسخة: (وكل).

خَيْرٌ مِنْ غَيْرِكَ جَهْلٌ مُحْضٌ، بَلْ يُبْغِي أَنْ لَا تَنْظُرَ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا وَتَرَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ، وَأَنَّ الْفَضْلَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ.

فَإِنْ رَأَيْتَ صَغِيرًا قُلْتَ: هَذَا لَمْ يُعْصِ اللَّهَ وَأَنَا عَصَيْتُهُ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي.

وَأِنْ رَأَيْتَ كَبِيرًا قُلْتَ: هَذَا قَدْ عَيَّدَ اللَّهُ قُبْلِي فَلَا شَكَّ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنِّي.

وَأِنْ كَانَ عَالِمًا قُلْتَ: هَذَا قَدْ أُعْطِيَ مَا لَمْ أُعْطَ وَبَلَغَ مَا لَمْ أُبْلَغْ وَعَلِمَ مَا جَهِلْتُ، فَكَيْفَ أَكُونُ مِثْلَهُ.

وَأِنْ كَانَ جَاهِلًا قُلْتَ: هَذَا (قَدْ) عَصَى اللَّهَ بِجَهْلٍ وَأَنَا عَصَيْتُهُ بِعِلْمٍ، فَحُجَّةُ اللَّهِ عَلَيَّ أَكْثَرُ، وَمَا أَذْرِي بِمِ يُحْتَمُ لِي وَبِمِ يُحْتَمُ لَهُ.

وَأِنْ كَانَ كَافِرًا قُلْتَ: لَا أَذْرِي عَسَى أَنْ يُسْلِمَ وَيُحْتَمَ لَهُ بِخَيْرِ الْعَمَلِ، وَيَتَسَلَّ بِإِسْلَامِهِ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا تَتَسَلَّ الشُّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ.

وَأَمَّا أَنَا - وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ - فَعَسَى أَنْ يُضِلَّنِي اللَّهُ فَأَكْفُرَ فَيُحْتَمَ لِي بِشَرِّ الْعَمَلِ، فَيَكُونُ (هُوَ غَدًا) (١) مِنَ الْمُفْرَرِينَ (وَأَكُونُ أَنَا مِنَ الْمُعَذِّبِينَ) (٢).

فَلَا يَخْرُجُ الْكَبِيرُ مِنْ قَلْبِكَ إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ أَنَّ الْكَبِيرَ مَنْ هُوَ كَبِيرٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ مَوْقُوفٌ عَلَى الْحَاطَةِ وَهِيَ مَشْكُوكٌ فِيهَا، فَيَشْغَلُكَ خَوْفُ الْحَاطَةِ (عَنْ) (٣) أَنْ تَتَكَبَّرَ - مَعَ الشَّكِّ فِيهَا - عَلَى عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَقِينُكَ وَإِيمَانُكَ فِي الْحَالِ لَا يُنَاقِضُ تَجَرُّبُكَ التَّغَيَّرَ فِي الْإِسْتِقْبَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ مُقَلِّبُ الْقُلُوبِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ.

وَالْأَخْيَارُ فِي الْخُسْنِ وَالْكَبِيرُ وَالرِّيَاءُ وَالْعَجَبُ كَثِيرَةٌ، وَيَكْفِيكَ فِيهَا حَدِيثٌ وَاحِدٌ جَامِعٌ، فَقَدْ رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ رَجُلٍ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاذٍ: يَا مُعَاذُ حَدَّثَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَبَكَى مُعَاذٌ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَسْكُتُ

ثُمَّ سَكَتَ، ثُمَّ قَالَ: (وَأَشْرَفَاهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِلَى لِقَائِهِ، ثُمَّ قَالَ) (١): سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِي: «يَا مُعَاذُ إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ إِنْ أَتَيْتَ حَفِظْتَهُ نَفَعَكَ عِنْدَ اللَّهِ، وَإِنْ أَتَيْتَ ضَيَّعْتَهُ وَلَمْ تَحْفَظْهُ انْقَطَعَتْ حُجَّتُكَ عِنْدَ اللَّهِ (تَعَالَى)» (٢) يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَا مُعَاذُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ سَبْعَةَ أَمْلَاقٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَجَعَلَ لِكُلِّ سَمَاءٍ مِنْ السَّبْعِ مَلَكًا يَوَاقِبُ عَلَيْهَا، فَتَصْنَعُهُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ حِينَ يُصْبِحُ إِلَى حِينَ يُمَسِي، لَهُ نُورٌ كَنُورِ الشَّمْسِ، حَتَّى إِذَا (صَعِدَتْ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ) (٣) الدُّنْيَا زَكَّتَهُ (وَكَثَّرَتْهُ) (٤)، فَيَقُولُ الْمَلَكُ (الْمُؤَكَّلُ بِهِ) (٥) لِلْحَفَظَةِ: اضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، أَنَا صَاحِبُ الْغِيَّةِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعَ مِنْ اغْتَابِ النَّاسِ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي. قَالَ: ثُمَّ تَأْتِي الْحَفَظَةُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ مِنْ أَعْمَالِ الْعَبْدِ (لَهُ نُورٌ) (٦) فَتَرْكِبُهُ وَتَكْثُرُهُ حَتَّى تَبْلُغَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلَكُ الْمُؤَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ عَرْضَ الدُّنْيَا (أَنَا مَلَكُ الْفَخْرِ) (٧) أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعَ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ يَفْتَحِرُ عَلَى النَّاسِ فِي (مَجَالِسِهِمْ) (٨). قَالَ: وَتَصْنَعُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَنْتَهِجُ نُورًا مِنْ صَدَقَةٍ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ قَدْ أُعْجِبَ الْحَفَظَةُ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلَكُ الْمُؤَكَّلُ (بِهَا) (٩): قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ أَنَا مَلَكُ الْكِبَرِ أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - في نسخة: (طعلت به إلى سماء).

(٤) - في نسخة (فكثرت).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٨) - في نسخة: (بجالسهم، أنا ملك الفخر).

(٩) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (غداً هو).

(٣) - في نسخة: (وأنا أكون من المعذبين).

(٤) - في نسخة: (على).

لَا أَدْعُ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ. قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَزْهُو كَمَا يَزْهُو الْكَوْكَبُ الدَّرِّيُّ (وَلَهُ) (١) دَوِيٌّ مِنْ تَسْنِيحِ وَصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُؤَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَظَهْرَهُ وَبَطْنِهِ، أَنَا صَاحِبُ الْعُجْبِ أَمْرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعُ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَدْخَلَ الْعُجْبَ فِيهِ. قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ كَأَنَّهُ الْعُرُوسُ الْمَرْفُوقَةُ إِلَى بَعْلِهَا، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُؤَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَاحْمِلُوهُ (عَلَى) (٢) عَاتِقِهِ، أَنَا مَلِكُ الْحَسَدِ، إِنَّهُ كَانَ يَحْسَدُ مَنْ يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ يَأْخُذُ فَضْلًا (مِنْ الْعِبَادَةِ) (٣) كَانَ يَحْسَدُهُمْ وَيَقَعُ فِيهِمْ، أَمْرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعُ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي. قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ لَهُ ضَوْءٌ كَضَوْءِ (الشَّمْسِ) (٤) مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَجِهَادٍ وَصِيَامٍ، فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُؤَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، إِنَّهُ كَانَ لَا يَرْحَمُ إِنْسَانًا قَطُّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَصَابَهُ بَلَاءٌ أَوْ مَرَضٌ، بَلْ كَانَ يَشْتُمُ بِهِمْ، أَنَا مَلِكُ الرَّحْمَةِ أَمْرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعُ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي. قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ (صَوْمٍ وَصَلَاةٍ) (٥) وَنَفَقَةٍ وَجِهَادٍ وَوَرَعٍ، لَهُ دَوِيٌّ كَدَوِي النَّحْلِ، وَضَوْءٌ كَضَوْءِ الشَّمْسِ، مَعَهُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ مَلِكٍ فَيُجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمُؤَكَّلُ بِهَا: قِفُوا وَاضْرِبُوا

(١) - في نسخة: (له).

(٢) - في نسخة: (واجعلوه على).

(٣) - في نسخة: (على العباد).

(٤) - في نسخة: (القمر).

(٥) - في نسخة: (صلاة وصيام).

بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، (وَاضْرِبُوا) (١) جَوَارِحَهُ وَأَقْفُلُوا (بِهِ) (٢) عَلَى قَلْبِهِ، أَنَا صَاحِبُ الذِّكْرِ (فِيَنِي) (٣) أَحْجُبُ عَنْ رَبِّي كُلَّ عَمَلٍ لَمْ يُرِدْ بِهِ وَجْهَ رَبِّي، (إِنَّهُ) (٤) إِنَّمَا أَرَادَ بِعَمَلِهِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى، إِنَّهُ أَرَادَ بِهِ رَفْعَةً عِنْدَ الْفُقَهَاءِ، وَذِكْرًا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ، وَصِيًّا فِي الْمَدَائِنِ، أَمْرَنِي رَبِّي أَنْ لَا أَدْعُ عَمَلَهُ يُجَاوِزُنِي إِلَى غَيْرِي، وَكُلُّ عَمَلٍ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ تَعَالَى (٥) خَالِصًا فَهُوَ رِيَاءٌ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلَ الْمُرَائِي. قَالَ: وَتَصْعَدُ الْحَفَظَةُ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَخُلُقٍ حَسَنٍ وَصَمْتٍ وَذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، (فَتَشِيْعُهُ) (٦) مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ حَتَّى يَقْطَعُوا (بِهِ) (٧) الْحُجُبَ كُلَّهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيَقْفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ (وَيَشْهَدُونَ) (٨) لَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُخْلِصِ لِلَّهِ تَعَالَى، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنْتُمْ الْحَفَظَةُ عَلَى عَمَلِ عَبْدِي، وَأَنَا الرَّقِيبُ عَلَى (مَا فِي) (٩) قَلْبِهِ، إِنَّهُ لَمْ يُرِدْنِي بِهَذَا الْعَمَلِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ غَيْرِي فَعَلَيْهِ لُعْنَتِي، فَيَقُولُ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهَا: عَلَيْهِ لُعْنَتُكَ وَلُعْنَتُنَا، (فَتَلْعَنُهُ) (١٠) السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، فَبُكِيَ مُعَاذٌ (وَانْتَحَبَ) (وَانْتَحَبَا) شَدِيدًا (و) (١١) قَالَ مُعَاذٌ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا مُعَاذٌ فَكَيْفَ لِي

(١) - في نسخة: (واضربوا به)

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - في نسخة: (وتشييعه).

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٨) - في نسخة: (يشهدون).

(٩) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(١٠) - في نسخة: (وتلعنه).

(١١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(بِإِنِّجَاةٍ وَالْخَلَاصِ مِنْ ذَلِكَ؟) ^(١) قَالَ: اقْتَدِ بِي، وَإِنْ كَانَ فِي عَمَلِكَ نَقْصٌ، يَا مُعَاذُ: حَافِظْ عَلَى لِسَانِكَ مِنَ الْوَقِيعَةِ فِي إِخْوَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ (خَاصَّةً) ^(٢)، وَاحْمِلْ ذُنُوبَكَ عَلَيْكَ وَلَا تَحْمِلْهَا عَلَيْهِمْ، وَلَا تُزَكِّ نَفْسَكَ (بِذَمِّهِمْ) ^(٣)، وَلَا تَرْفَعْ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ. وَلَا تُدْخِلْ عَمَلَ الدُّنْيَا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ، (وَلَا تُرَاءَ بِعَمَلِكَ) ^(٤)، وَلَا تَتَكَبَّرْ فِي مَجْلِسِكَ لِكَيْ يَحْذَرَ النَّاسُ مِنْ سُوءِ خُلُقِكَ، وَلَا تُنَاجِ رَجُلًا وَعِنْدَكَ آخَرُ، وَلَا تَتَعَطَّمْ عَلَى النَّاسِ فَتَقْطِعَ عَنْكَ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَا تَمَزِقِ النَّاسَ (بِلِسَانِكَ) ^(٥) فَتَمَزِقَكَ كِلَابُ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشِطًا﴾ [النازعات: ٢] هَلْ تَدْرِي مَا هُنَّ يَا مُعَاذُ؟ قُلْتُ: (مَا هِيَ) ^(٦) بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: كِلَابٌ فِي النَّارِ تَنْشُطُ اللَّحْمَ مِنَ الْعَظْمِ، قُلْتُ: بِأَبِي (أَنْتَ وَأُمِّي) ^(٧) يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يَطِيقُ هَذِهِ الْخِصَالَ وَمَنْ يَنْجُو مِنْهَا؟ قَالَ: يَا مُعَاذُ: إِنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ عَلَى مَنْ يَسْرُهُ اللَّهُ (تَعَالَى) ^(٨) عَلَيْهِ، (إِنَّمَا يَكْفِيكَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، فَإِذَا أَنْتَ يَا مُعَاذُ قَدْ سَلِمْتَ) ^(٩) «^(١٠)». قَالَ خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ: فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تِلَاوَةً لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مِنْ مُعَاذٍ لِهَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ.

(١) - في نسخة: (بالخلاص والنجاة).

(٢) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٣) - في نسخة: (وتذمهم).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٦) - في نسخة: (ما هن).

(٧) - في نسخة: (وأُمِّي أَنْتَ).

(٨) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٩) - ما بين: () زياد من نسخة.

(١٠) - أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات: (١٥٤/٢ - ١٦١) وقال: إنه موضوع على رسول

الله صلى الله عليه وسلم ولقد أبدع الذي وضعه واحترأ على الشريعة. والسيوطي في اللآلئ المصنوعة

فَتَأَمَّلْ أَيُّهَا الرَّاعِبُ فِي الْعِلْمِ هَذِهِ الْخِصَالَ.

وَأَعْلَمْ: أَنَّ أَكْثَرَ الْأَسْبَابِ فِي رُسُوحِ هَذِهِ الْخَبَائِثِ فِي الْقُلُوبِ طَلَبُ الْعِلْمِ لِأَجْلِ الْمُبَاهَاةِ وَالْمُنَافَسَةِ، فَالْعَامِيُّ يَمْعُزِلُ عَنْ أَكْثَرِ هَذِهِ الْخِصَالَ، وَالْمُتَفَقِّهُ مُسْتَهْدِفٌ لَهَا وَهُوَ (مُتَعَرِّضٌ) ^(١) لِلْهَلَاكِ بِسَبَبِهَا، فَانْظُرْ أَيُّ أُمُورِكَ أَهَمُّ؟ (اتَّعَلَّمْ) ^(٢) كَيْفِيَّةَ الْحَذَرِ مِنْ هَذِهِ الْمُهْيِكَاتِ، وَتَشْتَغِلْ بِإِصْلَاحِ قَلْبِكَ وَعِمَارَةِ آخِرَتِكَ، أَمْ الْأَهَمُّ أَنْ تَخْرُصَ مَعَ الْخَائِضِينَ فَتَطْلُبَ الْعِلْمَ مَا هُوَ سَبَبُ زِيَادَةِ الْكِبَرِ وَالرِّيَاءِ وَالْحَسَدِ وَالْعُجْبِ حَتَّى تَهْلِكَ مَعَ أَهْلَائِكَيْنِ؟.

وَأَعْلَمْ: أَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ الثَّلَاثَ مِنْ أُمَهَاتِ خَبَائِثِ الْقُلُوبِ، وَلَهَا مَغْرَسٌ وَاجِدٌ وَهُوَ حُبُّ الدُّنْيَا، وَلِذَلِكَ قَالَ (النَّبِيُّ) ^(٣) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ» ^(٤).

وَمَعَ هَذَا فَالدُّنْيَا مَرْعَةٌ لِلْآخِرَةِ، فَمَنْ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا بِقَدَرِ الضَّرُورَةِ (لِيَسْتَعِينُ) ^(٥) بِهِ عَلَى الْآخِرَةِ، فَالدُّنْيَا مَرْعَتُهُ، وَمَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا لِيَتَنَعَّمَ بِهَا فَالدُّنْيَا مَهْلِكُهُ.

في الأحاديث الموضوعية: (٣٣٣/٢ - ٣٣٨). وابن عراق في تنزيه الشريعة المرفوعة: (٢٨٧/٢ - ٢٨٩) رقم (٢٧) وقال: وذكره الحافظ المنذري في ترغيبه (٧٣/١) خرجاً من الزهد لابن المبارك وأشار إلى بعض طرقه المذكورة هنا وغيرها ثم قال: وبالجملة فآثار الوضع ظاهرة عليه في جميع طرقه وبجميع ألفاظه والله تعالى أعلم.

(١) - في نسخة: (معرض).

(٢) - في نسخة: (أن تتعلم).

(٣) - في نسخة: (رسول الله).

(٤) - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٠١) عن الحسن رضي الله عنه.

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان (١٠٤٥٨) والزهد (٢٤٨) عن سفيان بن سعيد قال: كان عيسى عليه السلام يقول: «حب الدنيا أصل كل خطيئة، والمال فيه داء كبير. قالوا: وما دأوه، قال: لا يسلم من الفخر ولا الخيلاء. قالوا: فإن سلم يشغله إصلاحه عن ذكر الله عز وجل». وقال العجلوني (١٠٩٩): ورواه... أبو نعيم.

(٥) - في نسخة: (يستعين).

القِسْمُ الثَّالِثُ الْقَوْلُ فِي آدَابِ الصُّحْبَةِ وَالْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْخَالِقِ (عَزَّ وَجَلَّ) ^(١) وَمَعَ الْخَلْقِ

اعْلَمْ: أَنَّ صَاحِبِكَ الَّذِي لَا يُفَارِقُكَ فِي حَضْرِكَ وَسَفَرِكَ وَنَوْمِكَ وَيَقْفُظُكَ، بَلْ فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ، هُوَ رَبُّكَ وَسَيِّدُكَ مَوْلَاكَ وَخَالِقُكَ، وَمَهْمَا ذَكَرْتُهُ فَهُوَ جَلِيسُكَ، إِذْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي» ^(٢).
وَمَهْمَا انْكَسَرَ قَلْبُكَ حَزَنًا عَلَى تَقْصِيرِكَ فِي حَقِّ دِينِكَ، فَهُوَ صَاحِبُكَ وَمَلَأَ رِمْلَكَ، إِذْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِي» ^(٣).

فَهَذِهِ بُدْءُ سِيرَةٍ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمِ التَّقْوَى، وَهِيَ بَدَايَةُ الْهِدَايَةِ، فَإِنَّ حَرَبَتَ (بِهَا) ^(٤) (نَفْسَكَ) ^(٥) وَطَاعَتَكَ عَلَيْهَا فَعَلَيْكَ بِكِتَابِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ لِتَعْرِفَ كَيْفِيَّةَ الْوُصُولِ إِلَى بَاطِنِ التَّقْوَى، فَإِذَا عَمَرْتَ بِالتَّقْوَى بَاطِنَ قَلْبِكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَرْتَفِعُ الْحُجُبُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ، وَتُنْكَشِفُ لَكَ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ. وَتَتَفَحَّرُ مِنْ قَلْبِكَ بِنَابِيعِ (الْحِكْمِ) ^(٦)، وَتَتَضَيِّحُ لَكَ أَسْرَارُ الْمُلُوكِ وَالْمَكُوتِ، وَيَتَيَسَّرُ لَكَ مِنَ الْعُلُومِ مَا تَسْتَحْتَرُّ بِهِ هَذِهِ الْعُلُومُ الْمُحَدَّثَةُ، الَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا ذِكْرٌ فِي زَمَنِ انْصِحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالتَّابِعِينَ.

وَأِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ الْعِلْمَ مِنَ الْقَيْلِ وَالْقَالِ وَالْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ، فَمَا أَعْظَمَ مُصِيبَتِكَ وَمَا أَطْوَلَ نَعَبَتِكَ، وَمَا أَعْظَمَ حِرْمَانَتَكَ وَخُسْرَانَتَكَ! فَاعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا الَّتِي تَطْلُبُهَا بِالذِّينِ لَا تَسْلُمُ لَكَ، وَالْآخِرَةُ تُسَلِّبُ مِنْكَ، (فَمَنْ) ^(٧) طَلَبَ الدُّنْيَا بِالذِّينِ حَسِرَ هُمَا جَمِيعًا، وَمَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا لِلذِّينِ رَحِمَهُمَا جَمِيعًا.

فَهَذِهِ جُمْلُ الْهِدَايَةِ إِلَى بَدَايَةِ الطَّرِيقِ فِي مُعَامَلَتِكَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى بِإِدَاءِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ (نَوَاهِيهِ) ^(٨).

وَأُشِيرُ عَلَيْكَ الْآنَ بِجُمْلٍ مِنَ الْأَدَابِ لِتَوَاحِدَ بِهَا نَفْسَكَ (بِهَا) ^(٩) فِي مُحَالَطَتِكَ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَصُحْبَتِكَ مَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا.

(١) - في نسخة: (سبحانه).
(٢) - أورده السيوطي في الدرر المنتثرة (٢٤) والسخاوي في المقاصد الحسنة (١٨٦). وانظره في تمييز الطبيب من الخبيث (٢٣٢) وأسنى المطالب (٣٨٧). وقال العجلوني في كشف الخفاء (٦١١): رواه الذيلمي بلا سند عن عائشة مرفوعاً. قلت: لم أجده في مسند الفردوس.
أخرج البيهقي في شعب الإيمان (٦٨٠) عن عطاء بن أبي مروان أبي مصعب الأسلمي قال: حدثني أبي، عن كعب قال: قال موسى عليه السلام: «يا رب أقرّب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فقبل له: يا موسى، أنا جليس من ذكرني. فقال: إني أكون على حال أجلك عنها. قال: ما هي يا موسى؟ قال: عند الغائط والجناية. قال: اذكرني على كل حال».

وأخرج أيضاً (٦٨١) عن ابن عباس قال: وفد موسى إلى طور سيناء قال: «يا رب أيُّ عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني».

(٣) - انظره في الأسرار المرفوعة (١١٧ و ٣٧٦) والمقاصد الحسنة (١٨٨) و تمييز الطبيب من الخبيث (٢٣٤) وأسنى المطالب (٣٨٩). وقال العجلوني في كشف الخفاء: (٦١٤) قال في المقاصد: ذكره في البداية الغزالي، وقال القاري عقبه: ولا يخفى أن الكلام في هذا المقام لم يبلغ الغاية، قلت: وتماه: «وأنا عند المدرسة قلوبهم لأجلي». ولا أصل لهما في المرفوع. انتهى.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (نفسك فيها).

(٣) - في نسخة: (الحكمة).

(٤) - في نسخة: (ومن).

(٥) - في نسخة: (مناهي).

(٦) - ما بين: () زيادة من نسخة.

فَلَوْ عَرَفْتَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ لَاتَّخَذْتَهُ صَاحِبًا وَتَرَكْتَ النَّاسَ جَانِبًا، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِكَ فَإِنَّكَ أَنْ تُخْلِيَ لِيْلِكَ وَنَهَارَكَ عَنْ وَقْتٍ تَخْلُو فِيهِ لِمَوْلَاكَ، وَتَتَلَذَّذُ مَعَهُ بِمُتَاجَاتِكَ، وَعِنْدَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ آدَابَ الصُّحْبَةِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى.

[آدَابُ الصُّحْبَةِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى]: وَأَدَابُهَا:

- ١- إِطْرَاقُ الرَّأْسِ، وَغَضُّ الطَّرْفِ.
- ٢- وَحْمَعُ الْهَمِّ.
- ٣- وَدَوَامُ الصَّمْتِ^(١).
- ٤- وَسُكُونُ الْحَوَارِجِ.
- ٥- وَمِبَادَرَةُ الْأَمْرِ.
- ٦- وَاجْتِنَابُ النَّهْيِ.
- ٧- وَقِلَّةُ الِاعْتِرَاضِ عَلَى الْقَدْرِ.
- ٨- وَدَوَامُ الذِّكْرِ.
- ٩- وَمُلَازِمَةُ الْفِكْرِ.
- ١٠- وَإِثْقَارُ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ.
- ١١- وَالْإِيَّاسُ عَنِ الْخَلْقِ.
- ١٢- وَالْخُضُوعُ تَحْتَ الْهَيْبَةِ.
- ١٣- وَالْإِنْكِسَارُ تَحْتَ الْحَيَاءِ.
- ١٤- وَالسُّكُونُ عَنْ حِيلِ الْكَسْبِ ثِقَةً بِالضَّمَانِ^(٢)؛
- ١٥- وَالتَّوَكُّلُ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ (تَعَالَى)^(٣) مَعْرِفَةً بِحُسْنِ الْإِخْتِيَارِ.

(١) - متمثلاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت». أخرجه البخاري (٨٤/١) ومسلم (١١٥٣) عن أبي شريح الخزاعي. وذكره السيوطي في حسن السميت في الصمت (٢٩).

(٢) - أي: بضمان الله تعالى لك في رزقك. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦).

وَهَذَا كُلُّهُ يُبْعَى أَنْ يَكُونَ شِعَارَكَ فِي جَمِيعِ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، (فَإِنَّهَا)^(١) آدَابُ الصُّحْبَةِ مَعَ صَاحِبٍ لَا يُفَارِقُكَ، وَالْخَلْقُ يُفَارِقُونَكَ فِي بَعْضِ أَوْقَاتِكَ^(٢).

[آدَابُ الْعَالِمِ]:

وَأِنْ كُنْتَ عَالِمًا فَآدَابُ^(٣) (الْعَالِمِ)^(٤):

- ١- الْإِحْتِمَالُ.
- ٢- وَلُزُومُ الْحِلْمِ.
- ٣- وَالْجُلُوسُ بِالْهَيْبَةِ عَلَى سَمْتِ الْوَقَارِ مَعَ إِطْرَاقِ الرَّأْسِ.
- ٤- وَتَرْكُ (التَّكْبِيرِ)^(٥) عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ إِلَّا عَلَى الظُّلْمَةِ زَجْرًا لَهُمْ عَنِ الظُّلْمِ.
- ٥- وَإِثْقَارُ التَّوَضُّعِ فِي الْمَحَافِلِ وَالْمَجَالِسِ.

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(١) - في النسخ: (فإنه). خطأ والله أعلم. والأصح: (فإنها) لتمام عبارة السياق.

(٢) - قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

(٣) - ومن آدابه أيضاً: (تعليم العلم بلا أجر). فقد قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ١٣٤): ومن آدابهم أن يقصدوا وجه الله تعالى بتعليم من علموا، ويطلبوا ثوابه بإرشاد من أرشدوا، من غير أن يعتاضوا عليه عوضاً، ولا يلتبسوا عليه رزقاً؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْبَاطِلَ﴾ [البقرة: ٤١]. قال أبو العالية: لا تأخذوا عليه أجراً، وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول: يا ابن آدم علم مجاناً، كما علّمت مجاناً. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أجر المعلم كأجر الصائم القائم». وحسب من هذا أجره أن يلتبس أجراً.

وأيضاً من آدابهم: (تنزه العلماء عن شبه المكاسب) فقد قال (ص ١٣٢): ومن آدابهم نزاهة النفس عن شبه المكاسب، والقناعة بالميسور عن كد المطالب، فإن شبه المكسب إثم، وكد الطلب ذل، والأجر أجدر به من الإثم، والعز أنيق به من الذل...

(٤) - في نسخة: (العالم سبعة عشر).

(٥) - في نسخة: (الكبر).

٦- وَتَرْكُ الْهَزْلِ وَالذُّعَايَةِ.

٧- وَالرَّقْيُ بِالْمُتَعَلِّمِ^(١)، وَالتَّانِي بِالْمُتَعَجِّزِ.

٨- وَإِصْلَاحُ الْبَلِيدِ بِحُسْنِ الْإِرْشَادِ.

٩- وَتَرْكُ الْحَرَدِ عَلَيْهِ.

١٠- وَتَرْكُ الْأَنَفَةِ مِنْ قَوْلٍ: لَا أَذْرِي.

١١- وَصَرَفُ الْهِمَّةِ إِلَى السَّائِلِ، وَتَفْهِيمُ سُؤَالِهِ^(٢).

١٢- وَقُبُولُ الْحُجَّةِ.

١٣- وَالْإِنْقِيَادُ لِلْحَقِّ بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِ فِي الْهَفْوَةِ.

١٤- وَمَنْعُ الْمُتَعَلِّمِ عَنْ كُلِّ عِلْمٍ يَضُرُّهُ.

١٥- وَزَجْرُهُ عَنْ أَنْ يُرِيدَ بِالْعِلْمِ النَّافِعَ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى.

١٦- وَصَدُّ الْمُتَعَلِّمِ عَنْ أَنْ (يَشْتَغِلَ)^(٣) بِفَرْضِ الْكِفَايَةِ قَبْلَ الْفَرَاغِ

مِنْ فَرْضِ الْعَيْنِ؛ وَفَرْضُ عَيْنِهِ: إِصْلَاحُ^(٤) ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ بِالتَّقْوَى.

(١) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين: (ص ١٣٤ - ١٣٥): ومن آدابهم أن لا يعنفوا متعلماً، ولا يُحَقِّروا ناشئاً، ولا يستصغروا مبتدئاً، فإن ذلك أدعى إليهم، وأعطف عليهم، وأحدث على الرغبة فيما لديهم. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «علموا ولا تعنفوا؛ فإن المعلم خير من المعنف». وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وقروا من تتعلمون منه، ووقروا من تتعلمونه».

(٢) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ١٣٥): ومن آدابهم ألا يجمعوا طالباً، ولا ينفروا راغباً، ولا يؤيسوا متعلماً، لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم، والزهد فيما لديهم؛ واستمرار ذلك مُفَضِّ إلى انقراض العلم بانقراضهم. فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من لم يَقْطَعْ الناس من رحمة الله تعالى، ولا يؤيسهم من روح الله، ولا يدع القرآن، رغبة إلى ما سواه، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، وعلم ليس فيه تفقه، وقراءة ليس فيها تدبر».

(٣) - في نسخة: (يشغل نفسه).

١٧- وَمُؤَاخَذَةُ نَفْسِهِ أَوَّلًا بِالتَّقْوَى لِيَقْتَدِيَ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلًا بِأَعْمَالِهِ،

وَيَسْتَفِيدُ ثَانِيًا مِنْ أَقْوَالِهِ.

[آدابُ الْمُتَعَلِّمِ^(١)]:

وإن كنت متعلماً فأدب المتعلم مع العالم^(٢):

(٤) - والنصح هم. فقد قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ١٣٤): ومن آدابهم نصح من علسوه، والرفق بهم، وتسهيل السبيل عليهم، وبذل الجهود في ردهم ومعونتهم، فإن ذلك أعظم لأجرهم، وأسنى لذكرهم، وأنشر لعلومهم، وأرسخ لمعلومهم. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا علي، لأن يهدي الله بك رجلاً، خير مما طلعت عليه الشمس».

(١) - الشروط التي يتوفر بها علم الطالب: قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ١٠٤ - ١٠٥): وأما الشروط التي يتوفر بها علم الطالب، وينتهي معها كمال الراض، مع ما يلاحظ به من التوفيق، ويمد به من المعونة، فتسعة شروط: أحدها: العقل الذي به تدرك حقائق الأمور. والثاني: الفطنة التي يتصور بها غوامض العلوم. والثالث: الذكاء الذي يستقر به حفظ ما تصوره، وفهم ما علمه. والرابع: الشهوة التي يدوم بها الطلب، ولا يسرع إليها الملل. والخامس: الاكتفاء بما دونه تعنيه عن كلف الطلب. والسادس: الفراغ الذي يكون معه التوفر، يحصل به الاستكثار. والسابع: عدم القواطع المذهلة، من هموم، وأشغال، وأمراض. والثامن: طول العمر، واتساع المدة؛ لينتهي بالاستكثار، إلى مراتب الكمال. والتاسع: الظفر بعالم سمح بعلمه، متأن في تعليمه. فإذا استكمل هذا الشروط التسعة، فهو أوسع طالب، وأجرح متعلم. وقد قال الإسكندر: يحتاج طالب العلم إلى أربع: مدّة، وجدّة، وقرينة، وشهوة، وتماها في الخامسة: معلم ناصح.

(٢) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ١٠٥ - ١١٣): وسأذكر طرقاتاً مما يتأدب به المتعلم، ويكون عليه العالم: اعلم أن للمتعلم في بيان تعلمه مَلَقاً وتذلاً، إن استعملهما غيماً، وإن تركهما ندم وخير، لأن التملق للعالم يُظهرُ مكنون علمه، والتذلل له سبب لإدامة صبره؛ وبإظهار مكنونه تكون الفائدة، وباستدامة صبره يكون الإكثار. وقد روي: «ليس من أخلاق المؤمن المَلَقُ إلا في طلب العلم». وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ذللتُ طالباً، فمرزتُ مطلوباً. وقال بعض الحكماء: من لم يحتمل ذل التعلم ساعة، بقي في ذل الجهل أبداً. وقال بعض حكماء الفرس: إذا قعدت وأنت صغير حيث تُحِبُّ، قدت وأنت كبير حيث لا تُحِبُّ.

ثم ليعرف له فضل علمه، وليشكر له جميل فعله. فقد روي: «من وقّر عالماً فقد وقّر ربه». وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يعرف فضل أهل العلم، إلا أهل الفضل. وقال بعض الشعراء:

إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فأصبر لداثك إن أهنت طبيبه وأصبر لجهلك إن جفرت معلما

ولا يمنع من ذلك علو منزلته إن كانت له، وإن كان العالم حاملاً، فإن العلماء بعلمهم قد استحقوا التعظيم. لا بالقدرة والمال. وأنشدني بعض أهل الأدب لأبي بكر بن دريد:

لا تحقرن عالماً وإن خلقت أثوابه في عيون راميهِ
وانظر إليه بعين ذي أربٍ مهذب الرأي في طرائقه
فالمسكُ بينا تراه ممتهاً بفهر عطاره وساحقه

حتى تراه في عارضي مَلِكٍ أو موضع التاج من مفارقه

وليكن مقتدياً بهم في رضي أخلاقهم متشبهاً بهم في جميع أفعالهم، ليصير لهم ألفاً، ولما خالفها بجاناً. فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خيار شبّانكم المتشبهون بشيوخكم وشرار شيوخكم المتشبهون بشبانكم». وروى ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تشبه بقرم فهو منهم». وأنشدني بعض أهل الأدب، لأبي بكر بن دريد:

العالمُ العاقلُ ابنُ نفسه أغناه جنسُ علمه عن جنسه
كن ابن من شئت وكن مودياً فإنما المرءُ بفضل كَيْسه
وليس من تكرومه لغيره مثل الذي تكرمه لنفسه

وليحذر المتعلم التَّبَسُّطَ على من يعلمه وإن آنسه، والإدلال عليه، وإن تقدمت صحبته؛ فقد قيل لبعض الحكماء: من أذل الناس؟ فقال: عالمٌ يجري عليه حكم جاهل. وكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حارية من السبي، فقال لها: «من أنت؟». فقالت: بنت الرجل الجواد حاتم، فقال صلى الله عليه وسلم: «ارحموا عزيز قوم ذل، ارحموا غنياً افتقر، ارحموا عالماً ضاع بين الجهال». ولا يُظهر له الاستكفاء منه، والاستغناء عنه؛ فإن في ذلك كفرٌ لنعمته، واستخفافاً بحقه، وربما وجد بعض المتعلمين قوة في نفسه؛ لجودة ذكائه، وحدة خاطره، فقصده من يعلمه بالإعانة له، والاعتراض عليه، ازدراءً به، وتبكيئاً له، فيكون كمن تقدم فيه المثل السائر لأبي البطحاء:

أعلّمه السَّرمَاية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانِي

وهذه من مصائب العلماء، وانعكاس حظوظهم، أن يصيروا عنه من علموه مستجهلين، وعند من قدموه مستزدين. وقال صالح بن عبد القدوس:

وإن عناءً أن تُعلم جاهلاً فيحسب جهلاً أنه منك أعلم

متى يبلغ الثَّيان يوماً تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

متى ينتهي عن سبيء من أتى به إذا لم يكن مسنه عليه تندم

وقد رجح كثير من الحكماء حق العالم، على حق الوالد، حتى قال بعض الشعراء:

يا فاجراً للشفاه بالسلف وتاركاً للعلاء والشرف

آباء أجسادنا هم سبب لأن جعلنا عوارض التلّف

من علم الناس كان خير أبٍ ذاك أبو الروح لا أبو التلّف

ولا ينبغي أن يبعثه معرفة الحق له، على قبول الشبهة منه، ولا يدعوه ترك الإعانة له، على التقليد فيما أخذ عنه فإنه ربما غلبا بعض الاتباع في عالمهم، حتى يروا أن قوله دليل وإن لم يستدل، وأن اعتقاده حجة وإن لم يحتج، فيفضي بهم الأمر إلى التسليم له فيما أخذوا عنه، ويؤول بهم ذلك إلى التقصير فيما يصدر منه؛ لأنه يجتهد بحسب اجتهاد من يأخذ عنه، فلا يبعد أن تبطل تلك المقالة إن انفردت، أو يخرج أهلها من عداد العلماء فيما شاركت؛ لأنه قد لا يرى لهم من يأخذ عنهم، ما كانوا يرونه لمن أخذوا عنه، فيطالبهم بما قصروا فيه، فيضعفوا عن إبانته، ويعجزوا عن نصرته، فيذهبوا ضائعين، ويصيروا عجزاً مضعوفين.

ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلاً يناظر في مجلس حفل، وقد استدل الخصم عليه بدلالة صحيحة، فكان جوابه عنها أن قال: إن هذه دلالة فاسدة، ووجه فسادها أن شيعي لم يذكرها، وما لم يذكره الشيخ فلا خير فيه؛ فأمسك عنه المستدل تعجباً، ولأن شيعه كان محتشماً؛ وقد حضرت طائفة يرون فيه مثل رأي هذا الجاهل، ثم أقبل المستدل عليّ وقال لي: والله لقد أفحمني بجهله، وصار سائر الناس المرفئين من هذه الجهالة، من بين مستهزيء أو متعجب، أو مستعيز بالله من جهل مغرب، فهل رأيت كذلك عالماً أو غل في الجهل، وأدّل على قلة العقل. وإذا كان المتعلم معتدلاً الرأي فيمن يأخذ عنه، متوسط الاعتقاد فيمن يتعلم منه، حتى لا يحمله الإعانة على اعتراض المبكيين، ولا يعنه الغلو على تسليم المقلدين، برىء المتعلم من المذمّين، وسلم العالم من الجهتين، وليس كثرة السؤال فيما التبس إعانتاً، ولا قبول ما صحّ في النفس تقليداً. وقد روي: «العلم خزان، ومفتاحه المسألة، فاسألوا رحمكم الله، فإنما يوجر في العلم ثلاثة: القائل، والمستمع، والآخذ». وقال عليه الصلاة والسلام: «هلاً سألوا إذا لم يعلموا، فإنما شفاء العي السؤال»؛ فأمر بالسؤال وحث عليه. ونهى آخرين عن السؤال، وزجر عنه، فقال صلى الله عليه وسلم: «أنهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال». وقال عليه الصلاة والسلام: «إياكم وكثرة السؤال، فإنما هلك من قبلكم بكثرة السؤال». وليس هذا مخالفاً

١- أَنْ يُبَدِّئَهُ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ.

لأول، وإنما أمر بالسؤال من قصد به علم ما جهل، ونهى عنه من قصد به إعنات ما سمع، وإذا كان السؤال في موضعه، أزال الشكوك، ونفى الشبهة. وقد قيل لابن عباس رضي الله عنهما: ثم نلت هذا العلم؟ قال: بلسان مؤول، وقلب عقول. وروي: «حسن السؤال نصف العلم». وأنشد المبرد عن أبي سليمان الغنوي:

فصل الفقيه تكن فقيها مثله لا خير في علمٍ بغير تدبرٍ
وإذا تعمّرت الأمور فأرجها عليك بالأمر الذي لم يعسر

ولأخذ المتعلم حظه ممن وجد طنبته عنده، من نبيه وخامل، ولا يطلب الصيت وبعاء الذكر، باتباع أهل المنازل من العلماء، إذا كان النفع بغيرهم أهم. إلا أن يستوي اللغمان، فيكون الأخذ عمن اشهر ذكره، وارتفع قدره أولى؛ لأن الانتساب إليه أجمل، والأخذ عنه أشهر، وقد قال الشاعر:

إذا أتت لم يشهرك علمك لم تجد لعلمك مخلوقاً من الناس يقبله
وإن صانك العلم الذي قد حملته أتاك له من يحتنيه ويحمله

وإذا قرب منك العلم، فلا تطلب ما بعد، وإذا سهل عليك من وجه، فلا تطلب ما صعب، وإذا حمدت من خبرته، فلا تطلب من لم تختبره؛ فإن العدول عن القريب إلى البعيد عناء، وترك الأسهل بالأصعب بلاء، والانتقال من المخبور إلى غيره حظير، وقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: عُنِّي الأحرق مضرة، والمتعسف لا تدوم له مسرة. وقال بعض الحكماء: القصد أسهل من التعسف، والكف أودع من التكلف، وربما تبعت نفس الإنسان من بعد عنه، استهانة بمن قرب منه، وطلب ما صعب، احتقاراً لما سهل عليه، وانتقل إلى من لم يخبره، مللاً لمن خبره، فلا يدرك محبوباً، ولا يظفر بظانل. وقد قالت العرب في أمثالها: العالم كالكةبة يأتيها البعاء، ويزهده فيها القرباء. وأنشدني بعض شيوخنا لمسيح بن حاتم:

لا تسرى عالماً يحل يقوم فيحلوه غير دار الهوان
قلما توجد السلامة والنصح في مجموعتين في إنسان
فإذا حلنا مكاناً صحيحاً فهما في النفوس معشوقتان
هذه مكة المنية بيت الله يسعى لمحجها النعلان

وترى أزهده البرية في الحج لها أهلها لقرب المكان

٢- وَأَنْ يُقَلِّلَ^(١) بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلَامَ.

٣- وَلَا يَفْكَلَمْ مَا لَمْ يَسْأَلْهُ أَسْأَدُهُ.

٤- وَلَا يَسْأَلْ (مَا لَمْ يَسْأَلْهُ أَوَّلًا)^(٢).

٥- وَلَا يَقُولَ فِي مُعَارَضَةِ قَوْلِهِ: قَالَ فَلَانٌ بِخِلَافِ مَا قُلْتُ.

٦- وَلَا يُشِيرُ عَلَيْهِ بِخِلَافِ رَأْيِهِ، فَيَرَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ مِنْ أَسْأَدِهِ.

٧- وَلَا (يَسْأَلُ)^(٣) جَلِيسَهُ فِي مَجْلِسِهِ.

٨- وَلَا يَلْتَفِتَ إِلَى الْحَوَانِبِ بَلْ يَجْلِسُ مُطَرِّقاً سَاكِناً مُتَأَدِّباً كَأَنَّهُ فِي الصَّلَاةِ.

٩- وَلَا يُكْثِرُ عَلَيْهِ (السُّؤَالُ)^(٤) عِنْدَ مَلِكِهِ.

١٠- وَإِذَا قَامَ قَامَ لَهُ.

١١- وَلَا يَتَّبِعُهُ بِكَلَامِهِ وَسُؤَالِهِ.

١٢- وَلَا يَسْأَلُهُ فِي طَرِيقِهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ إِلَى مَنْزِلِهِ.

١٣- وَلَا يُسِيءَ الظَّنَّ بِهِ فِي أَفْعَالٍ ظَاهِرَهَا مُنْكَرَةٌ عِنْدَهُ،

فَهُوَ أَعْلَمُ بِأَسْرَارِهِ، وَلْيَذْكُرْ عِنْدَ ذَلِكَ قَوْلَ مُوسَى

لِلْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ

جِئْتُ شَيْئاً إِمْرَأَةً﴾ [الكهف: ٧١].

وَكُونَهُ مُخْطِئاً فِي إِنْكَارِهِ اعْتِمَاداً عَلَى (الظَّاهِرِ)^(٥).

[آداب الولد مع الوالدین]:

وَأِنْ كَانَ لَكَ وَالِدَانِ، (فَآدَابُ)^(٦) الْوَلَدِ مَعَ الْوَالِدَيْنِ^(٧) :

(١) - في نسخة: (يقُلُّ). ومعنى قوله: (يقُلُّ بين يديه الكلام) أي: بين يدي معلمه.

(٢) - في نسخة: (أولاً ما لم يستأذن).

(٣) - في نسخة: (يُشَارُ).

(٤) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٥) - في نسخة: (ظاهرة).

(٦) - في نسخة: (فأدب).

(٧) - قال الإمام الماوردي في أدب الدين والدنيا (ص ٣٦٧ - ٣٧٢): والتأديب يلزم من وجهين: أحدهما: ما يلزم الولد لولده في صغره. والثاني: ما يلزم الإنسان في نفسه عند نشوئه وكبره.

فأما التأديب اللازم للأب: فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليسأس بها وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر، لاستئناسه بمبادئها في الصغر؛ لأن نشوء الصغير على الشيء يجعله متطبعا به، ومن أغفل في الصغر. كان تأديبه في الكبر عسيراً. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما نحل والد ولد له خلة أفضل من أدب حسن يفيد به إياه. أو جهل قبيح يكفه عنه، ويمنعه منه». وقال بعض الحكماء: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال، وتفرق البال. وقال بعض الشعراء:

أدب بنيك صغارا قبل كبرتهم فليس ينفع بعد الكبرة الأدب
إن العصور إذا قومتها اعتدلت ولا تلين إذا قومتها الخشب
العلم في صغر كالنقش في حجر ما إن تغيره الأزمان والحقب
قد ينفع الأدب الأحداث في صغر وليس ينفع عند الشيبة الأدب

وقال آخر:

ينشو الصغير على ما كان والده إن الأصول عليها ينبت الشجر

وأما الأدب اللازم للإنسان عند نشوئه وكبره: فأديبان: أدب مواضعة واصطلاح، وأدب رياضة واستصلاح.

فأما أدب المواضعة والاصطلاح: فيؤخذ تقليداً على ما استقر عليه اصطلاح العقلاء، وأتفق عليه استحسان الأدباء، وليس لاصطلاحهم على وضعه تعليل مستنبط، ولا لاتفاقهم على استحسانه دليل موجب، كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب، واتفاقهم على هيئات اللباس، حتى إن الإنسان الآن إذا تجاوز ما اتفقوا عليه منها صار بجانب للأدب، مستوجبا للذم؛ لأن فراق المألوف في العادة، وبجانية ما صار متفقاً عليه بالمواضعة، مفضي إلى استحقاق الذم بالعقل، ما لم يكن لمخالفته علة ظاهرة، ومعنى حادث، وقد كان جائزاً في العقل أن يوضع ذلك على غير ما اتفقوا عليه، فيرويه حسناً، ويرون ما سواه قبيحاً، فصار هذا مشاركاً لما وجب بالعقل، من حيث توجه الذم على تاركه، ومخالفاً له من حيث إنه كان جائزاً في العقل أن يوضع على خلافه.

وأما أدب الرياضة والاستصلاح: فهو ما كان محمولاً على حال لا يجوز في العقل أن يكون بخلافها، ولا أن تختلف العقلاء في صاحبها وفسادها؛ وما كان كذلك فتعليله بالعقل مستنبط؛ ووضوح صحته بالدليل مرتبط، وللنفس على ما يأتي من ذلك شاهد، أهمها الله تعالى إرشاداً لها. قال الله

تعالى: ﴿فَأَقْصِبْ كَأْتِهَا فَتَوَارَىٰ﴾ [الشمس: ٨]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: بين لها ما تأتي من الخير، وتذر من الشر. وسذكر تعليل كل شيء في موضعه؛ فإنه أولى به وأحق. فأول مقدمات أدب الرياضة والاستصلاح: أن لا يسبق إلى حسن الظن بنفسه، فيخفى عنه مذموم شيمه، ومساوئ أخلاقه؛ لأن النفس بالشهوات آمرة، وعن الرشيد زاحرة. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣]. وروي: «أعدى أعدائك نفسك التي بين حنيبك، ثم أهلك، ثم عيالك».

ودعت أعرابية لرجل فقالت: كبت الله كل عدو لك إلا نفسك، فأخذ بعض الشعراء فقال:

قلبي إلى ما ضلني داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احتزاسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

فإذا كانت النفس كذلك، فحسن الظن بها ذريعة إلى تحكيمها، وتحكيمها دافع إلى سلاطتها، وفساد الأخلاق بها؛ فإذا صرف حسن الظن عنها، وتوسمها بما هي عليه من التسويف والمكر، فاز بطاعتها، وانحاز عن معصيتها. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: العاجز من عجز عن سياسة نفسه. وقال بعض الحكماء: من ساس نفسه ساد ناسه.

فأما سوء الظن بها، فقد اختلف الناس فيه؛ فمنهم من كرهه؛ لما فيه من اتهام طاعتها، ورد مناصحتها، فإن النفس وإن كان لها مكر يردى، فلها نصح يهدي، فلما كان حسن الظن بها يعمي عن مساوئها، كان سوء الظن بها يعمي عن محاسنها؛ ومن عي عن محاسن نفسه، كان كمن عي عن مساوئها، فلم ينفع عنها قبيحاً، ولم يهد إليها حسناً. وقد قال الجاحظ في كتاب البيان: يجب أن يكون في التهمة لنفسه معتدلاً، وفي حسن الظن بها مقتصد؛ فإنه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة ظلمها، فأودعها ذلة المظلومين، وإن تجاوز بها الحق في مقدار حسن الظن أودعها تهاون الأمنين، ولكل ذلك مقدار من الشغل، ولكل شغل مقدار من الوهن، ولكل وهن مقدار من الجهل.

وقال الأحنف بن قيس: من ظلم نفسه كان لغيره أظلم؛ ومن هدم دينه كان لجمده أهدم. وذهب قوم إلى أن سوء الظن بها أبلغ في صلاحها، وأوفر في اجتهداها؛ لأن للنفس جوراً لا ينفك إلا بالسخط عليها، وغروراً لا ينكشف إلا بالنهمة لها؛ لأنها محبوبة تجور إدلالاً، وتغتر مكرراً، فإن لم يسيء الظن بها، غلب عليه جورها، وتعمه عليه غرورها، فصار بمسورها قانعاً، وبالشبهة من أفعالها راضياً. وقد قالت الحكماء: من رضي عن نفسه، أسخط عليه الناس. وقال كشافهم:

لم أرض عن نفسي غافة سخطها ورضا الفتى عن نفسه إغضاها
ولو أني عنها رضيت لقصرت عما تزيد بمثلها آدابها
وتبيت آثار ذاك فأكثر عذلي عليه فطال فيه عتابها

١- أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَهُمَا.

٢- وَيَقُومُ لِقِيَامِهِمَا.

٣- وَيَمْتَلِلُ (لَأَمْرِهِمَا) ^(١).

٤- وَلَا يَمْتَنِي أَمَامَهُمَا.

٥- وَلَا يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ (أَصْوَاتِهِمَا) ^(٢).

٦- وَيَلْبِي دَعْوَتَهُمَا.

٧- وَيَحْرُصُ عَلَى (مَرْضَاتِهِمَا) ^(٣).

٨- وَيَخْفِضُ لَهُمَا (جَنَاحَ الذِّلِّ) ^(٤).

وقد استحس قول أبي تمام الطائي:

ويسيء بالإحسان ظناً لا كمن هو بابسه وبشعره مفتون

فلم يروا إساءة ظنّه بالإحسان دماً، ولا استقلال عمله لؤماً، بل رأوا ذلك أبلغ في الفضل وأبعث على الازدياد. فإذا عرف من نفسه ما تُحِبُّ، وتصور منها ما تُكُنُّ، ولم يُطَاوعها فيما تحبُّ إذا كان غيّاً، ولا صرف عنها ما تكره إذا كان رُشدًا، فقد ملكها بعد أن كان في ملكها، وعليلها بعد أن كان في غلبتها.

وقد روى أبو حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الشديد من غلب نفسه». وقال عون بن عبد الله: إذا غصبتك نفسك فيما كرهت، فلا تطعها فيما أحببت، ولا يغرنك نناء من جهل أمرك. وقال بعض البلغاء: من قوي على نفسه، تنهى في القوة، ومن صبر عن شهوته، بالغ في المروءة، فحينئذ يأخذ نفسه عند معرفة ما أكنّت، وخبرة ما أجنّت، بتقويم عوجها، وإصلاح فاسدها. وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، متى يعرف الإنسان ربه؟ قال: «إذا عرف نفسه». ثم يراعي منها ما صلح واستقام؛ من ربيح يحدث عن إغفال، أو ميل يكون عن إهمال؛ لئتم له الصلاح، وتستديم له السعادة فإن المغفل بعد المعاناة ضائع، والمهمّل بعد المراجعة ذائع.

(١) - في نسخة: (أمرهما).

(٢) - في نسخة: (صوتهما).

(٣) - في نسخة: (طلب مرضاتهما).

٩- وَلَا يَمْنُ عَلَيْهِمَا بِالْبِرِّ لَهُمَا وَلَا بِالْقِيَامِ لَأَمْرِهِمَا.

١٠- وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا شَرّاً ^(١).

١١- وَلَا يَقْطُبُ وَجْهَهُ فِي (وَجْهِهِمَا) ^(٢).

١٢- وَلَا يُسَافِرُ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا.

[أَصْنَفُ النَّاسِ وَآدَابُ مُجَالَسَتِهِمْ]:

وَأَعْلَمُ: أَنَّ النَّاسَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ فِي حَقِّكَ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ:

١- إِمَّا أَصْدِقَاءُ.

٢- وَإِمَّا (مَعَارِفُ) ^(٣).

٣- وَإِمَّا مَجَاهِلُ.

□ فَإِنْ بُلِّتَ بِالْعَوَامِّ الْمَجْهُورِينَ، (فَآدَابُ مُجَالَسَتِهِمْ) ^(٤):

١- تَرَكُ الْخَوْضَ فِي حَدِيثِهِمْ.

٢- وَقَلَّةَ الإِصْغَاءِ إِلَى أَرَاغِيْفِهِمْ.

٣- وَالتَّعَافُلَ عَمَّا يَجْرِي مِنْ سُوءِ أَلْفَافِهِمْ.

٤- وَالْإِحْتِرَازَ عَنْ كَثْرَةِ لِقَائِهِمْ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ.

٥- وَالتَّثَنِّيَّ عَلَى مُنْكَرَاتِهِمْ بِاللُّطْفِ وَالنَّصِيحِ عِنْدَ رَجَاءِ الْقَبُولِ مِنْهُمْ.

□ وَأَمَّا (الْإِخْوَانُ) ^(٥) وَالْأَصْدِقَاءُ ^(٦) فَعَلَيْكَ فِيهِمْ وَطِيفَتَانِ:

(٤) - في نسخة: (الجناس). يتمثل قول الله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤].

(١) - وهو نظر الغضبان، بموخر العين أو هو النظر عن يمن وشمال أو هو نظر فيه إعراض كما في القاموس.

(٢) - في نسخة: (وجهيهما).

(٣) - في نسخة: (معارف).

(٤) - في نسخة: (فأدب بمجالسة العامة).

(٥) - في نسخة: (الإحوة).

(٦) - وعلى الإنسان أن يحسن اختيار الإخوان قبل اصطفتائهم فقد قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٢٦٦ - ٢٦٧): فإذا عزم على اصطفاء الإخوان سبّر أحوالهم قبل إختائهم، وكشف عن أخلاقهم قبل اصطفتائهم؛ لما تقدم من قول الحكماء: اسير تخبر. ولا تبعته الوحدة على الإقدام قبل الخبرة، ولا حسن الظن على الاعتزاز بالتصنع؛ فإن الملق - أي: القول الحسن مع حبث القلب - مصائد العقول، والنفاق تدليس الفطن، وهما سحبة المتصنع، وليس فيمن يكون النفاق والملق بعض سحاياه خير يرجى، ولا صلاح يؤمل. ولأجل ذلك قالت الحكماء: اعرف الرجل من فعله، لا من كلامه، واعرف محبته من عينه، لا من لسانه. وقال خالد بن صفوان: إنما نفقت عند إخواني؛ لأنني لم أستعمل معهم النفاق؛ ولا قصرت بهم عن الاستحقاق...

ونذكر هنا اختلاف مذاهب الناس في كثرة الإخوان، فقد قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٥ - ٢٧٦): وقد اختلفت مذاهب الناس في اتخاذ الإخوان؛ فمنهم من يرى أن الاستكثار منهم أولى، ليكونوا أقوى منعةً ويدا، وأوفر تحبباً وتودداً، وأكثر تعاوناً وتفقداً. وقيل لبعض الحكماء: ما العيش؟ قال: إقبال الزمان، وعزُّ السلطان، وكثرة الإخوان. وقد قيل: حلية المرء كثرة إخوانه.

ومنهم من يرى أن الإقلال منهم أولى؛ لأنه أخف أنقلاً وكلفاً، وأقل تنازعاً وخلقاً. وقد قال الإسكندر: المستكثر من الإخوان من غير اختيار، كالمستوفر من الحجارة. والمقل من الإخوان المتخير لهم، كالذي يتخير الجوهر. وقال عمرو بن العاص: من كثر إخوانه كثر غرماؤه. وقال إبراهيم بن العباس: مثل الإخوان كالنار؛ قليلها متاع، وكثيرها بوار... وقال بعض البلغاء: ليكن غرضك في اتخاذ الإخوان، واصطناع النصحاء تكثير العدة، لا تكثير العدة، وتحصيل النفع، لا تحصيل الجمع، فواحد يحصل به المراد، خير من ألف يكثر الأعداد.

أما مذهب العقلاء وأهل الفضل في اتخاذ الإخوان فقد قال: وإذا كان التجانس والتشاكل من قواعد الأخوة وأسباب المودة، كان وفور العقل، وظهور الفضل، يقتضي من حال صاحبه قلة إخوانه؛ لأنه يروم مثله، ويطلب شكله، وأمثاله من ذوي العقل والفضل، أقل من أضداده من ذوي الحمق والنقص؛ لأن الخيار في كل جنس هو الأقل، فلذلك قل وفور العقل والفضل. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾ [الحجرات: ٤]، فقل بهذا التعليل إخوان أهل الفضل لقلتهم، وكثر إخوان ذوي النقص والجهل لكثرتهم...

إحداهما: أن تطلب أولاً شروطاً الصُّحبة والصِّداقة، فلا تُواخ إلا من يصلح للأخوة والصِّداقة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المُرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»^(١).

فإذا طلبت رفيقاً ليكون شريكك في التعلم وصاحبك في أمر دينك ودنياك فراع فيه حمس خصال:

الأولى: العقل، فلا خير في صحبة الأحمق، فإلى الرحمة والقطيعة يرجع آخرها، وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك، وأعدو العاقل خير من الصديق الأحمق.

قال علي رضي الله عنه:

(فلا) تصحب أحبا الجهل	وإياك وإيأاه
فكم من جاهل أزدى	حليماً حين وأخاه
يقاس المرء بالمرء	إذا ما المرء ماشاه
(كخذو الثعلب بالتعل	إذا ما الفعل حاذاه) ^(٣)
ولئش شيء من الشيء	مقاييس وأشابه
وللقاب على القاب	ذيئل حين يلقاه

(١) - أخرجه أبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٩).

وأخرجه الحاكم (١٧١/٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وأخرجه أحمد (٣٠٣/٢) عن عبد الرحمن، وموئل، قالوا: حدثنا زهير بن عجمد - قال مؤمل: الخراساني - حدثنا موسى بن وردان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالط». وقال مؤمل: «من يخالل».

(٢) - في نسخة: (ولا).

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

الثَّانِيَّةُ: حُسْنُ الْخُلُقِ، فَلَا تَصْحَبْ مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ، وَقَدْ جَمَعَهُ عَلَقَمَةُ الْعُطَارِدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (تَعَالَى) ^(١) فِي وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِذَا أَرَدْتَ صُحْبَةَ إِنْسَانٍ فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانِكَ، وَإِنْ صَحِبْتَهُ زَانِكَ، وَإِنْ ^(٢) قَعَدْتَ بِنِ مَوْلَانَا مَانِكَ، اصْحَبْ مَنْ إِذَا مَدَدْتَ يَدَكَ (بِخَيْرٍ) ^(٣) مَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ سَيِّئَةً سَدَّهَا؛ اصْحَبْ مَنْ إِذَا قُلْتَ صَدَقَ قَوْلُكَ، وَإِنْ حَاوَلْتَ أَمْرًا (أَمَرَكَ) ^(٤)، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا فِي شَيْءٍ أَتْرَكَ.

وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا:

إِنْ أَحَاكَ الْحَقُّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ يَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّوْمَانِ صَدَّكَ شَتَّتَ فِيكَ شَعْمَهُ لِيَجْمَعَكَ

الثَّالِثَةُ: الصَّلَاحُ، فَلَا تَصْحَبْ فَاسِقًا مُصِرًّا عَلَى مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ، لِأَنَّ مَنْ يَخَافُ اللَّهَ لَا يُصِرُّ عَلَى (كَبِيرَةٍ) ^(٥)، وَمَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ لَا تَوْمَنُ عَوَائِلُهُ، بَلْ يَتَغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ (الْأَحْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ) ^(٦). قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)﴾ ^(٧) [الكهف: ٢٨].
فَاحْذَرْ صُحْبَةَ الْفَاسِقِ، فَإِنَّ مُشَاهَدَةَ الْفَسَقِ وَالْمَعْصِيَةِ عَلَى الدَّوَامِ تُزِيلُ عَنْ قَلْبِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَعْصِيَةِ، وَيَهْوُوْ عَلَيْكَ أَمْرُهَا، وَلِذَلِكَ هَانَ عَلَى الْقُلُوبِ مَعْصِيَةُ الْغَيْبَةِ لِإِلْفِهِمْ لَهَا، وَلَوْ رَأَوْا خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ مَلْبُوسًا مِنْ حَرِيرٍ عَلَى فَقِيهِ لَاشْتَدَّ انْكَارُهُمْ عَلَيْهِ، وَالْغَيْبَةُ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ.

(١) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٢) - في نسخة: (إذا).

(٣) - في نسخة: (للخير).

(٤) - في نسخة: (أعانك ونصرك).

(٥) - في نسخة: (معصية كبيرة).

(٦) - في نسخة: (الأعراض والأحوال).

(٧) - ما بين: () زيادة من نسخة.

الرَّابِعَةُ: (لَا تَصْحَبْ) ^(١) حَرِيصًا عَلَى الدُّنْيَا، فَصْحْبَةُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٌ، لِأَنَّ الطَّبَاعَ مَجْبُوزَةً عَلَى التَّشَبُّهِ وَالْإِقْتِدَاءِ، بَلِ الطَّبِيعُ يُسْرِقُ مِنَ الطَّبِيعِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي؛ فَمَجَالَسَةُ الْحَرِيصِ تَزِيدُ فِي حَرِيصِكَ، وَمَجَالَسَةُ الزَّاهِدِينَ تَزِيدُ فِي زُهْدِكَ.
الخَامِسَةُ: الصَّدْقُ، فَلَا تَصْحَبْ كَذَابًا فَإِنَّكَ مِنْهُ عَلَى غُرُورٍ، فَإِنَّهُ مِثْلُ السَّرَابِ، يُقَرِّبُ مِنْكَ الْبَعِيدَ وَيُبْعِدُ مِنْكَ الْقَرِيبَ، وَلَعَلَّكَ تَعْدُمُ (اجْتِمَاعَ) ^(٢) هَذِهِ الْخِصَالِ فِي سُكَّانِ الْمَدَارِسِ وَالْمَسَاجِدِ.

□ فَعَلَيْكَ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ:

١ - إِمَّا الْعَزْلَةَ وَالْانْفِرَادَ (فَقِيْهَا) ^(٣) سَلَامَتُكَ.

(١) - في نسخة: (أَنْ لَا يَكُونَ)

(٢) - قال الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٣٥٦ - ٣٥٨): وأما الحرص: فيسلب فضائل النفس، لاستيلائه عليها، ويمنع من التوفر على العبادة، لتشاغله عنها، ويبعث على التورط في الشبهات؛ لقلّة تحززه منها... وأن الحرص لا يستزيد بحرصه زيادةً على رزقه، سوى إدلال نفسه، وإسقاط حاله. وروي: «الحرص الجاهد، والقنوع الزاهد، يستوفيان أكلهما غير متقصّ منه شيئاً، فعلام التهافت في النار». وقال بعض الحكماء: الحرصُ مفسدة للدين والمروءة، والله ما عرفت من وجه رجل حرصاً فرأيت أن فيه مصطنعاً. وقال آخر: الحرصُ أسير مهانة لا يفك أسره. وقال بعض البلغاء: المقادير الغالية لا تنال بالمغالبة، والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشدة والمكالبية، فذلّل للمقادير نفسك، واعلم بأنك غير نائل بالحرص إلا حظك. وقال بعض الأدباء: رب حظ أدركه غير طالبيه، ودرّ أحرزه غير حالبه.... وليس للحرص غاية مقصودة يقف عندها، ولا نهاية محدودة يقنع بها؛ لأنه إذا وصل بالحرص إلى ما أمل، أغراه ذلك بزيادة الحرص والأمل، وإذا لم يصل رأى إضاعة العناء لوماً، والصبر عليه حزماً، وصار بما سلف من عنائه به أقوى رجاءً، وأبسط أملاً. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يشيب ابن آدم ويقتى معه حصلتان: الحرص وطول الأمل». وقيل للمسيح عليه السلام: ما بال المشايخ أحرص على الدنيا من الشباب؟ قال: لأنهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشباب. ولو صدق الحرص نفسه، واستنصح عقله، لعلم أن من تمام السعادة، وحسن التوفيق، الرضا بالقضاء، والقناعة بالقسم.

(٣) - في نسخة: (احتمال).

٢- وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ مُحَالَطَتِكَ مَعَ شُرَكَائِكَ بِقَدْرِ حِصَالِهِمْ،
بِأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْإِخْوَةَ ثَلَاثَةٌ^(١) :

(٢) - في نسخة: (فإن فيها).

(١) - ومن أقسام الداخلين في عدد الإخوان ما قاله الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٢٧٧ - ٢٧٩): وإذا كان الأمر على ما وصفنا، فقد تنقسم أحوال من دخل في عداد الإخوان أربعة أقسام: منهم من يعين ويستعين، ومنهم من لا يعين ولا يستعين، ومنهم من لا يستعين ولا يعين، ومنهم من يعين ولا يستعين.

فأما المعين والمستعين، فهو معاوض منصف، يؤدي ما عليه، ويستوفي ماله، فهو كالقرض؛ يُسعف عند الحاجة، ويسرّد عند الاستغناء، وهو مشكور في معونته، ومعذور في استعانته؛ وهذه أعدل أحوال الإخوان.

وأما من لا يعين ولا يستعين، فهو متارك، قد منع خير، وقمع شره، فلا هو صديق يرجى، ولا هو عدو يُحشى. وقد قال المغيرة بن شعبه: التارك للإخوان متروك. ومن كان كذلك فهو كانبصرة المثلثة؛ يروك حسنهما، ويخونك نفعهما؛ فلا هو مذموم لقمع شره، ولا هو مشكور لضع خير، وإن كان باللوم أجدر. وقد قال الشاعر:

وأسوأ أيام الفتى يوم لا يرى له أحد يُزري عليه وينكر

غير أن فساد الوقت وتغير أهله، يوجب شكر من كان شره مقطوعاً، وإن كان خير ممنوعاً، كما قال المتنبي:

إنما لفي زمن ترك القبيح به من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً

وأما من يستعين ولا يعين، فهو لئيم كل، ومهين مستذل، قد قطع عنه الرغبة، وبسط فيه الرهبة، فلا خير يُرجى، ولا شره يؤمن، وحسبك مهانة، من رجل يستقل عند إقلاقه، ويستقل عند استقلاله، فليس لثله في الإخاء حظ، ولا في الوداد نصيب، وهو ممن جعله المأمون من داء الإخوان لا من دوائهم، ومن سمهم لا من غذائهم. وقال بعض الحكماء: شر ما في الكريم أن يمنع خير، وخير ما في اللئيم أن يكف عنك شره. وقال ابن الرومي:

عذرنا النخل في إبداء شوكه يرد به الأنامل عن جناه

فما للعوسج الملعون أبدى لنا شوكاً بلا ثمير نراه؟

□ أخ لا حركتك فلا تراخ فيه إلا الدين.
□□ وأخ لذنيك فلا تراخ فيه إلا الخلق الحسن.
□□□ وأخ (لنأس)^(١) به فلا تراخ فيه إلا السلامة من شره
وفتنه وخيئه.

والناس ثلاثة:

أحدهم: مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه.

والآخر: مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت.

و(الثالث)^(٢) : مثله مثل الدواء لا يحتاج إليه قط، ولكن العبد قد يئسى به، وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع، فتجيب مداراته إلى الخلاص منه، وفي مشاهدته فائدة عظيمة إن وقفت لها، وهو أن تشاهد من خبايا أحواله وأفعاله ما تستقبحه فتجنبه.

فالسعيد من وعظ بغيره، والمؤمن من آراء المؤمنين، وقيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟ (فقال)^(٣) : ما أدبني أحد لكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبت^(٤) ، ولقد صلق (على نبينا وعليه الصلاة والسلام)^(٥) ، فلما اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين.

وأما من يعين ولا يستعين، فهو كريم الطبع، مشكور الصنع، قد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء، فلا يرى ثقبلاً في نأية، ولا يقعد عن نهضة في معونة؛ فهذا أشرف الإخوان نفساً، وأكرمهم طبعاً؛ فينبغي لمن أوجد له الزمان مثله - وقل أن يكون له مثل؛ لأنه البر الكريم، والدر اليتيم - أن يشي عنيه حصره، ويعض عليه بناجذه، ويكون به أشد ضناً منه بنفاس أمواله، وسي ذخائره، لأن نفع الإخوان عام، ونفع المال خاص، وما كان أعم نفعاً، فهو بالادخار أحق....

(١) - في نسخة: (تستأنس).

(٢) - في نسخة: (الأخر).

(٣) - في نسخة: (قال).

(٤) - أورده الإمام الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص ٣٦٥).

(٥) - في نسخة: (صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم).

الْوُظَيْفَةُ الثَّانِيَّةُ: مُرَاعَاةُ حُقُوقِ الصُّحْبَةِ، فَمَهْمَا انْعَقَدَتِ الشَّرَكَةُ، وَانْتَهَضَتِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَرِيكَكَ الصُّحْبَةُ، فَعَلَيْكَ حُقُوقُ يُوجِبُهَا عَقْدُ الصُّحْبَةِ، وَفِي الْقِيَامِ بِهَا آدَابٌ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ، مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى»^(١).
وَدَخَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْمَةً فَاجْتَنَى مِنْهَا سِوَاكَيْنِ، أَحَدُهُمَا مِعْجُوحٌ، وَالْآخَرُ مُسْتَقِيمٌ، وَكَانَ مَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، فَأَعْطَاهُ الْمُسْتَقِيمُ وَأَمْسَكَ لِنَفْسِهِ الْمِعْجُوحَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، (أَنْتَ)^(٢) أَحَقُّ مِنِّي بِالْمُسْتَقِيمِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ إِلَّا (وَيُسْأَلُ)^(٣) عَنْ صُحْبَتِهِ، هَلْ أَقَامَ فِيهَا حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ أَضَاعَهُ»^(٤).

وَأَدَابُ الصُّحْبَةِ:

- ١- الإِثَارُ بِالْمَالِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ هَذَا، فَبِذَلِ الْفَضْلِ مِنَ الْمَالِ عِنْدَ الْحَاجَةِ.
- ٢- وَالْإِعَانَةُ بِالنَّفْسِ فِي الْحَاجَاتِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَادَرَةِ مِنْ غَيْرِ إِحْوَاجٍ إِلَى التَّمَاسِ.
- ٣- وَكَيْتِمَانُ السَّرِّ، وَسِتْرُ الْعُيُوبِ، وَالسُّكُوتُ عَنْ تَبْلِيغِ مَا (يَسُوؤُ)^(٥) مِنْ مَذَمَّةِ النَّاسِ إِثَارًا.

(١) - قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١٥٨/٢): رواه السُّلَاسِي فِي آدَابِ الصُّحْبَةِ، وَأَبُو مَنْصُورٍ الدِّبْلَمِي فِي مَسْنَدِ الْفَرْدُوسِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ. بِزِيَادَةِ: (إِذَا التَّقِيَا)، وَفِيهِ: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ غَالِبٍ الْبَاهِلِي كَذَابٌ. قُلْتُ: لَمْ أَجِدْهُ فِي مَسْنَدِ الْفَرْدُوسِ لِلدِّبْلَمِيِّ. وَانْظُرْهُ فِي إِتِّحَافِ السَّادَةِ الْمُتَّقِينَ (٢٠٤/٦).

(٢) - فِي نَسَخَةٍ: (إِنَّكَ).

(٣) - فِي نَسَخَةٍ: (سُئِلَ).

(٤) - لَمْ أَجِدْهُ بِهَذَا اللَّفْظِ. وَلَكِنْ أَخْرَجَ الطَّيَالِسِيُّ (٢٠٥٣) وَالبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُسَرَّدِ (٥٤٤) وَالبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَنِ (٣٤٦٦) وَابْنُ حِبَانَ (٥٦٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا تَغَابَ الثَّانِي فِي اللَّهِ، إِلَّا كَانَ أَفْضَلُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ». وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ الْمُصَنِّفُ فِي الْإِحْيَاءِ.

(٥) - فِي نَسَخَةٍ: (يَسُوؤُهُ).

٤- وَابْلَاغُ مَا يَسْرُهُ مِنْ تَسَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَحُسْنُ الْإِصْغَاءِ عِنْدَ الْحَدِيثِ، وَتَرْكُ الْمُمَارَاةِ فِيهِ.

٥- وَأَنْ يَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ، وَأَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ بِمَا يَعْرِفُ مِنْ مَحَاسِنِهِ، وَأَنْ يَشْكُرَهُ عَلَى صَنِيعِهِ فِي (حَقِّهِ)^(١)، وَأَنْ يَذُبَّ عَنْهُ فِي غَيْبِهِ إِذَا تُعْرِضُ لِعَرَضِهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، وَأَنْ يَنْصَحَهُ بِاللُّطْفِ وَالتَّعْرِضِ إِذَا احْتَاجَ إِلَيْهِ.

٦- وَأَنْ يَغْفِرَ عَنْ زَلَّتِهِ وَهَفْوَتِهِ، (وَلَا)^(٢) يَغْتِيبَ عَلَيْهِ.

٧- وَأَنْ يَدْعُوَ لَهُ فِي خُلُوتِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ.

٨- وَأَنْ يُحْسِنَ الْوَفَاءَ مَعَ أَهْلِهِ وَأَقَارِبِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ.

٩- وَأَنْ يُؤَيِّرَ التَّخْفِيفَ عَنْهُ فَلَا يَكْلِفُهُ شَيْئًا مِنْ (حَاجَاتِهِ، فَيُرَوِّحُ سِرَّهُ)^(٣) مِنْ مُهِمَّاتِهِ، وَأَنْ يُظْهِرَ الْفَرَحَ بِجَمْعِ مَا (يُرْتَجَى)^(٤) لَهُ مِنْ مَسَارَةٍ، وَالْحُزْنَ (بِمَا)^(٥) يَنَالُهُ مِنْ مَكَارِهِهِ، وَأَنْ يُضْمِرَ (فِي قَلْبِهِ)^(٦) مِثْلَ مَا يُظْهِرُهُ فَيَكُونُ صَادِقًا فِي وُدِّهِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً.

١٠- وَأَنْ يَبْدَأَهُ بِالسَّلَامِ عِنْدَ إِقْبَالِهِ، وَأَنْ يُوسِّعَ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ.

١١- وَيُخْرِجَ لَهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَأَنْ يُسَيِّعَهُ عِنْدَ قِيَامِهِ.

١٢- وَأَنْ يَصْنُمْتَ عِنْدَ كَلَامِهِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ (كَلَامِهِ، وَتَتْرَكَ)^(٧) الْمُدَاخَلَةَ فِي كَلَامِهِ. وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَيُعَامِلُهُ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ، فَمَنْ لَا يُحِبُّ لِأَخِيهِ مِثْلَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ فَأَخُوهُ نِفَاقٌ، وَهِيَ عَلَيْهِ (وَبَالٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ)^(٨).

(١) - فِي نَسَخَةٍ: (وَجْهَهُ).

(٢) - فِي نَسَخَةٍ: (فَلَا).

(٣) - فِي نَسَخَةٍ: (حَاجَتِهِ، وَيُرَوِّحُ قَلْبَهُ).

(٤) - فِي نَسَخَةٍ: (بِتَاجِ).

(٥) - فِي نَسَخَةٍ: (عَلَى).

(٦) - مَا بَيْنَ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسَخَةٍ.

(٧) - فِي نَسَخَةٍ: (خَطَابِهِ، وَتَرَكِ).

(٨) - فِي نَسَخَةٍ: (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَبَالٌ).

فَهَذَا أَذْبَكَ فِي حَقِّ الْعَرَامِ الْمَجْهُولِينَ، وَفِي حَقِّ الْأَصْدِقَاءِ الْمُوَاجِهِينَ.

□ وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّلَاثُ: وَهُمْ (الْمَعَارِفُ) ^(١):

فَاخْذَرُ مِنْهُمْ، فَإِنَّكَ لَا تَرَى الشَّرَّ إِلَّا مِمَّنْ تَعْرِفُهُ، أَمَّا الصَّدِيقُ فَيَعِيْنُكَ، وَأَمَّا الْمَجْهُولُ: فَلَا يَتَعَرَّضُ لَكَ، وَإِنَّمَا الشَّرُّ كُلُّهُ مِنَ (الْمَعَارِفِ) ^(٢) الَّذِينَ يُظْهِرُونَ الصَّدَاقَةَ بِالسِّيَرَةِ.

فَأَقْلَلْ مِنَ الْمَعَارِفِ مَا قَدِرْتَ، فَإِذَا بُلِيتَ بِهِمْ فِي مَدْرَسَةٍ أَوْ (مَسْجِدٍ أَوْ جَامِعٍ أَوْ سُوقٍ أَوْ بَلَدٍ) ^(٣)، فَيَجِبُ أَنْ لَا (تَسْتَصْغِرَ) ^(٤) مِنْهُمْ أَحَدًا، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعْنَهُ خَيْرٌ مِنْكَ.

وَلَا تَنْظُرْ إِلَيْهِمْ بَعِيْنِ التَّعْظِيمِ لَهُمْ فِي حَالِ دُنْيَاهُمْ فَتَهْلِكَ، لِأَنَّ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ عِنْدَ اللَّهِ (تَعَالَى) ^(٥) صَغِيرٌ مَا فِيهَا، وَمَهْمَا عَظُمَ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي قَلْبِكَ فَقَدْ سَقَطَتْ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِيَّاكَ أَنْ تَبْذُلَ لَهُمْ دِينَكَ لِتَنَالَ بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، (فَلَا) ^(٦) يَفْعَلْ ذَلِكَ أَحَدٌ إِلَّا صَغَرَ فِي أَعْيُنِهِمْ، ثُمَّ حُرِمَ مَا عِنْدَهُمْ.

وَإِنْ عَادَوْكَ فَلَا تُقَابِلَهُمْ بِالْعَدَاوَةِ، فَإِنَّكَ لَا تُطِيقُ الصَّبْرَ عَلَى مُكَافَأَتِهِمْ فَيَذْهَبُ دِينَكَ فِي عَدَاوَتِهِمْ، (وَيَبْطُلُ) ^(٧) عَنَّاؤُكَ مَعَهُمْ.

وَلَا تَسْكُنْ إِلَيْهِمْ فِي حَالِ إِكْرَامِهِمْ إِلَيْكَ، وَتَنَائِبُهُمْ عَلَيْكَ فِي وَجْهِكَ، وَإِظْهَارِهِمْ الْمَوَدَّةَ لَكَ، فَإِنَّكَ إِنْ طَلَبْتَ حَقِيقَةَ ذَلِكَ لَمْ تَجِدْ فِي الْمَوَدَّةِ وَاحِدًا، وَلَا تَطْمَئِنُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ فِي (السَّرِّ وَالْعَلَنِ وَاحِدًا) ^(٨).

وَلَا تَتَعَجَّبْ إِنْ تَلَبَّوْكَ فِي غَيْبَتِكَ، وَلَا تَغْضَبْ مِنْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ أَنْصَلْتَ وَجَدْتَ (مِنْ) ^(١) نَفْسِكَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى فِي أَصْدِقَائِكَ وَأَقَارِبِكَ، بَلْ فِي أَسْتَاذِكَ وَوَالِدَيْكَ، فَإِنَّكَ تَذْكُرُهُمْ فِي الْغَيْبَةِ بِمَا لَا تَشَافَهُهُمْ بِهِ فَاقْطَعْ طَمَعَكَ عَنْ مَالِهِمْ وَجَاهِهِمْ وَمَعُونَتِهِمْ، فَإِنَّ الطَّمَعَ فِي الْأَكْثَرِ خَائِبٌ فِي الْمَالِ، وَهُوَ ذَلِيلٌ لَا مَخَالَاةَ فِي الْحَالِ، (وَإِذَا) ^(٢) سَأَلْتَ وَاحِدًا حَاجَةً فَقَضَاهَا، فَاشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى وَاشْكُرْهُ، وَإِنْ قَصَرَ فَلَا تُعَاتِبْهُ، وَلَا تُشْكِرْهُ فَتَصِيرَ عَدَاوَةً، وَكُنْ كَالْمُؤْمِنِ يَطْلُبُ الْمَعَاذِيرَ، وَلَا تَكُنْ كَالْمَنَافِقِ يَطْلُبُ الْعُيُوبَ، وَقُلْ لَعْنَهُ قَصَرَ لِعَذْرٍ لَهُ لَمْ أَطْلِعْ عَلَيْهِ.

وَلَا تَعْظَنْ أَحَدًا مِنْهُمْ مَا لَمْ تَتَوَسَّمْ فِيهِ أَوَّلًا مَخَالِيلَ الْقُبُولِ وَإِلَّا لَمْ يَسْتَمِعْ (مِنْكَ) ^(٣)، وَصَارَ حَصْنًا عَلَيْكَ، فَإِذَا أَخْطَاؤًا فِي مَسْأَلَةٍ، وَكَانُوا يَأْتُونَكَ مِنَ (التَّعْلِيمِ) ^(٤) مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، فَلَا تَعْلَمُهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَسْتَفِيدُونَ مِنْكَ عِلْمًا، وَيَصْبِحُونَ لَكَ أَعْدَاءً، إِلَّا إِذَا تَعَلَّقَ ذَلِكَ بِمَعْصِيَةٍ يُقَارِفُونَهَا عَنْ جَهْلِ مِنْهُمْ، فَاذْكُرِ الْحَقَّ بِلُطْفٍ مِنْ غَيْرِ غُفْوٍ؛ وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ كَرَامَةً وَخَيْرًا، فَاشْكُرِ اللَّهَ الَّذِي حَبَّبَكَ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ شَرًّا فَكَلِّهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِمْ، وَلَا تُعَاتِبْهُمْ، وَلَا تَقُلْ لَهُمْ: لِمَ لَمْ تَعْرِفُوا حَقِّي وَأَنَا فَلَانُ ابْنُ فَلَانٍ، وَأَنَا الْفَاضِلُ فِي الْعُلُومِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْحَمَقَى، وَأَشَدُّ النَّاسِ حِمَاقَةً مَنْ يُرْكِي نَفْسَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهَا.

وَأَعْلَمْ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُسَلِّطُهُمْ عَلَيْكَ إِلَّا لِذَنْبٍ سَبَقَ مِنْكَ، فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِكَ.

وَأَعْلَمْ: أَنَّ ذَلِكَ عُقُوبَةٌ مِنَ اللَّهِ (تَعَالَى) ^(٥).

وَكَُنْ فِيمَا بَيْنَهُمْ سَمِيْعًا لِحَقِّهِمْ، أَصَمَّ عَنْ بَاطِلِهِمْ، نَطُوقًا بِمَحَاسِنِهِمْ، صَمُوتًا عَنْ مَسَاوِيهِمْ، وَاحْذَرُ مُحَالَطَةَ مُتَفَقِّهَةِ الزَّمَانِ، لَا سِيَمَا الْمُشْتَغَلِينَ بِالْخِلَافِ وَالْجِدَالِ،

(١) - فِي نَسَخَةِ: (فِي).

(٢) - فِي نَسَخَةِ: (فَإِذَا).

(٣) - فِي نَسَخَةِ: (لَكَ).

(٤) - فِي نَسَخَةِ: (التَّعْلِيمِ).

(٥) - فِي نَسَخَةِ: (تَعَالَى لَكَ).

(١) - فِي نَسَخَةِ: (المعارف).

(٢) - فِي نَسَخَةِ: (المعارف).

(٣) - فِي نَسَخَةِ: (جامع أو مسجد أو بلد أو سوق).

(٤) - فِي نَسَخَةِ: (تستحقق).

(٥) - مَا بَيْنَ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسَخَةٍ.

(٦) - فِي نَسَخَةِ: (فلم).

(٧) - فِي نَسَخَةِ: (فيطول).

(٨) - فِي نَسَخَةِ: (العلن والسر واحد).

وَاحْذَرْ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَتَرَبَّصُونَ بِكَ (لِحَسَدِهِمْ) ^(١) رَبِّ الْمُنُونِ، وَيَقْطَعُونَ عَلَيْكَ بِالظُّنُونِ، وَيَتَعَامَزُونَ وَرَأَاكَ (بِالْعُيُونِ) ^(٢)، يُحْصُونَ عَلَيْكَ عَفْرَاتِكَ فِي عِشْرَتِهِمْ حَتَّى يُجِهِوْكَ بِهَا فِي (حَالِ) ^(٣) عَيْطِهِمْ وَمُنَاطَرَتِهِمْ، لَا يُقِيلُونَ لَكَ عَشْرَةَ، وَلَا يَغْفِرُونَ لَكَ زَلَّةً، وَلَا يَسْتُرُونَ عَلَيْكَ عَوْرَةً، يُحَاسِبُونَكَ عَلَى النَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ، وَيَحْشُدُونَكَ عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَيَحْرَضُونَ عَلَيْكَ الْإِخْوَانَ بِالنَّمِيمَةِ، وَالْبِلَاغَاتِ وَالْبُهْتَانِ؛ إِنْ (رَضُوا) ^(٤) فَظَاهَرَهُمُ الْمَلِكُ، وَإِنْ سَخَطُوا فَبَاطَنَهُمْ (الْحَقُّ) ^(٥)، ظَاهَرَهُمْ يَبَابٌ، وَبَاطَنَهُمْ ذُنَابٌ. هَذَا حُكْمٌ مَا قَطَعْتَ بِهِ الْمُشَاهَدَةَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ إِلَّا مِنْ عِصْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَصَحِّحْهُمْ حُسْرَانٌ وَمُعَاشَرَتُهُمْ خَذْلَانٌ.

هَذَا حُكْمٌ مَنْ يُظْهِرُ لَكَ الصَّدَاقَةَ، فَكَيْفَ مَنْ يُجَاهِرُكَ بِالْعِدَاوَةِ؟

قَالَ الْقَاضِي ابْنُ مَعْرُوفٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى:

فَاحْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً وَاحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّةً
فَلَرَبَّمَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ فَكَانَ أَعْرَفُ بِالْمَضَرَّةِ
وَكَذَلِكَ (قَالَ ابْنُ تَمَامٍ) ^(٦):

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلَا تَسْتَخْذِرُونَ مِنَ الصَّحَابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ
وَكُنْ كَمَا قَالَ هِلَالُ بْنُ الْعَلَاءِ الرَّقِّي:
لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ
أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعِدَاوَاتِ

(١) - في نسخة: (بحسدهم).

(٢) - في نسخة: (بالعيوب).

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - في نسخة: (رفضوا).

(٥) - في نسخة: (الحق). والحق: الغيظ.

(٦) - في نسخة: (قيل في المعنى).

إِنِّي أَحْبَبِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيِيهِ
وَإِظْهِرُ الْبِشْرَ لِلْإِنْسَانِ ابْغِضْهُ
وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ
النَّاسُ دَاءٌ (دَوَاءٌ) ^(١) الْمَحْضُ تَرَكُّهُمْ
فَسَالِمِ النَّاسِ تَسْلَمُ مِنْ غَوَائِلِهِمْ
وَخَالِقِ النَّاسِ وَاصْبِرْ مَا بُلِيتَ بِهِمْ
وَكُنْ أَيْضًا كَمَا قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الَّتِي صَدِيقَكَ وَعَدُوُّكَ يَوْجُو الرِّضَا، مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ (لَهُمَا) ^(٢)، وَلَا هَيْبَةٍ مِنْهُمَا، وَتَوَقَّرْ مِنْ غَيْرِ كَثِيرٍ، وَتَوَاضَعْ مِنْ غَيْرِ مَذَلَّةٍ، وَكُنْ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فِي (أَوْسَطِهَا) ^(٣)، فَكِلَا طَرَفِي الْأُمُورِ، كَمَا قِيلَ:

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا طَرِيقٌ إِلَى نَهْجِ الصِّرَاطِ قَوِيمٌ
وَلَا تَكْ فِيهَا مُفْرَطٌ أَوْ مُفْرَطٌ فَإِنَّ كِلَا حَالِ الْأُمُورِ ذَمِيمٌ
وَلَا تَنْظُرْ فِي عِظَمِكَ، وَلَا تُكْثِرِ الْأَلْفَاتِ (إِلَى وَرَائِكَ) ^(٤)، وَلَا تَقِفْ عَلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِذَا جَلَسْتَ فَلَا تَسْتَوْفِرْ، وَتَحَفَظْ مِنْ تَشْيِيكِ أَصَابِعِكَ، وَالْعَيْشِ بِلِحْيَتِكَ وَخَاتَمِكَ، وَتَخْلِيلِ أَسْنَانِكَ، وَإِذْخَالَ أَصْبَعِكَ فِي أَنْفِكَ، وَكَثْرَةَ بُصَاقِكَ وَتَنَحُّجِكَ، وَطَرْدَ الذُّبَابِ عَنْ وَجْهِكَ، وَكَثْرَةَ التَّمْطِيِ وَالتَّشَاوُبِ فِي رُجُوهِ النَّاسِ، وَفِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا.

وَلْيَكُنْ مَجْلِسُكَ هَادِئًا، وَحَدِيثُكَ مَنْظُومًا، وَاصْنَعْ إِلَى الْكَلَامِ الْحَسَنِ مِمَّنْ حَدَّثَكَ مِنْ غَيْرِ إِظْهَارِ تَعَجُّبٍ مُفْرَطٍ، وَلَا تَسْأَلْهُ إِعَادَتَهُ، وَاسْكُتْ عَنِ الْمَضَاحِكِ وَالْحِكَايَاتِ، وَلَا تُحَدِّثْ عَنْ إِعْجَابِكَ بِوَلَدِكَ وَشِعْرِكَ وَكَلَامِكَ وَتَصْنِيفِكَ وَسَائِرِ مَا يَخْصُصُكَ، وَلَا تَتَصَنَّعْ

(١) - في نسخة: (دواء).

(٢) - في نسخة: (المودات).

(٣) - ما بين: () زيادة من نسخة.

(٤) - في نسخة: (أوساطها).

(٥) - ما بين: () زيادة من نسخة.

تَصْنَعُ الْمَرْءَ فِي التَّرْتِيبِ وَلَا تَبْذُلُ تَبَذُّلَ الْعَبْدِ، وَتَوَقُّ كَثْرَةَ الْكَيْخَلِ وَالْإِسْرَافِ فِي الدُّهْنِ، وَلَا تُلِحُّ فِي الْحَاجَاتِ، وَلَا تُشْجَعُ أَحَدًا عَلَى (الظُّلْمِ) ^(١).

وَلَا تُعَلِّمُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِكَ وَوَلَدِكَ - فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ - مِقْدَارَ مَا لَكَ، فَإِنَّهُمْ إِنْ رَأَوْهُ قَلِيلًا هِنَتْ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ رَأَوْهُ كَثِيرًا لَمْ تَبْلُغْ (قَطْرَ رِضَاهُمْ) ^(٢)، وَاحْفَظْهُمْ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، وَلَنْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ، وَلَا تُهَازِلْ أُمَّتَكَ وَلَا عَبْدَكَ فَيَسْقُطَ وَقَارُكَ (مِنْ قُلُوبِهِمْ) ^(٣).

وَإِذَا خَاصَمْتَ فَتَوَقَّرْ، وَتَحَفَّظْ مِنْ جَهْلِكَ وَعَجَلَتِكَ، وَتَفَكَّرْ فِي حُجَّتِكَ، وَلَا تُكْثِرِ الْإِشَارَةَ بِيَدَيْكَ، وَلَا تُكْثِرِ الْأَلْفِافَاتِ إِلَى وَرَائِكَ، وَلَا تَحُثْ عَلَى رُكْبَتَيْكَ، وَإِذَا هَذَا غَضَبُكَ فَتَكَلَّمْ، وَإِذَا قَرَّبَكَ السُّلْطَانُ فَكُنْ (مِنْهُ) ^(٤) عَلَى حَدِّ السَّنَانِ.

وَرِثَاكَ وَصَدِيقَ الْعَاقِبَةِ، فَإِنَّهُ أَعْدَى الْأَعْدَاءِ، وَلَا تَجْعَلْ مَالَكَ أَكْرَمَ مِنْ عِرْضِكَ.

(فَهَذَا) ^(٥) الْقُدْرُ يَا فَتَى يَكْفِيكَ مِنْ بَدَايَةِ الْهِدَايَةِ، فَجَرَّبْ بِهَا نَفْسَكَ فَإِنَّهَا ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

□ قِسْمٌ فِي آدَابِ الطَّاعَاتِ.

□ وَقِسْمٌ فِي تَرْكِ الْمَعَاصِي.

□ وَقِسْمٌ فِي مُحَالَطَةِ الْخَلْقِ.

وَهِيَ جَامِعَةٌ لِجَمَلِ مُعَامَلَةِ الْعَبْدِ مَعَ الْخَالِقِ وَالْخَلْقِ، فَإِنْ رَأَيْتَهَا مُنَاسِبَةً لِنَفْسِكَ وَرَأَيْتَ قَلْبَكَ مَائِلًا إِلَيْهَا رَاجِعًا فِي الْعَمَلِ بِهَا.

فَاعْلَمْ: أَنَّكَ عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ (تَعَالَى) ^(٦) (بِالْإِيمَانِ قَلْبَكَ) ^(٧) وَشَرَحَ بِهِ صَدْرَكَ، وَتَحَقَّقْ أَنَّ لِهَذِهِ الْبِدَايَةَ نِهَايَةً، وَوَرَاءَهَا أَسْرَارًا وَأَعْوَارًا وَعُلُومًا وَمُكَاشَفَاتٍ ^(٨)، وَقَدْ أَوْدَعْنَاهَا فِي كِتَابِ إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ، فَاشْتَغِلْ بِتَحْصِيلِهِ.

(١) - فِي نَسَخَةِ: (ظُلْمِ).

(٢) - فِي نَسَخَةِ: (رِضَاهُمْ قَطْرَ).

(٣) - مَا بَيْنَ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسَخَةٍ.

(٤) - مَا بَيْنَ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسَخَةٍ.

(٥) - فِي نَسَخَةِ: (وَهَذَا).

(وَإِنْ) ^(١) رَأَيْتَ نَفْسَكَ (تَسْتَقِلُّ) ^(٢) الْعَمَلَ بِهَذِهِ الْوُطَائِفِ، وَتَتْرُكُ هَذَا الْفَنَّ مِنَ الْعِلْمِ، وَتَقُولُ لَكَ نَفْسُكَ: أَنِّي يَنْفَعُكَ هَذَا الْفَنُّ فِي مَحَافِلِ الْعُلَمَاءِ؟ وَمَتَى يُقَدِّمُكَ هَذَا عَلَى الْأَقْرَانِ وَالنَّظَرَاءِ؟ وَكَيْفَ يُرْفَعُ مَنْصِبُكَ فِي مَجَالِسِ الْأُمَرَاءِ وَالْوُزَرَاءِ، (وَكَيْفَ يُوَصِّلُكَ) ^(٣) إِلَى الصَّلَةِ وَالْأَرْزَاقِ وَوِلَايَةِ الْأَوْقَافِ وَالْقَضَاءِ؟.

فَاعْلَمْ: أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَغْوَاكَ وَأَنْسَاكَ مُتَقَلِّبَكَ وَمُتَوَاكَّ، فَاطْلُبْ لَكَ شَيْطَانًا مِثْلَكَ! لِيَعْلَمَكَ مَا تَنْظُنُّ أَنَّهُ يَنْفَعُكَ وَيُوصِّلُكَ إِلَى بُعَيْتِكَ.

ثُمَّ اْعْلَمْ: أَنَّهُ قَطْرٌ لَا يَصْفُو لَكَ الْمُلُوكَ فِي مَجْلِسِكَ فَضْلًا عَنْ قَرْنَيْكَ وَبَلَدِكَ، ثُمَّ يَفُوتُكَ الْمُلُوكُ الْمُقِيمُ وَالنَّعِيمُ الدَّائِمُ فِي جِوَارِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ.

(٦) - مَا بَيْنَ: () زِيَادَةٌ مِنْ نَسَخَةٍ.

(٧) - فِي نَسَخَةِ: (قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ).

(٨) - وَهِيَ غَايَةُ الْعُلُومِ: وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ نُورٍ يَظْهَرُ فِي الْقَلْبِ عِنْدَ تَطْهِيرِهِ مِنْ صِفَاتِهِ الْمَذْمُومَةِ وَيُنْكَشِفُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ أُمُورَ كَثِيرَةٍ حَتَّى تَحْصُلَ الْمَعْرِفَةُ الْحَقِيقِيَّةُ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِصِفَاتِهِ الْبَاقِيَّاتِ التَّامَّاتِ وَبِأَعْمَالِهِ وَبِحُكْمِهِ فِي حُكْمِ خَلْقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَوَجْهَ تَرْتِيبِهِ لِلْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا. (مِرَاقِي الْعِبُودِيَّة ص ٩١).

(١) - فِي نَسَخَةِ: (فَإِذَا).

(٢) - فِي نَسَخَةِ: (تَسْتَقِلُّ).

(٣) - فِي نَسَخَةِ: (لِيُوصِّلُكَ).

فهرس الآيات القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم..... ٣٥	سورة يس ﴿٦٥﴾..... ١٠٨
سورة البقرة ﴿٤١﴾..... ١١٢	سورة ص ﴿٨٢ - ٨٥﴾..... ٦٣ و﴿٨٨﴾..... ٧٧
﴿٢٨٥﴾..... ٧٦	سورة غافر ﴿١٩﴾..... ٢٧
سورة آل عمران ﴿٦١﴾..... ١١١	سورة فصلت ﴿٣٤﴾..... ١٢٧
سورة النساء ﴿١٠﴾..... ١١٩	سورة الحجرات ﴿٤﴾..... ١١٦ و﴿١٢﴾..... ١١٥
سورة المائدة ﴿٦﴾..... ٤٥ و٤٤	سورة الطور ﴿١٦﴾..... ١٢٤
سورة الأنعام ﴿٦٨﴾..... ١١٩	سورة النجم ﴿٣٢﴾..... ١١٧ و﴿٣٩﴾..... ١٢٤
سورة الأعراف ﴿١٢﴾..... ١٣٥	سورة الواقعة ﴿٢٧ - ٤٠﴾..... ٦٥
سورة هود ﴿٦﴾..... ١٢٢	سورة الحديد ﴿٤﴾..... ١٤٥
سورة يوسف ﴿٥٣﴾..... ١٥٣ و١٨	سورة الصف ﴿٢﴾..... ٢٣
سورة الحجر ﴿٤٤﴾..... ١٠٨	سورة الملك ﴿١﴾..... ٧٦
سورة النحل ﴿٩٤﴾..... ١١١	سورة المزمل ﴿٦﴾..... ٧١
سورة الإسراء ﴿٢٤﴾..... ٥٣	سورة المدثر ﴿٣٨﴾..... ١٢٣
سورة الكهف ﴿٢٨﴾..... ١٥١	سورة التازعات ﴿٢﴾..... ١٤٠
﴿١٠٣ - ١٠٤﴾..... ١٨	سورة عبس ﴿١٥ - ١٦﴾..... ٦٦
سورة طه ﴿٧﴾..... ٧٠	سورة الانفطار ﴿١٣ - ١٤﴾..... ١٢٤
سورة المؤمنون ﴿٥ - ٦﴾..... ١٢٢	سورة البروج ﴿١﴾..... ٨١
﴿٩٨ و٩٧﴾..... ٣٥	سورة الأنعام ﴿١﴾..... ٧٣
سورة النور ﴿٢٤﴾..... ١٠٨	سورة الشمس ﴿١﴾..... ٧٠ و﴿٨﴾..... ١٥٣
سورة الفرقان ﴿٧٢﴾..... ١٢٠	سورة الليل ﴿١﴾..... ٧٠
سورة القصص ﴿٥٥﴾..... ١٢٠	سورة الكافرون ﴿١﴾..... ٨١ و٧٣
سورة السجدة ﴿١﴾..... ٧٦	سورة الإخلاص ﴿١﴾..... ٧٦ و٨١ و٩٤
﴿١٦﴾..... ٧٢	سورة الفلق ﴿١﴾..... ٧٦ و٩٤ و٥٠..... ١٢٧
سورة الأحزاب ﴿١٩﴾..... ١١٦	سورة الناس ﴿١﴾..... ٧٦ و٧٨ و٩٤
سورة فاطر ﴿٣٢﴾..... ٦٦	

فهرس الأحاديث والآثار

الهمم حرم شعري وبشري على النار..... ٣٧	الآيتين من آخر سورة البقرة..... ٧٦
الهمم ذا الحبل الشديد..... ٥٠	اتقوا اللاتين..... ٣١
الهمم رب هذه الدعوة التامة..... ٧١	اتقوا الملاعن، وأعدوا النيل..... ٣٠
الهمم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الأمي..... ٨٧	اجتهدوا في العمل..... ١٠٦
الهمم صل على محمد وعلى آل محمد..... ٨٧ و٥٩ و٥٣	اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً..... ٧٣
الهمم طهر قلبي من النفاق..... ٣٣	ارحموا عزيز قوم ذل..... ١٤٨
الهمم غشني برحمتك..... ٣٧	استعينوا بطعام السحر..... ٦٨
الهمم فاطر السماوات والأرض..... ٢٨	استعينوا على قضاء الحوائج..... ١٢٨
الهمم فك رقبتك من النار..... ٣٨	استنهد رجل منا يوم أحد..... ١١١
الهمم لا مانع لما أعطيت..... ٥٩	اليسوا من ثيابكم اللبث..... ٩١
الهمم هذا الدعاء عليك الإجابة..... ٥٠	الله أكبر كبيراً..... ٨٠
الهمم يا غني يا حميد..... ٩٤	الهمم اجعل لي نوراً في قلبي..... ٥١
أتدرون ما الغيبة؟..... ١١٥	الهمم اجعلني من التوابين..... ٤٠
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فصليت معه المغرب..... ٧١	الهمم اجعلني من الذين يستمعون القول..... ٣٨ - ٣٧
أحب للناس ما غيب لنفسك..... ١٣١	الهمم اكفني بخلالك عن حرامك..... ٩٥
إذا أتى أحدكم الغائط..... ٣٠	الهمم اغفر لي وافتح لي..... ٤٨
إذا أتيت الغائط فلا تستقبلوا القبلة..... ٣١	الهمم اهدنا..... ٨٨
إذا آمن الإمام فأنشروا..... ٨١	الهمم اهدني فيمن هديت..... ٨٩ و٨٣
إذا بال أحدكم فلا يستقبل الريح بيوله..... ٣٢	الهمم أنت ربّي لا إله إلا أنت..... ٥٦
إذا بال أحدكم فليتردد لبوله..... ٣٢	الهمم أنت السلام ومنك السلام..... ٥٤
إذا توضأتم فلا تفضوا أيديكم..... ٤١	الهمم أرحمني رائحة الجنة..... ٣٦
إذا جاء أحدكم والإمام يخطب..... ٩٣	الهمم أعطني كتابي يميني..... ٣٧
إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب..... ٩٣	الهمم أعني على تلاوة كتابك..... ٣٦
إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين..... ٤٩	الهمم إنا نسألك أن تبشينا في هذا اليوم إلى كل خير..... ٢٨
إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم..... ٤٨	الهمم إني أسألك إيماناً خالصاً..... ٤٩
إذا رأيت من يبيع أو يتاع في المسجد..... ٤٨	الهمم إني أسألك إيماناً صادقاً..... ٥٠
إذا سجد أحدكم..... ٨٣	الهمم إني أسألك بحق السائلين عليك..... ٤٧
إذا سمعت النداء..... ٥٢	الهمم إني أسألك رحمة من عندك..... ٥١ و٤٩
إذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعاً..... ٩٦	الهمم إني أسألك علماً نافعاً..... ٩٦
إذا صمت في الشهر ثلاثاً..... ١٠	الهمم إني أسألك عند إقبال إليك..... ٧٠
إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير..... ٨٨	الهمم إني أسألك عند حضور صلاتك..... ٥٣
إذا قال أحدكم: سبحان ربي العظيم ثلاثاً..... ٨٢	الهمم إني أسألك الفوز عند اللقاء..... ٥٠
إذا قام أحدكم عن فراشه..... ٧٦	الهمم إني أسألك من الخير كله..... ٥٤
إذا قلت لصاحبك..... ٩٦	الهمم إني أسألك اليمين والبركة..... ٣٥
أربع من كن فيه كان منافقاً..... ١١٤	الهمم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره..... ٥٥
أردفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يرم خلفه..... ٣١	الهمم إني أعوذ بك أن تزل قدمي على الصراط..... ٣٩
استغفر الله العظيم..... ٥٩	الهمم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشعالي..... ٣٧
أسلم المسلمين إسلاماً..... ٦٥	الهمم إني أعوذ بك من علم لا ينفع..... ٩٦ و١٩
أشهد أن لا إله إلا الله وحده..... ٤٠	الهمم إني أنزل بك حاجتي..... ٥٠
أصبحنا على فطرة الإسلام..... ٢٨	الهمم بك أصبحنا وبك أمسينا..... ٢٨
أصبحنا وأصبح الملك لله..... ٢٧	الهمم بيض وجهي بتورك..... ٣٦
	الهمم ثبت قدمي على الصراط..... ٣٩

أصيب رجل يوم أحد..... ١١١
أعدى أعدائك نفسك..... ١٥٣
أعزذ بالله من الشيطان الرجيم..... ٨١
أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم..... ٩٩
أقامها الله وأدامها..... ٥٣
أقنعوا عن المعاصي..... ١٠٥
أكثرُوا الصلاة علي في الليلة الزهراء..... ٩٣
أكثرُوا من ذكر هادم اللذات..... ٥٧
ألا أخبركم بالمؤمن؟..... ١٠٧
ألا أنبئكم بالفتية كل الفتية؟..... ١٤٦
الإمام راع ومسؤول عن رعيته..... ١٠٧
أمرت بالسواك..... ٣٥
أمنيتنا وأمنى للملك لله..... ٢٨
أنا جليس من ذكرني..... ١٤٣
أنا زعيم بيت في ربض الجنة..... ١١٧
أنا عند المنكسرة قلوبهم..... ١٤٣
أنا من غير الدجال أخوف عليكم..... ٢٣
أول ناس يقضى ضم يوم القيامة ثلاثة..... ١٣٢
أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث..... ٩٥ و ١٠٠
أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع..... ٨٥
أولا تدري فقلعه تكلم فيما لا يعنيه..... ١١١
إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم يفتحه الله بعلمه..... ١٩
إن الحسد يأكل الحسنات..... ١٣٠
إن الحلال بين..... ١٢٥
أن رجلاً توفي فقالوا: أبشر بالجنة..... ١١١
إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها..... ١١٠
إن الرجل يتكلم بالكلمة ما يرى بها بأساً..... ١١٠
إن الرجل ليصلي الصلاة..... ٨٥
إن الرج ليصلي، ولعله أن لا يكون له من صلاته إلا عشرين..... ٨٥
إن الرجل لينصرف وما كعب له إلا عشر صلواته..... ٨٥
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً معترلاً..... ٤٤
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح رأسه بيده..... ٣٧
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح في وضوئه رأسه..... ٣٨
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يبال في الماء الراكد..... ٣١
إن الشهيد يؤمر به يوم القيامة..... ١٣٢
إن عامة عذاب القبر منه..... ٣٢
إن العبد إذا صلى في العلاتية فأحسن..... ٨٦
إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار..... ١١٠
إن العبد ليصلي الصلاة..... ٨٥

إن العجب ليأكل الحسنات..... ١٣٣
إن في الجنة باباً يقال له الريان..... ١٠٤
إن للمتقين علامات..... ١١٤
إن المظلوم ليدعوا على ظالمه..... ١١٩
إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة..... ٦١
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل من الجنابة..... ٤٣
أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الغيبة..... ١٠٩
إنك تقضي ولا يقضى عليك..... ٨٨
إنما الأعمال بالخواتيم..... ٧٣
إنما الأعمال بخواتيمها..... ٧٣
إنما الصوم جنة..... ١٠٢
أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يحس رأسه..... ٣٨
أنه صلى الله عليه وسلم كان يستنزه من البول..... ٣٢
أنه كان إذا اغتسل فتح عينيه..... ٤٣
أنه كان يصلي قبل الجمعة ركعتين..... ٩٥
أنهك عن الشرك..... ١٣٤
أنهناكم عن قتل وقال..... ١٤٩
إياكم والتماجد..... ١٣٤
إياكم وكثرة السؤال..... ١٤٩
أَيكون المؤمن جباناً؟..... ١١١
(ب)
باسمك ربي وضعت جنبي..... ٧٥
بسم الله، أمنت بالله..... ٤٧
بسم الله، أعوذ بالله..... ٢٩
بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء..... ٥٩
الباقيات الصالحات..... ٤٨
الباقيات الصالحات هي ذكر الله..... ٤٩
(ت)
الائب من الذنب..... ٢٣
تحت كل شعرة جناة..... ٤٤
تغزوا الصدق..... ١١٢
تعرض الأعمال يوم الإثنين..... ١٠٠
تفضل صلاة الغد خمس وعشرين..... ٤٧
التقوى وحسن الخلق..... ١٠٩
تنزهوا من البول..... ٣٢
التيعم ضربتان..... ٤٦
(ث)
ثلاث لا يحمل لأحد أن يفعلهن..... ٨٩
ثلاث لا يسلم أحد منهن..... ١٣٠
ثلاث كفارات وثلاث درجات..... ١٢٦
ثلاث من كن فيه فهو منافق..... ١١٤
ثلاث مهلكات..... ١٢٦

حب الدنيا رأس كل خطيئة..... ١٤١
حدثني أبطن الناس بعد الله بن مسعود..... ٦٩
الحريص الجاهد..... ١٥٩
الحسد يأكل الحسنات..... ١٣١
حسن السؤال نصف العلم..... ١٥٠
الحمد لله الذي أحياناً بعلمنا أماتنا وإليه النشور..... ٢٧
الحمد لله الذي أذهب عني الأذى..... ٣٠
الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني..... ٢٩
الحمد لله الذي وهب لنا هذا..... ٩٧
(ج)
خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلا..... ٣١
حمس يفترون الصائم..... ١٠١ و ١٠٢
خيار شياكنم لتشتبهون بشيوخكم..... ١٤٨
(د)
دب إليكم داء الأمم..... ١٢٧
دخل رجل المسجد..... ٩٣
دع ما يريك إلى ما لا يريك..... ١١١
دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه..... ٨٩
الدعاء بين الأذان والإقامة..... ٧٢
دعائي أي علي يوشع..... ٣٩
(ذ)
الذنب لا ينسى والبر لا ينسى..... ١٠٥
(ر)
رأيت رسول الله ترضاً..... ٣٧
رأيت عمر يضرب أكف الرجال..... ٩٩
رب اغفر لي وارحمني..... ٨٣
ربنا لك الحمد ملء السموات..... ٨٢
رحم الله امرأً أصلح من لسانه..... ١١١
رحم الله امرأً صلى أربعاً..... ٦٩
ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك..... ٣٤
(س)
سبحان الله وبحمده، عدد خلقه..... ٥٦
سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم..... ٨١ و ٥٨
سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله..... ٥٧
سبحانك اللهم وبحمديك..... ٤٠
سبحان ربي الأعلى..... ٨٣
سبحان ربي العظيم ثلاثاً..... ٨٢
سبح قلوبس..... ٥٨
سلا الله العاتية..... ٧٢
السلام عليكم ورحمة الله..... ٨٤
سمع الله لمن حمده..... ٨٢
السواك مطهرة للقم..... ٣٤

(ش)
التشديد من غلب نفسه..... ١٥٤
شر الناس من يفضي الناس..... ١٣٠
(ص)
صليت وبررت..... ٥٢
صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يسلم عن يمينه..... ٨٤
صلاة الأوابين حين ترمض الفصال..... ٧١
صلاة بسواك..... ٣٤
صلاة الجماعة..... ٤٧
الصلاة خير من النوم..... ٥٢
الصلاة خير موضوع..... ٦١
صلاة على أثر سواك..... ٣٤
صم ثلاثة أيام من كل شهر..... ٩٩
صم من الحرم وارتك..... ٩٩
صم من كل شهر يومين..... ٩٩
صيام يوم عاشوراء..... ٩٨
صيام يوم عرفة..... ٩٨
الصيام جنة..... ١٠٢ و ١٠٤
الصيام جنة من النار..... ١٠٢
(ع)
علماء السوء..... ٢٣
علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم..... ٣٢
علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقول عند أذان المغرب..... ٧٠
علموا ولا تعنفوا..... ١٤٦
العلم خزائن ومفتاحه السؤال..... ١٤٩
عليكم بذكر الله..... ١١٦
(ف)
غسل الجمعة على كل محتلم..... ٩١
غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم..... ٩٠
غفرانك..... ٢٩
الغيبة أشد من الزنا..... ١١٤
فإنك تقضي ولا يقضى عليك..... ٨٩
فضل الصلاة بسواك..... ٣٤
فضل الصلاة التي يستاك بها..... ٣٤
فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم..... ٩٠
(ق)
قال الله تبارك وتعالى: كل حسنة عملها ابن آدم..... ١٠٣
قال الله تعالى: كل حسنة بعشر أمثالها..... ١٠٣
قتل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم..... ١١١
قتله قتلهم الله..... ٤٥
قطعت مطاه..... ١٣٤

قل: لا إله إلا الله وحده..... ٥٨
 قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَقِيلُ..... ٦٨
 (ك)
 كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُطِيلُ الصَّلَاةَ..... ٩٥
 كَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَوْدَعَهُ..... ٣١
 كَانَ إِذَا دَعَا فَرَفَعَ يَدَيْهِ..... ٨٩
 كَانَ إِذَا كَانَ بِحُكْمَةِ فَصَلَى الْجُمُعَةَ..... ٩٥
 كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ.....
 الْخِلَاءَ..... ٢٩
 كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا مَسَكَتِ.....
 الْمُؤَذِّنُ..... ٧٤
 كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنَامُ حَتَّى.....
 يَقْرَأَ..... ٧٦
 كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى صَوْمَ.....
 الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ..... ١٠٠
 كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصُومُ حَتَّى.....
 يَقُولَ لَا يَفْطُرُ..... ٩٩
 كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْبِرُ الْبُيُوتَ فِي.....
 الْغُرَاءِ..... ٣٤
 كَانَتْ صُحُفُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كُلُّهَا عِزًّا..... ١٠٦
 كَانَ عَبْدُ اللَّهِ إِذَا صَلَّى كَانَتْ ثَوْبٌ مَلْفَى..... ٨٥
 كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ.....
 يَفْرَغَ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ..... ٤٦
 كَانَ يَجِبُ التَّيَامُنُ مَا اسْتَطَاعَ..... ٨٨
 كَانَ يَصِلُ شَعْبَانَ بِرَمَضَانَ..... ٩٩
 كَانَ يَصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ..... ٦٨
 كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيحَةٌ مِنَ الزَّنَانِ..... ١٠٩
 كُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا ابْنُ آدَمَ..... ١٠٣
 كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ..... ١٠٤
 كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّيَامَ..... ١٠٣
 كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ..... ١٠٧
 كُلَّمَا تَخَفَيْتَانِ عَلَى اللِّسَانِ..... ٥٨
 كَمْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي.....
 الضُّحَى؟..... ٦١
 كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْخَوْفُ وَالْعَطَشُ..... ١٠٠
 كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ..... ٣٠
 لَكُنِيَ مِنْ دَانِ نَفْسِهِ..... ١٢٣
 (ل)
 لَا أُرْبِحُ اللَّهُ بِخَارَتِكَ..... ٤٨
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ..... ٥٧
 لَا غُلَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ..... ٥٧ و ٥٤
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ..... ٥٧
 لَا تَقْرَأُ صَلَاةً لَا يَقْرَأُ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ..... ٨١
 لَا تَخْتَلِفُ صُفُوفُكُمْ..... ٩٢

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ..... ٥٢
 لَا رَدَّ لِلَّهِ عَلَيْكَ ضَالَّتْ..... ٤٨
 لَا تَقْعَلِي يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ يَبُورُ الْبَرَصُ..... ٤٢
 لَا وَضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ..... ٣٥
 لَا يُزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّلَاةِ الْأُولَى..... ٩٢
 لَا يَصُومُ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا أَنْ يَصُومَ قَبْلَهُ..... ١٠٠
 لَا يَصُومُ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ..... ٩٠
 لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ..... ٩١
 لِأَنْ أَجْلِسَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ..... ٦٠
 لِأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى..... ٦٠
 لَسْتُ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي جَوْعًا يَقْتُلُهُمْ..... ٢٤
 لَغَيْرِ الدِّجَالِ أَخُوفِي عَلَى أُمَّتِي..... ٢٣
 لَقَدْ أَمَرْتُ بِالرِّسَالَةِ..... ٣٥
 لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا صَلَّى.....
 الْعُدَاةَ..... ٨٩
 لِكُلِّ شَيْءٍ بَابٌ..... ١٠٣
 لِلْحَنَّةِ نَابٌ يَقَالُ لَهُ الرِّيَانُ..... ١٠٤
 لَوْ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ مِمَّا أَصْبَحْتُ لَرَكْعَتَيْهَا..... ٤٦
 لَوْ يَعْلَمُ الْمَارِ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي..... ٩٢
 لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي..... ٣٤
 لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ الْمُنَى..... ١٤٧
 (م)
 الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالنَّبِيِّ..... ١٣١
 الْمُؤْمِنُ مِنْ أَمْتِهِ النَّاسُ..... ١٠٧
 الْمُؤْمِنُ يَغِطُّ وَالْمُتَأَنِّفُ يَحْسُدُ..... ١٢٨
 مَا بَلَتْ قَائِمًا مِنْذُ أَسْلَمْتُ..... ٣٣
 مَا تَحَابَّ الثَّانِي فِي اللَّهِ..... ١٦٢
 مَا حَقَّ امْرَأَتِي مُسْلِمٌ بَيْتَ لَيْلَتَيْنِ..... ٧٤
 مَا صَلَّيْتُ خَلْفَ أَحَدٍ صَلَاةَ أَحْفَ..... ٨٦
 مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامِ أَفْضَلٍ مِنْهَا فِي هَذَا الْعَشْرِ..... ٩٨
 مَا مَلَأَ آدَمِي وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ..... ١٢٠
 مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِبًا وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ..... ١٦٢
 مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدَهُ مَحَلَةً أَفْضَلَ مِنْ آدَمَ حَسَنٍ..... ١٥٢
 مَا يَدْرِيكَ؟ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ..... ١١٠
 مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَسْمَعَ مَا أَوْصَيْتَ بِهِ..... ٥٥
 مِثْلُ الْأَخَوَيْنِ مِثْلُ الْيَدَيْنِ..... ١٦٢
 مِثْلُ الَّذِي يَعْلَمُ فِي صَغَرِهِ..... ٢١
 الْمَغْرُومُ مِنْ حَرَمٍ وَصِيَّتِهِ..... ٧٤
 الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ..... ١٥٧
 مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي بِأَقْوَامٍ تَقْرَأُ شَهَادَتَهُمْ..... ١٩
 الْمُسْتَمْعُ شَرِيكَ الْقَاتِلِ..... ١٠٩
 مَسَحَ بِرَأْسِهِ وَأَذْنَيْهِ بِاطْنِهِمَا..... ٣٨
 مَسَحَ الرَّقِيقَةَ أَمَامَ مِنَ الْغُلِّ..... ٣٨
 الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ..... ١٠٧ و ٦٥

مَنْ أَزْدَادَ عَلِيمًا وَلَمْ يَزِدْ فِي الدُّنْيَا زَهْدًا..... ١٨
 مَنْ أَزْدَادَ عَلِيمًا وَلَمْ يَزِدْ هُدًى..... ١٨
 مَنْ أَغْتَسَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غَسْلَ الْجَنَابَةِ..... ٩٢
 مَنْ أَغْتَسَبَ عِنْدَهُ آخِرُهُ الْمُسْلِمَ..... ١٠٩
 مَنْ انْقَطَعَ عَلَى اللَّهِ كِفَاهُ اللَّهِ كُلُّ مَوْئِدَةٍ..... ١٢٠
 مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ..... ١٦٠
 مَنْ أَعَانَ عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ..... ١٦٠
 مَنْ أَعْلَمَ النَّاظِقِينَ..... ١١٤
 مَنْ تَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ..... ٩٢
 مَنْ تَتَبَعَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ..... ١٤٨
 مَنْ تَرَكَ الْكُذْبَ وَهُوَ بَاطِلٌ..... ١١٧
 مَنْ تَرَكَ الْمَرْءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ..... ١١٦ - ١١٧
 مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ..... ٩٤
 مَنْ تَوَاضَعَ لِعَنِي صَاحِبُ لُغَاةٍ ذَهَبَ ثَلَاثًا دِينَهُ..... ١٢٢
 مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ..... ٤٠
 مَنْ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ بِيَدَيْهِ عَلَى عُنُقِهِ..... ٣٩
 مَنْ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عُنُقَهُ..... ٣٩
 مَنْ حَافِظٌ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ..... ٦٩
 مَنْ حَضَعَ لِعَنِي وَوَضَعَ لَهُ نَفْسَهُ..... ١٢٢
 مَنْ دَعَا عَلِيًّا ظَالِمًا فَقَدْ انْتَصَرَ..... ١١٩
 مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ عِنْدَ وَضُوئِهِ..... ٤٢
 مَنْ رَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى..... ٩١
 مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا..... ١٧
 مَنْ صَلَّاهُ فَاَحْسَنَ رُكُوعَهُ وَسُجُودَهُ..... ٦٩
 مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ..... ٩٣
 مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ..... ٧٤
 مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ..... ٥٨
 مَنْ قَالَ صَبِيحَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ..... ٥٩
 مَنْ قَالَ فِي دُبُرِ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَهُوَ ثَانٍ رَجُلِي..... ٥٧
 مَنْ قَالَ لَصَاحِبِهِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ..... ٩٤
 مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ..... ٦١ و ٦٠
 مَنْ قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَصَاحِبِهِ انصُتْ..... ٩٤
 مَنْ قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ..... ٩٤
 مَنْ قَامَهَا فِي يَوْمٍ مَرَّةً كَانَ لَهُ أَمَانٌ..... ٥٧
 مَنْ قَرَأَ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ..... ٩٤
 مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..... ١٤٤

مَنْ مَاتَ عَلَى وَصِيَّةٍ..... ٧٤
 مَنْ مَسَحَ قَفَاهُ مَعَ رَأْسِهِ..... ٣٩
 الْمُهَاجِرُ مِنْ هَجْرِ السُّوءِ..... ١٠٧
 الْمُهِلَكَاتُ ثَلَاثٌ..... ١٢٦
 (ن)
 نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبُولَ قَائِمًا..... ٣٢
 نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَتَخَلَّى.....
 الرَّجُلُ تَحْتَ شَجَرَةٍ..... ٣١
 نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُخْلِقَ فِي.....
 الْمَسْجِدِ..... ٩٦
 نَهَى عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ..... ٩٨
 (هـ)
 هَذَا وَقْتُ تَفْتِيحِ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ..... ٦٨
 هَذَا يَوْمٌ حَرَامٌ وَبَلَدٌ حَرَامٌ..... ٦٥
 هَلَا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا..... ١٤٩
 هَوْنٌ عَلَيْكَ، فَإِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ..... ١٣٥
 هِيَ الصَّلَاةُ مَا بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ..... ٧٢
 وَأَمَّا الْغَسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ فَخُفْرٌ..... ٤٣
 وَجْهٌ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.....
 حَنِيفًا..... ٨٠ و ٨٦
 (و)
 وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ.....
 اللَّهِ..... ١٠٣
 وَقَرُّوا مِنْ تَعَلُّمُونَ مِنْهُ..... ١٤٦
 وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ..... ١٠١
 (ي)
 يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ..... ٥٥
 يَا رَبِّ اقْرُبْ أَنْتَ فَأُنَاجِيكَ..... ١٤٣
 يَا رَبِّ أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ..... ١٤٣
 يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ..... ١٥٤
 يَا عَلِيُّ، لِأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا..... ١٤٧
 يَا مَعَاذَ إِلَهِي عَذَّتْكَ بِحَدِيثِ إِنْ أَنْتَ حَفِظْتَهُ..... ١٣٧
 يَشِيبُ ابْنُ آدَمَ وَيَتَمَيُّ مَعَهُ حَصَلَتَانِ..... ١٥٩
 يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَا تَقْرُبُ إِلَيَّ الْمُتَقَرِّبُونَ بِمِثْلِ.....
 آدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِمْ..... ٢٦

فهرس الكتاب

٩٨.....	آداب الصيام.....	٥.....	مقدمة الحق
١٠٥.....	القسم الثاني: في اجتناب المعاصي.....	٩.....	التعريف بكتاب بداية الهداية.....
١١١.....	الكذب.....	١٠.....	أهمية الكتاب.....
١١٣.....	الحلف في الوعد.....	١١.....	عملي في الرسالة.....
١١٤.....	الغيبة.....	١٢.....	الإمام الغزالي في سطور.....
١١٦.....	المراء والجدال ومناقشة الناس في الكلام.....	١٢.....	العلوم التي برع فيها.....
١١٧.....	تركبة النفس.....	١٣.....	تلامذته.....
١١٨.....	اللعن.....	١٣.....	زهده ومنهجه.....
١١٨.....	الدعاء على الخلق.....	١٣.....	لنصاب التي ولها.....
١١٩.....	المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس.....	١٤.....	شهادة العلماء له.....
١٢٥.....	القول في معاصي القلوب.....	١٤.....	الاعتراضات التي عارض بها.....
١٢٧.....	الحسد.....	١٤.....	مصنفاته.....
١٣٠.....	الشحيح.....	١٦.....	مقدمة المؤلف.....
١٣١.....	الرياء.....	٢٦.....	القسم الأول: في الطاعات.....
١٣٣.....	العجب والكبر والفخر.....	٢٧.....	فصل في آداب الاستيقاظ من النوم.....
	القسم الثالث: القول في آداب الصحة والمعاشرة	٢٩.....	آداب اللباس.....
١٤٣.....	مع الخالق عز وجل ومع الخلق.....	٢٩.....	آداب دخول الخلاء.....
١٤٤.....	آداب الصحة مع الله تعالى.....	٣٤.....	باب: آداب الوضوء.....
١٤٥.....	آداب العالم.....	٤٢.....	آداب الغسل.....
١٤٧.....	آداب المتعلم.....	٤٤.....	آداب التيمم.....
١٥١.....	آداب الولد مع الوالدين.....	٤٦.....	آداب الخروج إلى المسجد.....
١٥٥.....	أصناف الناس وآداب مجالستهم.....	٤٨.....	آداب دخول المسجد.....
١٦٢.....	آداب الصحة.....	٦١.....	آداب ما بعد طلوع الشمس إلى الزوال.....
١٧٠.....	فهرس الآيات القرآنية.....	٦٨.....	آداب الاستعداد لسائر الصلوات.....
١٧١.....	فهرس الأحاديث والآثار.....	٧٤.....	آداب النوم.....
١٧٦.....	فهرس الكتاب.....	٧٨.....	آداب الصلاة.....
		٨٦.....	آداب الإمامة والقدوة.....
		٩٠.....	آداب الجمعة.....

تم بحمد الله وتوفيقه